C

الثورات العلوية
في مرويات المؤرخين المسلمين
حتى نهاية العصر العباسي الأول

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٦- ٢١٥٧

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara
رقم استدعاء مكتبة الكونجرس:	BP 239 .A2 2016
المؤلف الشخصي:	عباس، مريم رزوقي وليد
العنوان:	الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الاول / قراءة جديدة واعادة تقويم
بيان المسؤولية:	تأليف مريم رزوقي وليد عباس
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م
الوصف المادي:	[٣٨٠] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية (١٩٨)
تبصرة ببليوغرافية:	يحتوي على هوامش
موضوع شخصي:	الحسين بن علي الشهيد (ع)، الامام الثالث، ٤ - ٦١ هجرياً - جزاء الاعداء
مصطلح موضوعي:	الشيعة - تاريخ - الانتفاضات والثورات
مصطلح موضوعي:	العلويون (السادة الاشراف) - الانتفاضات والثورات - تاريخ
مصطلح موضوعي:	واقعة كربلاء، ٦١ هجرياً - الاسباب والنتائج
مصطلح موضوعي:	ثورة التوابين، ٦٤ هجرياً
مصطلح موضوعي:	ثورة المختار بن أبي عبيدة، ٦٧ هجرياً
مصطلح موضوعي:	ثورة زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، ١٢٢هجرياً
مصطلح موضوعي:	ثورة يحيى بن زيد بن علي زين العابدين (ع)، ١٢٥ هجرياً
مصطلح موضوعي:	ثورة صاحب فخ، ١٦٩ هجرياً
مصطلح موضوعي:	العلويون (السادة الاشراف) - الانتفاضات والثورات - العصر الاموي
مصطلح موضوعي:	العلويون (السادة الاشراف) - الانتفاضات والثورات - العصر العباسي
مصطلح موضوعي:	المؤرخون المسلمون - تراجم
مؤلف اضافي:	الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧ -، مقدم.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الثورات العلوية

في مرويات المؤرخين المسلمين

حتى نهاية العصر العباسي الأول

قراءة جديدة وإعادة تقويم

تأليف

مريم رزوقي وليد عباس

إصدار

وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }

صدق الله العلي العظيم

القصص، آية: ٥

الإهداء

إلى: سيد الكونيين وأخيه أمير المؤمنين ناصر الدين

وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين القرآن الناطق

والولي الصادق والمجاهد الحق والناصر الصدق

علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وإلى روح والدي (رحمه الله)

إلى أمي العزيزة التي حملتني وهناً على وهن

مريم

المقدمة

الحمد لله الذي علمنا ما لا نعلم وجعل كتابه هدى لطريق الرشاد ونبيه رحمة للعباد وآله مناراً للسداد، وصلى الله على الرسول محمد وآله الأخيار أناء الليل وأطراف النهار.

وبعد: فقد شكل العلويون ظاهرةً بارزة في التاريخ الإسلامي وهذه الظاهرة لم تكن آنية لفترة وجيزة بل كان لها صدى واسعاً على امتداد التاريخ.

إذ مثلَّ خطُ المعارضة للسلطات الحاكمة في العهدين الأموي والعباسي وفق المبدأ الذي يعتقدون به وهو أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الولي الشرعي لعموم المسلمين وأنّ ولايته تعتبر امتداداً طبيعياً لولاية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبنصٍ منه على ذلك.

وقد اختلفت سياستهم في هذين العهدين فنرى أن بعضهم فضل أن تكون معارضته بطريقة سلمية في حين أن البعض الآخر تبنى خط المواجهة العسكرية والكفاح المسلح فكانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي نبراس الثورات العلوية ومعينها الذي لا ينضب.

وقد اختلف المؤرخون الذين سجلوا أحداثها في تقييمهم لها على ما نفهمه من سردهم لتلك الأحداث فقد أعطيت صفة الشرعية من قبل بعضهم مطلقاً،

وقد سلبت عنها هذه الصفة من قبل البعض الآخر مطلقاً أيضاً، في حين فصل آخرون فأضفى صفة الشرعية على تلك الثورات دون بعضها الآخر.

ومن نعم الله تعالى عليَّ توفيقي لهذه الدراسة، فكان هذا البحث الموسوم بـ (الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول قراءة جديدة وإعادة التقويم).

فكان السبب في اختيارنا لهذا الموضوع هو استجلاء الموقف الحقيقي من ثورات العلويين ومعرفة مصداقية ما نقله المؤرخون القدامى والمحدثون في تصوراتهم الإيجابية أو السلبية منها، من خلال دراسة موضوعية تحليلية في المقارنة بين المرويات التاريخية للوصول إلى التقويم الأنسب.

وتكمن أهمية الموضوع في معرفة مدى ضرورة هذه الثورات واكتسابها لصفة الشرعية؛ إذ إنَّ بعض الباحثين صور الثورات العلوية امتداداً رسالياً لثورة الإمام الحسين عليه السلام التي لا يعتريها شكٌّ في ضرورتها وشرعيتها، لمجرد إنَّ الثوار عزموا على إعادة الحق إلى البيت العلوي وقارعوا سلاطين الجور والعبث والفجور.

ولكن وجهة نظرنا اختلفت عن ذلك، إذ اعتمدنا في تقويمنا لهذه الثورات، ومدى شرعيتها على حقيقة نؤمن بها وهي: أن الإمامة وقيادة الأمة الإسلامية منحصرة في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وولديه الحسن والحسين عليهما السلام وتسعة من ذرية الحسين عليه السلام من دون غيرهم من المسلمين سواءً كان علوياً أم غيرَ علوي، فمن كان من الثائرين يؤمن بهذه الحقيقة وسار على وفق هذا المنهج تكون ثورته إيجابية وشرعية، ومن خالف هذا المنهج لا يمكننا أن

نعطي صفة الشرعية لثورته، وما ذكرناهُ ليس بدعة في الحكم والتقويم من قبلنا، وإنما هذا هو ما استنتجناهُ من موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من تلك الثورات فمن دعا لإمامتهم وسار على وفق منهجهم حظى بالرضا والقبول منهم، ومن خالف ذلك لم يحظَ بالدعم والتأييد.

والصعوبات التي واجهتنا في أثناء البحث هي: أن المرويات التاريخية التي سجلت أحداث الثورات العلوية كانت مجرد سرد للأخبار من دون رؤية تحليلية، لذا وجدت الباحثة صعوبة في استخلاص الموقف الأصوب في إزائها، للتباين الواضح في المرويات الخبرية ومسيرة الأحداث، وهذه صعوبة تواجه كل باحث في التاريخ الإسلامي.

وهناك صعوبة أخرى هي أن بعض الثورات ذكرت تفاصيلها في أغلب المصادر التاريخية مما أعطى الباحثة مادة علمية كافية للوصول إلى المطلوب، بينما بعضها الآخر أوجز الحديث عنه ولم تذكر تفاصيلهُ إلا في مصدر أو مصدرين فتكون المادة العلمية حولهُ شحيحةً إلى حد ما لا تمكن الباحثة من التقويم الدقيق.

فضلاً عن أنّ الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والمتعلقة بذوات الثائرين مختلفة في مضامينها فبينما يفهم من بعضها المدح، ويفهم من بعضها الآخر القدح حتى أن الباحث لا يمكنه الجزم بمدى صحة هذه الأحاديث من عدم صحتها.

لذلك اعتمدنا في تقويمنا للمرويات التاريخية والأحاديث المنقولة على مدى شهرتها في المصادر التاريخية والحديثية المعتبرة فما كان مذكوراً في أكثر من مصدر اعتمدنا عليه وما انفرد بذكرهِ بعض المصادر اسقطعناه من اعتبار.

فجاء بحثنا فضلاً عن أن هذه المقدمة من ثلاثة فصول وخاتمة تطرقنا في الفصل الأول إلى مفهوم العلويين، الامتداد، التكوين، الحراك السياسي، وقد قسمته على ثلاثة مباحث؛ الأول: العلويون المصطلح والمفهوم والثاني: الحراك السياسي والثالث: جذور الصراع بين العلويين والأمويين.

أما الفصل الثاني فهو: الثورات العلوية في العصر الأموي وقد قسم أيضاً إلى ثلاثة مباحث؛ الأول: مبررات خروج ثورة الإمام الحسين عليه السلام المسار التاريخي والنتائج والثاني: الثورات العلوية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام والثالث: الثورات الزيدية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد ختمنا بحثنا بفصل ثالث وهو الثورات العلوية في العصر العباسي الأول؛ الأول: البعد العلوي في الدعوة العباسية والثاني: الثورات الحسينية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منها والثالث: الثورات الحسينية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منها.

ثم جاءت خاتمة البحث ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا لها من خلال البحث.

هذا وحاولت في البحث أن أكون جادة مجتهدة، فبذلت فيه وسعي وجهدي، فإن بانت الفائدة منه فلله الفضل، وإن ظهر النقص فيه فمجد الكمال مختص به سبحانه، والله تعالى من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- والله الموفق -

الفصل الأول

العلويون، المفهوم، التكوين، الامتداد، الحراك السياسي

- المبحث الأول: العلويون المصطلح والمفهوم
- المبحث الثاني: الحراك السياسي
- المبحث الثالث: جذور الصراع بين العلويين والأمويين

المبحث الأول: العلويون المصطلح والمفهوم

العلويون لغة: جمع علوي مشتق من عَلَاَ يعلو والمعنى العلو والرفعة والشموخ والارتفاع [1] إما العلويون اصطلاحاً فقد درج على إطلاق لقب العلوي على كل من يرجع نسبهم إلى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام [2]، من جهة

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، نسخه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٨٨م)، مادة علا؛ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ)، مختار الصحاح، (دار الرسالة: كويت، د.ت)، مادة علا.

(٢) ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر (ت٥٠٧هـ)، الأنساب المتفقة، (مطبعة مكتبة المثنى: بغداد، د.ت)، ص١١١؛ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٩٨م)، ج٤، ص٢٠٣؛البيهقي، أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد الشهير (ابن فندق) (ت ٥٦٥هـ)، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق: مهدي الرجائي، ط٢، (مطبعة ستاره: قم، ٢٠٠٧م)، ج١، ص٣٥٣؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (دار الكتب العلمية: بيروت، د.ت)، ص١٤٢؛ تفاحة، أحمد زكي، أصل العلويين وعقيدتهم، (المطبعة العلمية: النجف، ١٩٧٥م)، ص ٣٢؛ البري، عبد الله خورشيد، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، (الهيئة المصرية العامة: ١٩٩٢م)، ص١١١.

أبنائه الذكور، وقد اختلف في عددهم على أقوال بين مقل ومكثر، فقال بعضهم تسعة وعشرون(١) وقال أخر سبعة وعشرون(٢)، وقيل عشرون(٣)، واعتقد البعض أن عددهم خمسة عشر(٤)، قال الطبري عدد أولاده أربعة عشر(٥).

والمهم من ذلك الأمر ذكر المعقب منهم والمعقبون هم خمسة فقط(٦) الحسن والحسين عليهما السلام أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت ١٥٧هـ)، كنز المصاب وبحر الأنساب، مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء، رقم المخطوط ٣٠١٥، ورقة ٥.

(٢) الشيخ المفيد، محمد بن محمد النعمان العكبري (ت٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: حسين الأعلمي، ط٥، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ٢٠٠١م)، ص١٣١.

(٣) الهاروني، يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد (ت ٤٢٤هـ)، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تحقيق: محمد كاظم رحمتي، (مطبعة شريك: طهران، ٢٠٠٩م)، ص٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي البغدادي (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٤م)، ص٢١٤؛ الزرباطي، حسين الحسيني، الجريدة في أصول أنساب العلويين، (د.م: د.ت)، ج١، ص١٤.

(٥) الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى من مصادر كتب أهل السنة، تحقيق وتعليق: سامي الغريري، (مطبعة ستاره: قم، ٢٠٠٩م)، ج١، ص٥٥٣.

(٦) ابن سعد، محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر عطا، ط٢، (دار الكتب: بيروت، ١٩٩٧م)، ج٣، ص١٤؛ العبيدلي، أبو جعفر محمد بن أبي جعفر (ت ٤٣٥هـ)، تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، (مطبعة بهمن: قم، ١٩٩٢م)، ص٣٢؛ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي (ت ٦٠٦هـ)، الشجرة المباركة الزكية في أنساب الطالبية، تحقيق: مهدي الرجائي، ط٢، (طبع حافظ: قم، ١٩٩٨م)، ص١٧؛ الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن (ت١٣٠٨هـ)، نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار، رتب هامشه: محمد علي الصبان، ط٢، (دار الفكر: بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١١.

ومحمد[١] ابن الحنفية [٢]، وعمر الأطرف[٣] ابن التغلبية [٤]، والعباس ابن الكلابية[٥] وأكثر عقب الإمام علي عليه السلام من أولاده الحسن والحسين عليهما

---

(١) محمد ابن الحنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب، ولد عام ٢١هـ في المدينة، وهو صاحب راية أبيه في يوم الجمل، غزير المعرفة، وقاد الفكر، كثير العلم والورع، شديد القوة من الأخيار الفضلاء، لقب بابن الحنفية تميزاً عن أخويه (الحسن والحسين) (عليهما السلام) ويكنى بأبي القاسم وقيل إنّها رخصة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي في المحرم سنة ٨١هـ، ودفن بالبقيع، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٦٧ـ ٦٨؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (دار صادر: بيروت، ١٩٥٧م)، ج٣، ص٢٦٠؛ ابن قنفذ القسنطي، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت٨١٠هـ)، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط٤، (دار الآفاق الجديدة: بيروت، ١٩٨٣م)، ص٧٧ـ ٧٨؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، (مطبعة لجنة التأليف: القاهرة، ١٩٥٥م)، ص٢٧.

(٢) الحنفية يقصد بها: خولة بنت قيس بنت جعفر من بني حنيفة بن بجم بن ربيعة وهي من سبي اليمامة تزوجها الإمام علي عليه السلام، ابن الطقطقى، صفي الدين تاج الدين علي الحسيني (ت ٧٠٩هـ)، الأصيلي في أنساب الطالبيين، صححه ورتبه وحققه: مهدي الرجائي (طبع حافظ: قم، ١٩٩٧م)، ص٣٢٢.

(٣) عمر الأطرف: ابن الإمام علي عليه السلام، وسمي بالأطرف لأن فضيلته من طرف واحد وهو طرف أبيه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، ابن الطقطقي، الاصيلي، ص٣٣١؛ ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، حققه وصححه: محمد حسن آل الطلقان، ط٢، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦١م)، ص٣٠٥.

(٤) التغلبية: وهي الصهباء بنت ربيعة بن بجير بن عبد بن علقمة بن الحارث بن عتبه تكنى بـ (أم حبيب)، للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٥م)، ج٨، ص٢١٩.

(٥) الكلابية: هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن عامر المعروف بالوحيد بن كعب بن كلاب بن عامر بن صعصعه، وتكنى بـ(أم البنين). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١١٢.١١٣.

السلام ومحمد ابن الحنفية، وعقبه من عمر والعباس قليل[١].

وعلى ذلك فإنّ العلويين يرجع نسبهم إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام[٢]، وإن كان لعلي عليه السلام غيرهم من الولد إلا أن الذين طالبوا الحق في الخلافة وتعصب لهم الشيعة ودعوا لهم في الجهات إنّما هؤلاء الثلاثة لا غيرهم، وهكذا امتد نسل العلويين من هؤلاء الخمسة المتقدم ذكرهم، وهم الامتداد الفعلي للعلويين دون غيرهم من أبناء أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

فإما الحسن بن علي عليهما السلام فعقب[٣] من ابنه زيد[٤] والحسن المثنى[٥]

---

(١) القطب، سمير عبد الرزاق، أنساب العرب، (دار البيان: بيروت، د.ت)، ص١٨٩.

(٢) المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي (ت١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد موجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٨م)، ج٢، ص٣٥٣؛ الكليدار، محمد جواد (١٣٠٧هـ)، معالم أنساب الطالبين في شرح كتاب سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري، تحقيق: سلمان هادي طعمة، (مطبعة ستاره: قم، ٢٠٠١م)، ص٢٨.

(٣) ينظر الملحق رقم (١).

(٤) زيد بن الحسن، يكنى أبا محمد، وكان أميراً بالمدينة من قبل المنصور وبلغ من العمر ثمانين سنة وقيل خمسا وثمانين وقيل مائة، أدرك المنصور والمهدي والهادي والرشيد وتوفي بمكة بمكان يقال له (حاجز وهي قرية تبعد عن المدينة شرقاً نحو ٦٦ميلاً في خالية نجد). اليماني، محمد كاظم بن أبي الفتوح سلمان (من أعلام القرن التاسع الهجري)، النفحة العنبرية في أنساب خير البرية، تحقيق: مهدي الرجائي، (مطبعة حافظ: قم، ١٩٩٨م)، ص٩٩ - ١٠٠.

(٥) الحسن المثنى، هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان جليلاً فاضلاً ورعاً، توفي وله خمس وثلاثون سنة، وعقب من خمسة أبناء وهم: عبد الله المحض، وإبراهيم الغمر، والحسن المثلث، داود وجعفر. المدني، محمد بن الحسين بن عبد الله الحسيني السمرقندي (ت٩٩٦هـ)، تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب، تحقيق: الشريف أنس الكتبي الحسيني، (دار المجتبى: السعودية، ١٩٩٨م)، ص٢١.

وأما الحسين بن علي عليهما السلام فعقب [١] من ولده الإمام علي زين العابدين عليه السلام [٢]، وأما محمد ابن الحنفية فعقب من ابنه علي[٣] وجعفر[٤].

والعباس بن علي عليهما السلام فعقب من ولده عبيد الله [٥] وأما عمر الأطرف بن علي عليه السلام فعقب من ابنه محمد [٦].

وأُختص الحسن والحسين عليهما السلام وأبناؤهم بالشرف والسيادة وقد

---

(١) ينظر ملحق رقم (٢).

(٢) ابن شدقم، ضامن الحسيني المدني (كان حياً سنة ١٠٩٠هـ)، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار (عليهم صلوات الملك الغفار)، تحقيق: سلمان كامل الجبوري (المطبعة مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي: إيران، د.ت)، ج٢، ص١٥٥؛ الموسوي، مهدي الرجائي، المعقبون من آل أبي طالب عليه السلام أعقاب الإمام الحسين عليه السلام، (مطبعة مؤسسة عاشور: د.ت)، ج٢، ص٥.

(٣) علي ابن محمد بن الحنفية: هو علي بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وله أبناء أبو محمد الحسن بن علي المذكور كان عالماً فاضلاً. الرازي، ابن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي (ت٣٢٧هـ)، كتاب الجرح والتعديل، (مطبعة حيدر آباد: الهند، ١٩٥٢م)، ج٦، ص٢٠٢؛ العمري، نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد العلوي (من أعلام القرن الخامس الهجري)، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق: أحمد المهدوي الدامغاني، (مطبعة سيد الشهداء عليه السلام: قم، ١٩٨٨م)، ص٢٥٥؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٣٥٥.

(٤) جعفر بن محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتل يوم الحرة حين أرسل يزيد بن معاوية مسرف بن عقبه المري لقتل أهل المدينة المشرفة ونهبها. ينظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٣٥٣.

(٥) البخاري، أبو نصر سهل بن عبد الله بن داوود بن سليمان بن أبان بن عبد الله (كان حياً سنة ٣٤١هـ)، سر السلسلة العلوية، قدم له وعلق عليه: محمد صادق بحر العلوم، (مطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٣م)، ص٨٩.

(٦) محمد بن عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه أسماء بنت عقيل بن أبي طالب عليه السلام توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، للمزيد ينظر: البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٩٦. ٩٨.

أطلق عليهم وعلى أعقابهم لقب السيد، وذلك بسبب انتمائهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة أمهم فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وهذا اللقب له امتداده التاريخي منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دليلنا على ذلك ورود ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: **"علي سيد العرب، فقلت يا رسول الله ألست سيد العرب؟ قال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب"**(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً في شأن الحسن والحسين عليهما السلام: **"الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"**(٢).

إنّ الأحاديث التي أوردناها تدلل من دون شك بأن لقب **(سيد)** يطلق على

(١) الشيخ الصدوق، أبو جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قدم له: حسين الأعلمي (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٩٠م)، ص١٠٣؛ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص١٩٢.

(٢) ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت٢٣٥هـ)، المصنف ابن أبي شيبه في الأحاديث والآثار، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، (دار الفكر: بيروت، ١٩٨٩م)، ج٧، ص٥١١؛ ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، (دار صادر للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٦٩م)، ج٣، ص٣، وص٦٢؛ الترميذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترميذي المعروف الجامع الصحيح، ضبطه وراجع أصوله وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، (دار الفكر: بيروت، ١٩٨٣م)، ج٥، ص٣٢١؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص١٨٢ وأضاف على الحديث: " وأبوهما خير منهما "؛ ابن شهر آشوب، بشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٥٦م)، ج٣، ص١٦٣؛ ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي الحلي (ت ٦٠٠هـ)، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ١٩٨٦م) ص٣٢٠.

الإمام علي عليه السلام وولديه الحسن والحسين عليهما السلام [١] في مختلف مراحل التاريخ حتى عصرنا الحاضر [٢] وقادم الزمان.

ولقد قصد بهذا اللقب أيضاً تشريف من لقب به وتعظيمه، لأنه يطلق على المنسوبين إلى النسب النبوي الجليل [٣] ومن لقب السيد اشتقت لقب السيدان أشارة إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم من أمهما فاطمة الزهراء عليها السلام بدلالة الأحاديث الشريفة المتواترة وعلى ذلك فقد أطلق ذلك اللقب في المصادر منذ العصر الإسلامي الأول ليصبح فيما بعد علماً الحسنيين والحسينيين في العالم الإسلامي على حد تعبير باحث معاصر [٤].

ولقد أخطا البعض في توسيع مفهوم لقب السيد بدلالتة الاصطلاحية ليشمل عموم العلويين والطالبيين ثم خالطه المفهوم اللغوي باستخدام كلمة سيد دلالة التعظيم والاحترام [٥].

---

(١) الشامي، محمد يوسف الصالحي (ت٩٢٤هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب: بيروت، ١٩٩٣م)، ج١١، ص١٥.

(٢) الحسيني، علي بن الحسن شدقم (ت١٠٣٣هـ)، زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول، طبعه: محمد كاظم الكثير، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٩٦م)، ص٨٥؛ متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد هادي أبي ريده، أعد فهارسه: رفعت البدراوي ط٤، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٩٧م) ص٢٨٠؛ كمونه، عبد الرزاق الحسيني، فضائل الأشراف، (مطبعة الآداب: النجف، ١٩٧٠م)، ص٦.

(٣) الخوجه، محمد بن، كيف انتشر الشرف بأفريقية ومتى ظهرت خطة نقيب الأشراف بتونس، مجلة الزيتونة، تونس، ١٩٣٨م، الجزآن ١و٢، ص٣٧٨؛ كمونه، عبد الرزاق الحسيني، فضائل الأشراف، ص٦.

(٤) جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة وأُمراؤها في العهد العثماني، تحقيق: خليل علي مراد، (الدار العربية للموسوعات: د.ت)، ص٢٥.

(٥) ابن شدقم، ضامن الحسيني المدني (كان حياً سنة ١٠٩٠هـ)، تحفة اللباب في ذكر السادة ←

ولكن يبقى هذا اللقب حصراً في سبطي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ومن أعقب منهما، تأسى على أنهما ابنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وامتداد نسبه، مصداق قوله تعالى: { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءَنَا وَأبناءكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأنفُسَنَا وَأنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }[١].

فعلى رأي أغلب المفسرين[٢] أن المقصود بأبنائنا، ونسائنا وأنفسنا في الآية



الأنجاب، مخطوط مصور في مكتبة كاشف الغطاء في النجف، رقم المخطوط ٣٧٩١، ورقة ٧٦؛ صار يحك، مراد، نقابة الأشراف في الدولة العثمانية، ترجمة: سهيل صابأن، (دار القاهرة: مصر، ٢٠٠٧م)، ص٣٠.

(١) سورة آل عمران، آية:٦١.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: صدقي جميل العطار، (دار الفكر: بيروت، ١٩٩٥م)، ج٣، ص٤٠٤؛ ابن أبي الحاتم الرازي، الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطبيب، (دار الفكر: بيروت، د.ت)، ج٢، ص٦٦٧؛ الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩١٦م)، ج٢، ص١٤؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي: ١٩٨٨م)، ج٢، ص٤٨٤؛ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ، (مطبعة هندية: مصر، ١٨٨٧م)، ص٧٤ـ ٧٥؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، حققه وعلق عليه واخرج أحاديثه: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٩٧م)، ج١، ص٣٩٥ـ ٣٩٦؛ الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد (من أعلام القرن الخامس الهجري)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، حققه وعلق عليه: محمد باقر المحمودي، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٧٤م)، ج١، ص١٢١.

الكريمة هو الحسن والحسين وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخرج كلاً من علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمباهلة نصارى نجران[١].

ففي هذه الآية دليل على أن الحسن والحسين عليهما السلام هما أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم هم المقصودون بقوله تعالى (أبناءنا) فأولاده من فاطمة دون غيرها، ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم أن أولاد بنته ينسبون إليه.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " إنّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي "[٢].

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً أنه قال: " كل بني بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإنني أنا أبوهم "[٣].

---

(١) نجران: مدينة بالحجاز من شق اليمن، سميت بنجران بن زيد ويشجب بن يعرب، وهو أول من نزلها. ينظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٧٨هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه وقدم له ووضع فهارسه: جمال الطليه، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٨م)، ج٥، ص١٢٥٨.

(٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت ٥٦٧هـ)، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط٣، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ١٩٩٦م)، ص٣٢٨؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، (دار الفكر: بيروت، ١٩٨١م)، ج١، ص٢٦٢؛ ابن حجر، أحمد بن الهيثمي المكي (ت٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة، خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، (مطبعة مكتبة القاهرة: مصر، د.ت)، ص٢٣٦.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ١٥٨.

وربما من اعترض بقول كيف ألحقوا الحسن والحسين عليهما السلام بنسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن له ولد يعقب منه، لا نأتي بجديد إذا قلنا إذا تقرر منه كما ورد في الأحاديث النبوية بقول صريح ذريتي وولدي ومصداق ذلك ما حصل في عيسى ابن مريم عليه السلام ولقد أُلحق في ذرية إبراهيم عن أمه مريم كقوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن والحسين عليهما السلام: " هما ريحانتاي من الدنيا " (٢).

ومما روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حق الحسن والحسين وأنهما ولداه: " لكل بني أم عصبة ينتمون إليها إلا ابني فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما " (٣).

وقد روى الإمام الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قال: يا حسين " أنت سيد وابن سيد، وأخو سيد " (٤).

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، (دار الجيل: بيروت، ٢٠٠٩)، ص٧٤١؛ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد حسن مدرس فتحي، راجعه وصححه: علي رضوي، (مؤسسة الآفاق: طهران، ٢٠٠١م)، ص١٣٦؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص١٩٦.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص١٧٩.

(٤) البهبهاني، علي بن محمد بن علي (ت١٣٥٠هـ)، مصباح الهداية في إثبات الولاية، تحقيق: رضا الأستادي، ط٤، (مطبعة سلمان الفارسي: قم، ١٩٩٧م)، ص٣٥٥.

ويطلق على ذرية الحسن والحسين عليهما السلام لقب الشريف [١] أيضاً، وذلك للسبب نفسه المتقدم، والظاهر أن إطلاق لفظ الشريف وانصرافه إلى أولاد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، استمر اختصاصه في نسلهما من القرن الثالث الهجري إلى عصرنا الحاضر[٢]، كان السيدان المرتضى[٣] والرضي[٤] يخاطبان

---

(١) الشريف: لغة هو العلو والمجد المكان العالي والجمع أشراف، والشريف اصطلاحاً أطلق على من أنتسب إلى سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ينظر: ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (الدار الإسلامية: ١٩٩٠م)، مادة شرف؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة شرف؛ الغريفي، محمود المقدس، مع النسب والنسابين ومعجم مصطلحاتهم، (دار المفيد: بيروت، ١٩٩٨م)، ص٨٨.

(٢) كمونه، عبد الرزاق، فضائل الأشراف، ص٦.

(٣) الشريف المرتضى الموسوي: هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ابن الإمام محمد الباقر عليه السلام ابن الإمام علي السجاد عليه السلام ابن الإمام الحسين الشهيد عليه السلام ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبو القاسم لقبه بهاء الدولة البويهية بالمرتضى ذي المجدين ولد سنة ٥٥٣هـ ـ ٩٦٥م وهو الشريف الأكبر منه لقد ترجم له العديد من العلماء والمؤرخين والمصادر تذكر أنّ وفاته ٤٣٦هـ. ينظر: اليافعي، أبو محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعبر من حوادث الزمان، ط٢، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: البحرين، ٢٠٠٨م)، ص٥٥ـ ٥٦؛ البحراني، يوسف بن أحمد (ت ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الحديث، حققه وعلق عليه: محمد صادق بحر العلوم، (المطبعة مكتبة فخراوي: البحرين، ٢٠٠٨م)، ص٢٩٩ ـ ٣٠٧.

(٤) الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن أبي أحمد بن الحسين بن الإمام الكاظم عليه السلام، ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ تثقف فيها، قال الشعر بعد أن جاوز العشر سنين، وكأن متعمقاً في علوم القرآن، متبحراً في علم الكلام واللغة والنحو، وقد انتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه على حياته، وتولى معها إمارة الحج والمظالم، وهو أول طالبي جعل عليه السواد شعار العباسيين، ولقد لقبه بهاء الدولة بلقب الشريف سنة ٣٨٨هـ، وأصدر أمره في واسط بتلقيبه بذي المنقبين، وفي سنة ٣٩٨هـ لقبه بالبصرة ذي الحسبين، توفي ببغداد سنة ٤٠٦هـ ودفن في داره بالكرخ. البحراني، لؤلؤة البحرين، ج٣، ص٣٠٨؛ ابن شدقم، تحفة الأزهار، ج١، ص٢٨.

بلفظ الشريف.

ولقد اختص إطلاق هذا اللقب على ذرية الحسن والحسين عليهما السلام دون غيرهما من أولاد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام [١]، ولذلك لا يطلق على ذرية باقي أولاد أمير المؤمنين عليه السلام لقبي السيد أو الشريف وإنما يقال لهم علوي [٢] من جهة انتسابهم إلى أبيهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

قال ابن رسول [٣] في معنى الشريف اعلم أن الشرف لا يطلق على كل من كان من ذرية أولاد الإمام علي عليه السلام بل كان من فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما الحسن والحسين عليهما السلام، ومن كان من غيرهما من أولاد علي عليه السلام يسمى علوياً ولا يسمون أشرافاً ومن كان من الخلفاء أولاد العباس قيل لهم العباسيون وقال في ديباجة كتابه يسأل مجتهد الشيعة الكبير محسن الأمين عن الشريف فتفضل وكتب لنا ما يلي الشريف عرفاً هو من كان من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام بواسطة ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، ومن ذرية الحسن والحسين عليهما السلام ابني علي بن أبي طالب عليه السلام وأما إطلاق الشريف على كل هاشمي فغير معلوم والمعروف في الذين من ذرية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام دون فاطمة عليها السلام يوصف أحدهم بعلوي، والذين من ذرية عبد المطلب وأبيه هاشم يوصف بأنه هاشمي [٤].

---

(١) كمونه، عبد الرزاق، فضائل الأشراف، ص٦.

(٢) كمونه، عبد الرزاق، فضائل الأشراف، ص٦.

(٣) ابن رسول، السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف (ت٦٩٦هـ)، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه: ك: ولسترستين، (دار الآفاق العربية: القاهرة، ٢٠٠١م)، ص١٠؛ كمونه، عبد الرزاق، فضائل الأشراف، ص٦.

(٤) الهاشميون: هم من يرجعون إلى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن ←

ولهذا نرى أن المؤرخين يصفون ولـد العبـاس بـن عبـد المطلـب بالهـاشمي ولا يصفونه بالشريف [١].

ويمكن التوسع في إطلاق لفظ العلويين على كل من شايع ووالى علياً عليـه السلام وقال بإمامته، وقد ورد في بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم، إطلاق (العلويون) على الشيعة كما يقال للـشيعة إمـامي[٢] وجعفـري قال لعلـي عليـه الـسلام: " **هذا جبرائيل يخبرني عن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة جئت أنت وشيعتك ركباناً على نوق من نور البرق، يطيرهم في أرجاء الهواء، ينادون في عرصة القيامة، نحن العلويون، فيأتيهم النداء من قبل الله أنتم**



لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليـاس بـن مـضر بـن نـزار بـن معـد بـن عـدنان. ينظـر: ابـن حبيـب، أبـو جعفـر محمـد بـن أميـة بـن عمـرو الهـاشمي (٢٤٥هـ)، المنمق في أخبـار قـريش، صـححه: خورشـيد أحمـد فـاروق، (عـالم الكتـب: القـاهرة، د.ت)، ص٢؛ البخـاري، أبـو عبـد الله إسماعيـل بـن إبـراهيم الجعفـي (ت ٢٥٦هـ)، التـاريخ الكبير، (المطبعـة المكتبـة الإسـلامية: تركيـا، د.ت)، ج١، ص٥؛ ابن حـزم الأندلسي، أبـو محمـد علي بن أحمد بن سعيد بن غالب (ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، ط٣، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٢ـ ١٤.

(١) كمونه، عبد الرزاق، فضائل الأشراف، ص٦.

(٢) الإماميـة: وهـم الـذين يـرون تعيين أمـير المـؤمنين علي بـن أبـي طالـب عليـه الـسلام إمامـاً مـن قبـل الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، ويـذهبون إلى أن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم اختـار ابـن عمـه، ومـن بـايع أبـا بكـر، وعمـراً مخالفـاً أمـر نبيـه فقـد سـلك سـبيل الـضلال وتنعقـد الإمامـة لقرابـة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم بـالنص والتوفيـق كمـا يعتقـد الإماميـة والإمـام يجـب أن يكـون مـن أهـل زمانـه. ينظـر: البغـدادي، عبـد القـاهر بـن طـاهر بـن محمـد الاسـفرتييني التميمـي (ت٤٢٩هـ)، الفَـرق بـين الفِـرق، حقـق أصـوله وفـصله وضـبط مـشكله وعلـق عليـه: محمـد محـي الـدين عبـد الحميـد، (مطبعـة المـدني: القـاهرة، ١٩٥٩م)، ص٣٢١؛ الاشـتياني، عبـاس إقبـال، آل نوبخـت، ترجمـة: علـي هاشـم الأسـدي، راجعـه: علـي البصري، (مطبعة الاستانة الرضوية المقدسة: إيران، ١٤٥٢هـ)، ص٧٢ ـ ٧٣.

المقربون، الذين لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون " [١].

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم جئت أنت وشيعتك وقوله نحن العلويون فيه دليل على أن لفظ علوي يمكن إطلاقه على كل من شايع أمير المؤمنين الإمام علياً عليه السلام سواء كان من ذرية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو ليس من ذرية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وإنما الموالون لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ويظهر أن لفظ الشيعة في هذا الدور كان يطلق اسم الشيعة واسم العلويين معاً ثم اختفى العلويون وبقي اسم الشيعة [٢].

(١) الكوفي، فرات بن إبراهيم، (ت ٣٥٢هـ)، تفسير فرات الكوفي، (مطبعة الحيدرية: النجف: د.ت)، ص١٥؛ الشاهروي، علي النمازي (ت١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: حسن بن علي النمازي، (مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ١٩٩٧م)، ج١، ص٤٩.

(٢) لم يؤشر التاريخ، حتى أوائل سنة ١٣٢هـ ظهور الكلمتين (العباسيين) و(العلويين)، بل كان هناك تعبير يشمل هؤلاء وأولئك، ذلك هو (بنو هاشم) أو (آل البيت)، شلبي، أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية دراسة تحليلية شاملة، ط٢، (مكتبة النهضة المصرية: ١٩٦٢م)، ص٢٠؛ غازي، جابر رزاق، الكوفة في العصر العباسي دراسة في أحوالها السياسية والفكرية من ١٣٢هـ إلى ٣٣٤هـ، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة الكوفة، ٢٠٠٠م)، ص٣٥.

المبحث الثاني: الحراك السياسي

لقد كان من الأحداث المهمة التي لها خطورتها في الدولة العربية الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (سنة ١١هـ - ٦٣٢م)، حدثٌ له تداعيات كبيرة أثرت على وحدة كلمة المسلمين التي أكدها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً فقد وقعت بوادر الخلاف والاختلاف بين المسلمين الأوائل عقب وفاته صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةً إذ تنازع المهاجرون والأنصار أمر الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كاد القتال يقع فيما بينهم بعد أن تجددت في أنفسهم رواسب الجاهلية والتعصب القبلي التي عمل الإسلام جاهداً على القضاء عليها، فعادوا أعداءً متباغضين وهذا الحدث الخطير الذي أعاد الأحقاد الكامنة في الصدور إلى ما كانت عليه قبل الإسلام هو اجتماع سقيفة بني ساعدة[(١)][(٢)] الذي كان الأساس لعوامل الفرقة

---

(١) سقيفة بني ساعدة: السقيفة، الصفة، والسقيفة كل بناء سقف به صفة أو شبه صفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة سقيفة.

(٢) ذكر حادثة السقيفة مجموعة من المؤرخين مع الاختلاف بالألفاظ: أبو مخنف، لوط بن يحيى ابن سعيد الغامدي الأزدي (ت١٥٧هـ)، نصوص من تاريخ أبي مخنف، استخراج وتنسيق وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، (دار المحجة البيضاء: بيروت، ١٩٩٩م)، ج١، ص٣٨؛ ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك بن أيوب الأنصاري (ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية، حققه وضبطه ←

والتشتت وتباين الأفكار وتضاد الميول والاتجاهات في المجتمع الإسلامي إلى يومنا الحاضر.

فبينما كان المسلمون من بني هاشم والمهاجرين وبعض الأنصار منشغلين بتجهيز الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لدفنه اجتمع بعض الأنصار في سقيفة بني ساعدة لتولية زعيم الخزرج سعد بن عبادة (١) خليفة للمسلمين فسمع بذلك المهاجرون فانبرى أبو بكر وعمر والتحق بهم أبو عبيدة إلى مكان الاجتماع وحدث بينهم وبين الأنصار نقاش وجدال بشأن الخلافة (٢).

حيث زعم كل من الفريقين أنه أحق بالخلافة من غيره فقد نقلت بعض المصادر التاريخية عن سعد بن عبادة أنه خاطب الأنصار قائلا: " فشدوا أيديكم بهذا الأمر فإنّكم أحق الناس وأولاهم به " (٣)، فرد أبو بكر مشيراً إلى المهاجرين:

وشرحه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، (دار الفكر: بيروت، د.ت)، ج٤، ص٦٥٦ـ ٦٦٦؛ ابن قتيبة الدنيوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، تحقيق: علي شيري، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٩٠م)، ج١، ص٢١ـ ٢٢؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب المعروف ابن واضح (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، (المطبعة المهر: إيران، د.ت)، ج٢، ص٨٣؛ المسعودي، أبو الحسن علي ابن الحسين (ت٣٤٦هـ)، التنبيه والأشراف، عنى بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، (دار الصاوي: القاهرة، ١٩٣٨م)، ص٢٤٧.

(١) سعد بن عبادة: بن دليم بن حارثة بن خزيم بن ثعلبة بن طرريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب يكنى أبا قيس صحابي شهد العقبة وأُحد وتوفي بالشام في خلافة عمر وفسر موته تفسيراً غريباً بأن الجن قتله !!. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٧٣. ٢٧٤؛ ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الليثي العصفيري (ت٢٤٠هـ)، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر: بيروت، ١٩٩٣م)، ص١٦٦.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٩ ـ ٢٢.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج٢، ص٢٣؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير

" فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم"[١]، فقال الحباب بن المنذر [٢] : " يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم...، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير" [٣].

فأنكر عمر ذلك أشد الإنكار قائلاً: " هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إنّه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، وأولو الأمر منكم، لنا بذلك على ما خالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة" [٤].

ثم تكلم بعد ذلك أبو بكر مقترحاً على الأنصار تأمير أبي عبيدة أو عمر حيث قال في كلامه: " هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك؛ فإنّك أفضل المهاجرين وثاني أثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة؛ والصلاة أفضل دين المسلمين؛ فمن إذاً ينبغي له

(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبي الفضل، ط٤، (دار المعارف: مصر، ١٩٧٩م)، ج٣، ص٢٢٠.

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، العثمانية، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، (دار الكتاب العربي: مصر، د.ت)، ص١٢٥.

(٢) الحباب بن المنذر الأنصاري الخزرجي شهد بدراً ومات في خلافة عمر بن الخطاب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤٢٧. ٤٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٢٠.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٢٥.

أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك! ابسط يدك نبايعك فلما ذهبا ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعهُ " [١].

قال المسعودي [٢] : ثم بايع الناس أبا بكر في سقيفة بني ساعدة في يوم الإثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذكر المؤرخون أن أنباء السقيفة لما وصلت إلى مسامع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قال: ((ما قالت الأنصار؟ قالوا: منا أمير ومنكم أمير. قال عليه السلام: فَهَلا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ: بوصية رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِأَنْ يُحْسَنَ بمُحسنِهمْ أو يَتجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام لَوْ كَانَتِ الإمامةُ فِيهمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثم قال عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ)) [٣].

وأراد صلوات الله عليه بالثمرة نفسه وأهل بيته، بمعنى أنهم إن كانوا أولى بالخلافة لكونهم شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أولى منهم لكوننا ثمرته، وللثمرة اختصاص بالقرب لكونها مقصودة بالذات من الشجرة وغرسها[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢١.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، عنى بتنقيحها وتصحيحها: شارل بلا، (مطبعة شريعت: قم، ٢٠٠١م)، ج١، ص٣٩.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٤٠هـ)، نهج البلاغة، جمعه: الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، ط٣، (المطبعة وفا: إيران، ٢٠٠٨م)، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٤) ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (ت ٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، (دار الثقلين: بيروت، ١٩٩٩م)، ج٢، ص١٨٨ـ ١٨٩.

وهذا الرد من الإمام علي عليه السلام يفهم منهُ أنه لم يقبل بما تمخضت عنه حادثة السقيفة من مبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين وأنه أحق بالخلافة منهُ وهو عليه السلام بهذا الموقف يعلن عن معارضة لهذه البيعة التي تمت على حين غرة من بقية المهاجرين والأنصار الذين كانوا منشغلين بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه.

وقد روى الطبرسي[١] " وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم، وعلي ابن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فرغ من ذلك وصلى على النبي صلى الله عليه وآله والناس يصلون عليه من بايع أبا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد، فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوام، واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد كلهم مجتمعين إذ أقبل أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: ما لنا نراكم خلقاً شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس، فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا، وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي عليه السلام ومعهم الزبير". ولم يكتف الإمام علي عليه السلام بمعارضة منطق السقيفة وإنما صعد من درجة هذه المعارضة إلى امتناعهِ عن بيعة أبي بكر[٢] مع مجموعة من المهاجرين والأنصار.

---

(١) الطبرسي، أبو منصور أحمد بن أبي طالب (من أعلام القرن السادس الهجري)، الاحتجاج، (دار المجتبى: النجف، ٢٠٠٩م)، ج١، ص٨٧.

(٢) ذكر امتناع الإمام علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر عدد مجموعة من المؤرخين منهم: الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب (ت١٢٤هـ)، المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر: بيروت، ١٩٨١م)، ج٢، ص١٤٨؛ ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، ط٢، (دار ومكتبة الهلال: بيروت، ١٩٩٠م)، ج٤، ص٨٧.

وفي رواية لليعقوبي [١] تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس [٢]، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد [٣]، والمقداد بن الأسود [٤]، وأبو ذر الغفاري [٥] وسلمان المحمدي [٦]، وغيرهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٤.

(٢) الفضل بن العباس: بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وكنيته أبو محمد من صحابة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وصحابة أمير المؤمنين اختلف في يوم وفاته قيل في أيام أبي بكر وقيل في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص٤٠ـ ٤١؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٧، ص١١٤؛ ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، (دار الأعلام: الأردن، ٢٠٠٢م)، ص٦٠٣.

(٣) خالد بن سعيد: بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي وكنيته أبو سعيد، صحابي من أوائل المهاجرين، وهو ممن هاجر إلى الحبشة ومعه امرأته أُميمة بنت خالد الخزاعية، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة وحنين والطائف وتبوك، وكان من الموالين لعلي بن أبي طالب عليه السلام. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٧٠ـ ٧١؛ السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٢٠٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٢٠٢؛ الياسري، خلود حامد كامل، صحابة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودورهم في الحياة العامة للمسلمين ١١ـ ١٦هـ، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة المستنصرية، ٢٠٠٩م)، ص١٢.

(٤) المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة وكنيته أبو معبد، حالف الأسود بن يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه فكان يقال له المقداد بن الأسود، هاجر إلى الحبشة وهو أول من أعلن إسلامه بمكة توفي سنة ٣٣هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص١١٩. ١٢١.

(٥) أبو ذر الغفاري: اختلف المؤرخون في اسمه برير بن جنادة، بينما البعض الأخر اسمه برير بن عبد الله، وقيل برير بن جندب، والراجح هو جندب بن جنادة بن سفيأن بن عبيد بن عرام بن كنانه بن مدركة الغفاري، من أعلام الصحابة وزهادهم من المهاجرين، توفي سنة ٣٢هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص١٦٥. ١٦٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٨٠٠. ٨٠٢.

(٦) سلمان المحمدي: ويكنى أبا عبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصله من ←

بل إن الإمام علياً عليه السلام لم يكتف بذلك وإنما أنكر هذه البيعة أشد الإنكار وأعلن بكل وضوح أنه أحق بالخلافة من أبي بكر.

فقد روى الشيخ المفيد[١] ما نصه: " ما أتاني على علي عليه السلام يوم قط أعظم من يومين أتياه، فأما أول يوم فاليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما اليوم الثاني فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه إذ قال له عمر: يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك علي فابعث إليه حتى يأتيك فيبايعك، قال: فبعث قنفذاً، فقال له: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال علي عليه السلام: لأسرع ما كذبتم على رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلف رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً غيري ".

وهذا الموقف من الإمام علي عليه السلام يعد بداية الحراك السياسي للعلويين ومعارضتهم لحاكمية الحكام الذي تولوا زمام السلطة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبناءً على ما جرى في السقيفة وأخذ البيعة لأبي بكر من قبل أغلب المهاجرين والأنصار وعدم موافقة الإمام علي عليه السلام وبني هاشم وبعض المهاجرين والأنصار على هذه البيعة، وجد في داخل الكيان الإسلامي فريقأن:

(امهر مز) من فارس، تنقلت به الأحوال إلى أن صار من موالي يهود المدينة، وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة أسلم، اختلف المؤرخون في وفاته فقيل في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٩٥.

(١) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن العكبري (ت٤١٣هـ)، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، ط٢، (دار المفيد: بيروت، ١٩٩٣م)، ص١٨٧؛ البحراني، هاشم (ت١١٠٧هـ)، غاية المرام وحجة الخصام في تعين الإمام من طريق الخاص والعام، تحقيق: علي عاشور (إيران: د.ت)، ج٥، ص٣٣٧.

الأول منهما: ذهب إلى أن الخلافة والإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنّما هي قائمة على مبدأ الشورى والإجماع من قبل المسلمين، والثاني منهما: ذهب إلى أنها بالنص من قبل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تزعم الفريق الأول أبو بكر، وتزعم الفريق الثاني الإمام علي عليه السلام سنسلط الضوء على هذين المبدأين محاولين معرفة مصداقتيهما حتى يصح الاستدلال بهما.

فأما الشورى لغة فقد ذكر أرباب اللغة أن المشورة مفعلة عن الإشارة أشرت عليه بكذا إشارة [١] وإذا اشتور القوم فهو الشورى [٢]، وأشار عليه بكذا أمره به وهي الشورى [٣].

لقد فسر الراغب الأصفهاني [٤] الشورى بأنه من التشور والمشاورة وهي استخراج الرأي مراجعة البعض والآخر، شتور القوم: شاور بعضهم البعض، والمستشار: العليم الذي يؤخذ رأيه في أمر مهم علمي أو فني أو سياسي أو قضائي ونحوه، هو اصطلاح محدث " إلا أنّها ليست مرتجلة بل منقولة عن الأصل اللغوي

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٨٨م)، مادة شور؛ مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات، المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، (المكتبة الإسلامية للطباعة: تركيا، د.ت)، مادة شور.

(٢) السند، محمد، الإمامة الإلهية، تحقيق: محمد علي بحر العلوم، (قم: ٢٠٠٦م) ص ١٤٠. ١٤١.

(٣) ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة شور؛ الميداني، أبو الفضل بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة: قم، ١٩٤٦م)، مادة شور.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، (مطبعة كيميا: قم، ٢٠٠٤م)، ص٤٧٠.

لمناسبة بين المنقول منه والمنقول إليه بل قد يقال إنّه نفس المعنى القديم وليس معنى جديداً منقولاً " [١].

يبدو مما ذكرناه أن الشورى هي اجتماع قوم للتحاور والتفاهم فيما بينهم لاستخلاص الرأي في أمرٍ ما وفق مقاييس العقل والمنطق وأدب الحوار، وإذا رجعنا إلى ما جرى في داخل سقيفة بني ساعدة نجد أن مفهوم الشورى بالمعنى المتقدم لم يكن حاضراً فيها، وأن المتتبع لحدث السقيفة وملابساتها يكشف بوضوح أن منطقها لم يكن منطق تفاهم ومشورة، وإنما كان منطق تنازع ومهاترة حتى أن القوم لشدة تخاصمهم وتنافسهم على الخلافة كاد القتال أن يقع بينهم.

فقد روى الطبري [٢] " فقام الحباب بن المنذر فقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا (أي إشارة إلى عمر) وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين أنا جذيلها المحكك وغذيقها المرجب أما والله لئن شئتم لنعيدها جذعة فقال عمر إذاً يقتلك الله قال بل إياك يقتل ".

ثم أقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطؤوه [٣]، فقال عمر: اقتلوه قتله الله، ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى يندر عضوك [٤] فأخذ

---

(١) السند، محمد، الإمامة الإلهية، ص١٤١.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٢.

(٤) الشريف المرضي، علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) الشافي في الإمامة، ط٢، (مؤسسة ←

قيس بن سعد[١] بلحية عمر[٢]، قال: والله لئن حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة، فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر الرفق هاهنا أبلغ، فأعرض عنه عمر، وقال سعد: أما والله لو أرى من قوتي ما أقوى على النهوض لسمعتم مني في أقطارها وسككها زئيراً يجحرك وأصحابك، أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع [٣].

ونستطيع أن نقول إنّ الشورى بمفهومها العملي لم تحصل في التاريخ الإسلامي في قضية الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا مرة واحدة فإنّ المسلمين كلما تشاوروا في شأن زعامتهم وقع الشقاق والخلاف فيما بينهم.

علما أن هناك مجموعة من الصحابة لا يقل شأنهم ممن حضر في السقيفة أن لم يكونوا أفضل منهم لم يشاورهم أحد بشأن الزعامة والخلافة حتى أنهم لما سمعوا بيعة أبي بكر أرادوا أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين إنكاراً منهم لبيعة أبي بكر.

فقد روى الجوهري[٤]: "ورأيت في الليل المقداد وسلمان، وأبا ذر، وعبادة

اسماعليان: قم، ١٩٨٩م)، ج٣، ص١٩٠.

(١) قيس بن سعد: هو ابن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي من كرام أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسخيائهم ودهاتهم، كان شريف قومه هو وأبوه، صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صحب الحسن عليه السلام حتى صالحه مع معاوية توفي سنة ٥٩هـ / ٦٧٨م أو ٦٠هـ / ٦٧٩م. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص١٢١-١٢٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٦٠٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٢.

(٣) الشريف المرضي، الشافي في الإمامة، ج٣، ١٩٠.

(٤) الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣هـ)، السقيفة وفدك، تقديم وجمع وتحقيق: محمد هادي الأميني، ط٢، (مطبعة شركة الكتبي للطباعة: بيروت، ١٩٩٣م)، ص٤٩.

ابن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة، وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين ".

ويبدو أن هؤلاء الصحابة وغيرهم ممن لم يحضر السقيفة كبني هاشم والزبير وطلحة لو استشارهم أحد في بيعة أبي بكر لأعلنوا رفضهم لهذه البيعة، ولعزموا على إعادة اختيار الخليفة بالشورى مرة أخرى، إذن فإنّ مبدأ الشورى لم يكن هو المستند الصحيح الذي يمكن أن يحتج به على خلافة أبي بكر.

ولعل البعض يستدل بالآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الشورى على هذا المبدأ مثل قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (١) وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (٢).

إذ إن لفظ الأمر الوارد في الآيتين يدل في بعض معانيه على مسألة الحكم، ولكن لو رجعنا إلى كتب التفاسير فنرى أن المفسرين من أعلام الشيعة والسنة قد ذكروا أن الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إنّما كان يشاور الصحابة فيما يتعلق بأمور الحرب بشكل خاص وبغيرها من شؤونهم بنحو عام ولم يستشر أحداً من صحابته يوماً بشأن الخليفة والإمام من بعده.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمرِ﴾، وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الّذي يستدلّ بهما العامة في المقام فلا يراد بهما الشورى في الخلافة، وإلاّ لكان على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يشاور أصحابه في اختيار الخليفة من بعده، مع أنّه لم يفعل ذلك بالاتّفاق، وإنّما كان يشاور أصحابه في ما يتعلّق بمصالح

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٨.

الحروب وغيرها [(١)].

قال ابن كثير [(٢)] يشاورهم في الحروب ونحوها، وقال الفخر الرازي [(٣)] قال الكلبي وكثير من العلماء: هذا الأمر أي في [شاورهم] مخصوص بالمشاورة في الحروب، وذكر القرطبي [(٤)] كان يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب.

وأما الإِجْمَاعُ، أَي إِجْمَاعُ الأُمَّةِ: الاتِّفَاقُ، يقال: هذا أَمْرٌ مُجْمَعٌ علَيْه: أَيْ مُتَّفَقٌ عليه [(٥)]، وقالَ الرّاغِبُ [(٦)]: أَي اجْتَمَعَتْ آرَاؤُهُمْ علَيْه، وقالَ أَبُو الهَيْثَمِ: الإِجْمَاعُ: جَعْلُ الأَمْرِ جَمِيعاً بَعْدَ تَفَرُّقِه، وقالَ الفَرّاءُ: الإِجْمَاعُ: العَزْمُ علَى الأَمْرِ والإِحْكَامُ عَلَيْه. تَقُولُ: أَجْمَعْتُ الخُرُوجَ، وأَجْمَعْتُ عَلَيْه [(٧)] وبهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً } [(٨)].

(١) البغدادي، خالد، تصحيح القراءة في نهج البلاغة رداً على " قراءة في نهج البلاغة " للديلمي، (مطبعة ستاره: إيران، ٢٠٠٦م)، ص١٤٥.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم المعروف بـ تفسير ابن كثير، (دار الأندلس: بيروت، د.ت)، ج٦، ص٣٠٨.

(٣) الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٩، ص٥٥.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لإحكام القرآن، تصحيح وتحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٨٥م)، ج٨، ص٣٧.

(٥) الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر: بيروت، ١٩٩٤م)، مادة جمع.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٠١.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، مادة جمع.

(٨) سورة طه، آية: ٦٤.

فإما الإجماع فهو في اللغة يطلق على معنيين أحدهما: العزم التام[١] كما في قوله تعالى { فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ }[٢]، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا صيام لمن لا يجمع الصيام من الليل"[٣].

والإجماع بهذا المعنى يتصور من الواحد، وثانيهما: الاتفاق[٤] (يقال: أجمع القوم على كذا) إذا اتفقوا، وفي الاصطلاح: يطلق على اتفاق المجتهدين من أُمة محمد بعد زمانه في عصر على الحكم الشرعي[٥].

والظاهر من مصطلح الإجماع هو اتفاق مجموعة معينة على فعل ورأي معين[٦] واستدلوا عليه بأحاديث مروية عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها: "أن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم"[٧] و: " إن أمتي لا تجتمع على خطأ "[٨].

(١) الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ)، اللمع في أصول الفقه، حققه وقدم له وعلق عليه: محي الدين ديب مستو ويوسف علي بديوي، ط٢، (دار ابن الكثير للطباعة: بيروت، ١٩٩٥م)، ص٢٤٥.

(٢) سورة يونس، آية: ٧١.

(٣) ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: محمد مصطفى الاعظمي، ط٢، (د.ط: ١٩٩٢م)، ج٣، ص٢٨٩.

(٤) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ)، الكليات، قابله على نسخه وأعده الطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري، (د.ط: ١٩٩٢م)، ج١، ص٤٦.

(٥) الكفوي، الكليات، ج١، ص٤٦؛ الشيرازي، أبو إسحاق، اللمع في أصول الفقه، ص ١٨٦وما بعدها.

(٦) الشيرازي، أبو إسحاق، اللمع في أصول الفقه، ص١٨٤.

(٧) ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز بن محمد الإبراهيمي، (دار السلام: الرياض، ١٩٩٩م)، ص٥٦٧.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٥م)، ص٢٥.

وهذه الأحاديث ضعيفة [١]، من حيث السند ومع الإغماض عن سندها فأنها معارضة بحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله " اختلاف أمتي رحمة " [٢].

إنّ مصطلح الإجماع ينصرف إلى إجماع الأمة وليس مجموعة معينة، حيث يقصد بالإجماع إجماع المسلمين وأنّ هذا الادعاء ليس إلا ترقيع، وعلى وفق حقيقة الإجماع يمكن أن نقول إن مصطلح الإجماع ظل حبيساً للمفهوم النظري، إذ لم يشهد تاريخ الأمة إجماعاً على طول مراحله، وأنّ مثل هذه الأحاديث لا تنفع في مقام الاستدلال على صحة بيعة أبي بكر وذلك لأن الإجماع على بيعة لم يكن متحققاً لا في داخل السقيفة ولا في خارجها. فإما عدم تحققه في داخل السقيفة فلامتناع سعد بن عبادة وأبنائه وبعض أقاربه من الخزرج عن مبايعة أبي بكر بل إنّه لم يبايع أبا بكر مطلقاً لا في داخل السقيفة ولا في خارجها كما أنه لم يبايع عمراً عندما آلت الخلافة إليه حتى قتل غيلةَ في حوران[٣]

(١) الإسناد ضعيف جدا فروى هذه الأحاديث أبو خلف الأعمى قيل اسمه حازم بن عطاء وهو ضعيف قال الحافظ: متروك ورماه ابن معين بالكذب. ينظر: ابن أبي عاصم، أبو بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني، (ت٢٨٧هـ)، كتاب السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، (بيروت: ١٩٩٣م)، ص٤١؛ الشيرازي، أبو إسحاق، اللمع في أصول الفقه، ص١٨٠.

(٢) السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ج١، ص٤٨؛ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حققه وضبطه وتفسير: بكري حياتي، تصحيح وفهرسه: صفوة اسبق، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٨٩م)، ج١٠، ص١٣٦.

(٣) حوران: كورة واسعة من إعمال دمشق في القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع، قصبتها بصرى، ومنها أذرعات وزرع وغيرها. ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت٣٢٩هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار الجبل: بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٤٣٥.

في بلاد الشام [١].

فقد روى الطبري [٢] في تاريخه بشأن السقيفة والإجماع: " ثم حمل سعد بن عبادة إلى داره فبقي أياماً فأرسل إليه أبو بكر ليبايع ؛ فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي ما أطاعني وأقاتلكم بأهل بيتي، ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الجن والإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي، فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال بشير بن سعد: إنه قد لج وليس بمبايع لكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله، وطايفة من عشيرته، ولا يضركم تركه، إنما هو رجل واحد، فاتركوه ".

وأي إجماع ذلك الذي يتخلف عنه علي عليه السلام وبنو هاشم والزبير[٣] وخالد بن سعيد وسعد بن عبادة وآخرون، فإن قال قائل إنّ هؤلاء لم يبايعوا أبا بكر في يوم السقيفة وفي ما بعدها فإنّهم بايعوهُ على ما ذكرت بعض المصادر بعد ستة أشهر من حادثة السقيفة فيكون الإجماع منعقداً.

فقد ذكر العلامة المجلسي [٤] هذا الإشكال وأجاب عنه أيضاً بما نصه: " فإن

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق: محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، قدم له: محمد عبد المنعم البري وعبد الفتاح أبو سنة، ط٣، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٨م)، ج٣، ص٤٤٣.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٣٣١؛ المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، ط٢، (مؤسسة الوفاء: بيروت، ١٩٨٣م)، ج٢٨، ص٣٢٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١٠٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٦٦.

قيل: إن لم يتحقق الإجماع على خلافة أبي بكر في يوم السقيفة، لكنهُ بعد ذلك إلى ستة أشهر قد تحقق اتفاق الكل على خلافتهِ، ورضوا بإمامته، فتم الإجماع، قلنا أيضاً ذلك ممنوع، لما عرفت من عدم بيعة علي عليه السلام وأصحابه له ستة أشهر أيضاً، ولو تسلم أنه صفق على يده كما يفعله أهل البيعة، فلا ريب أن سعد بن عبادة وأولاده لم يتفقوا على ذلك ولم يبايعوا أبا بكر وعمراً".

أقول في الجواب على الإشكال المتقدم توضيحاً لجواب المجلسي إنّ بيعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر ليس هناك ما يؤكدها من جميع الأطراف، باعتبار أنه قد بايع كرهاً، وأما عدم بيعة سعد بن عبادة وأولاده وطائفة من قومه مسلمة ولا إشكال فيها وامتناعهم عن البيعة كافٍ في إبطال الإجماع.

وقد ذكر ابن حزم [(١)] في هذا الخصوص أن الإجماع إنّما هو إجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم، لو جاز أن يسمى إجماعاً ما خرج عن الجملة واحدٌ، لا يعرف أيوافق سائرهم أم يخالفهم.

فالإجماع على هذا القول، هو ما أجمعت عليه الأمة قولاً وفعلاً، وتظافرت عليه آراؤها، واتفقت فيه كلمتها، وكل ما كان خلافهُ، فهو ليس بإجماع، فالمخالفة إذن، خرق للإجماع، ويسقط عندها عن الحجية مطلقاً [(٢)].

قد تبين خلال ما تقدم أن مبدأ الشورى الذي انتخب فيه أبو بكر خليفة لا واقع له وكذا الإجماع المدعى لا واقع له أيضاً فعليه لا يصح الاستدلال على

---

(١) ابن حزم الاندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، المحلى، (دار الفكر: بيروت، د. ت)، ج١، ص٥٤.

(٢) الحلو، محمد علي، خلفاء على المدرستين قراءة في نصوص أهل السنة، (مطبعة محمد: ١٩٨٨م)، ص٣٦.

صحة بيعة أبي بكر في داخل السقيفة بما يسمى بالشورى والإجماع إنما تم اختياره بطريقة فرضت نفسها تبعاً للظروف الراهنة آنذاك.

هذا وقد جرت مناظرة بين الإمام علي عليه السلام وأبي بكر حينما أحضروه كرهاً لكي يأخذوا منه البيعة ويفهم من هذه المناظرة أن الإمام علياً عليه السلام لم يكن يعتقد بشرعية خلافة أبي بكر وإنما كان يعتقد أنه أحق بالخلافة بهذا الأمر منه.

فقد ذكر الجوهري [١] " وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة صلوات الله عليها، منهم أسيد بن حضير، وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب، فوثب عليه سلمة بن أسلم. فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعلي ومعهما بنو هاشم، وعلي يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايع فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم "

وقد روى ابن أبي الحديد [٢] " لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع فقال له علي عليه السلام: احلب يا عمر حلباً لك شطره! اشدد له

---

(١) السقيفة، ص٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، (دار إحياء التراث: بيروت، ١٩٦٥م)، ج٦، ص١١.

اليوم أمره ليرده عليك غداً! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه ".

فتبين من محاججة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر إنكاره الشديد لاختياره خليفة للمسلمين ورفضه منطق السقيفة ومداعيات الشورى والإجماع التي قامت عليها بيعته وأنّ الإمام علياً عليه السلام وفقاً للحجج التي ذكرت في السقيفة من القرابة والسابقة في الإسلام والنصرة لدين الله وهي أدلة المهاجرين أولى بالخلافة من غيره، وأن احتجاجه عليه السلام هذا إنّما كان جريا على ما جرى عليه القوم من الحجج التي احتجوا بها على الأنصار في السقيفة، وهي حجج واهية أما الحجة الكبرى التي احتج بها الإمام علي عليه السلام في أحقيته بالخلافة ومنصب الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهي النص عليه من قبل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالإمامة من بعده ومبايعة المسلمين له ومنهم أبو بكر وعمر.

فقد روى الطبرسي [1] " فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا معاشر المهاجرين والأنصار الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري ولا تخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه وآله وسلم من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس فو الله معاشر الجمع إنّ الله قضى وحكم نبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ".

فقول الإمام علي عليه السلام (لا تنسوا عهد نبيكم في أمري) فيه إشارة إلى النص من قبل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عليه بإمامة وخلافة للمسلمين من بعده وقوله عليه السلام (إنّ الله قضى وحكم ونبيه أعلم) فيه

(١) الاحتجاج، ج١، ص٨٨-٨٩.

إشارة إلى النص الذي ورد في إمامته وبلغه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لعامة المسلمين، إنّما هو بأمر من الله سبحانه لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد سبق أن ذكرنا أنّ الفريق الثاني الذي قال إنّ الخلافة والإمامة بالنص إنّما تزعمهُ الإمام علي عليه السلام فبناءً على ذلك فنسلط الضوء على هذا المبدأ محاولين معرفة مدى مصداقيته لكي يصح الاستدلال به كما سلطنا الضوء على مبدئيْ الشورى والإجماع الذي سبق بطلانهما.

وإما الإمامة: في اللغة مصدر على زنة فعالة المضاعف يقال أَمَّ القوم وبالقوم يؤمهم أمَّاً وإماماً وإمامة مثل كتب يكتب كتباً وكتابة.

ففي المفردات [١] : " الإمام: المؤتم به، إنساناً، كأَنْ يُقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك مُحِقّاً كان أو مُبْطِلاً، وجمعه: أئمّة " وفي الصحاح [٢] : "الإمام: الذي يُقتدى به، وجمعه أئِمّة "، وفي لسان العرب [٣] " يقال إمام القوم: معناه هو المتقدّم لهم، ويكون الإمام رئيساً كقولك: إمامُ المسلمين ".

ومعناهُ معجمياً القدوة أو من يقتدى بقوله أو فعله سواء كان محقاً أو مبطلاً واستعمل في القرآن الكريم في الإمام المحق كما في قوله تعالى **{ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً }** [٤].

وقوله تعالى **{ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا }** [٥] وقوله تعالى: **{ يَوْمَ نَدْعُو**

(١) الراغب الأصفهاني، ص٧٨.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٧م)، مادة إمامه.

(٣) ابن منظور، مادة أمم.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٢٤.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ } [١] والإمــام المبطــل كمــا قولــه تعــالى { فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ } [٢].

وأمــا في الاصــطلاح فقــد عرفهــا المــاوردي (ت٤٥٠هــ) [٣] : " الإمامــة موضوعة للخلافة النبوية لحراسة الدين وسياسة الدنيا ".

وعرفها نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) [٤] بقوله: " الإمامة رئاسة عامة دينية مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنيوية وزجرهم عما يضرهم بحسبها ".

وعرفها العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) [٥] : " رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم".

وعرفها الإيجي (ت ٧٥٦هـ) [٦] بقوله: " هي خلافة الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة ".

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ١٩٦٠م)، ص٥.

(٤) نصير الدين الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن (ت٦٧٢هـ)، قواعد العقائد، تحقيق: علي الرباني الكلبايكاني (مطبعة أمير: قم، ١٩٩٥م)، ص١٠٨. ١٠٩؛ الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، (دار المؤرخ العربي: بيروت، ١٩٩٣م)، ص٢٨١.

(٥) العلامة الحلي، جمال الدين أبو منصور حسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، الباب الحادي عشر، حققه وقدم له: مهدي محقق، (مطبعة دانشكاه: طهران، ١٩٤٥م)، ص٣٩؛ المطهري، مرتضى، الإمامة، ترجمة: جواد علي كسار، ط٢، (مؤسسة البلاغ للطباعة: بيروت، ١٩٩٩م)، ٩٤.

(٦) الإيجي، عبد الرحمن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، المواقف في علم الكلام، (عالم الكتب: بيروت، د.ت)، ص٣٩٥.

يتضح من التعريفات المتقدمة أن الإمامة هي منصب لشخص ما قائمٍ مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، له الرئاسة العامة على جميع المسلمين ومهمته قيادة المجتمع الإسلامي وحفظ مصالح المسلمين الدينية والدنيوية طبقاً للشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن الشخص القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قيادة المجتمع الإسلامي وهو الإمام علي عليه السلام بنصٍ من قبل الله (سبحانه وتعالى) وتبليغٍ من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في حادثة غدير خم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١).

وقد ذكر الواحدي والسيوطي (٢) أنّ هذه الآية نزلت يوم غدير خم في علي ابن أبي طالب عليه السلام.

وذكر الشيخ الطوسي (٣) في تفسيره قال: أبو جعفر وأبو عبد الله عليه السلام إن الله تعالى: لما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستخلف علياً كان يخشى أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بأدائه، والآية فيها خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإيجاب عليه تبليغ ما أنزل إليه من ربه وتهديد له إن لم يفعل وأنّه يجري مجري إن لم يفعل ولم يبلغ رسالته.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) الواحدي أسباب النزول، ص١٥٠- ١٥١؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط٢، (دار الفكر: بيروت، ١٩٨٨م)، ج٦، ص١١٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص٥٨٨.

روى العياشي [١] في تفسيره قال: أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقولوا: حابى ابن عمه وأن يطغوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [٢] فقام رسول الله صلى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خم.

إذن فإنّ هذه الآية الكريمة تدل بحسب ما ذكره جملة من المفسرين من الفريقين على أنها نزلت بالأمر الإلهي إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكي ينصب الإمام علياً عليه السلام خليفة وإماماً قائماً مقامهُ من بعده وهذا ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفعل في حادثة الغدير التي فيها دلالة واضحة على أنّ الإمام والقائد لجماعة المسلمين من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام علي عليه السلام.

وحديث الغدير متواتر وهو دليل قوي وغير منقوص على إمامة علي عليه السلام وتقريرهُ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما رجع من حجة الوداع [٣] وصل غدير خم خطب في المسلمين قائلاً: **معاشر المسلمين ألست أولى بكم من**

---

(١) العياشي، أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٩١م)، ج١، ص٣٦٠.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) الطبرسي، عماد الدين الحسن بن علي (من أعلام القرن السابع الهجري)، أسرار الإمامة، تحقيق وتصحيح: قسم الكلام، (مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة: إيران، ٢٠٠١م)، ص٣٠٨.

أنفسكم، قالوا بلى، قال صلى الله عليه وآله وسلم : **"من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله"**[١].

ولقد نقل المسلمون كافة هذا الحديث نقلاً متواتراً لكنهم اختلفوا في دلالته على الإمامة ووجه الاستدلال أن لفظ (مولى) تفيد (الأولى) لأن مقدمة الحديث تدل عليه، ولأن عرف اللغة يقتضيه وكذا الاستعمال لقوله تعالى **{النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ}**[٢] أي أولى بهم، وقول الأخطل: (فأصبحت مولاها من الناس كلهم)، وقولهم مولى العبد أي الأولى بتدبيره والتصرف فيه[٣].

كما أن حديث الغدير أخرجه جماعة من حفاظ أهل السنة وقد رواه ابن حجر[٤] في صواعقه عن ثلاثين صحابياً ونص على أن طرقه صحيحة وبعضها حسن.

وقد وثقت ذلك المصادر التاريخية المتعددة بما لا لبس فيه فلما نزلت الآية في فضل علي عليه السلام أوقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الركب ووضعوا له منبراً من أحداج الإبل خطب عليه خطبته المعروفة ثم أخذ بيد علي عليه السلام وقال: **" ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فكررها ثلاثاً ثم قال: فمن**

---

(١) ينظر بتفاوت بالألفاظ: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص١١٩؛ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص٦٧- ٦٨؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج١، ص١٩٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ١٥.

(٣) العلامة الحلي، جمال الدين أبو منصور حسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق وتعليق: حسن حسن زاده الآملي، ط١٠، (مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ٢٠٠٤م)، ص٥٠٠.

(٤) الصواعق المحرقة، ص١٢٢.

كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله فلقيه الثاني فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة "[١].

واستناداً لما أكده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في النص على خلافة الإمام علي عليه السلام وأنه هو الأولى بالقيام مقامه من غيره، قام الإمام علي عليه السلام بخطوة معلناً فيها رفضه لبيعة أبي بكر بالإضافة إلى معارضته لهذه البيعة وإنكاره لها كما تقدم إذ دار على بيوت المهاجرين والأنصار مذكراً إياهم بأحقيته بهذا الأمر وطالباً منهم المعونة والنصرة لاسترداد حقه المغتصب.

روى ابن قتيبة[٢] " خرج علي عليه السلام يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولوا أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي عليه السلام أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس في سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم ".

يقول عبد الفتاح عبد المقصود[٣] لو أنصف الناس حق الإنصاف لأرجأوا البيعة حتى يتم لهم، مواراة جثمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان هذا

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٧٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٨.

(٢) الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٩.

(٣) عبد المقصود، عبد الفتاح، المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، (دار الصفوة: بيروت، ٢٠١٢م)، ج١، ص٢٠٤.

أدنى إلى الصواب، إن لم يكن هو الصواب، أن يتريث القوم من المهاجرين والأنصار لا يتنازعون سلطان محمد بينهم، ومحمد ما زال مسجى على فراشه لم يغيبه عن عيونهم مثواه.

وأقول إنّ الصواب كل الصواب هو الإقرار ببيعة الإمام علي عليه السلام التي بايعه فيها المهاجرون والأنصار في غدير خم والالتزام بها فيكون هذا الإقرار والالتزام أولى من نكث هذه البيعة وعقد مؤتمر السقيفة ينازعون فيه حقاً ليس لهم لا من قريب ولا من بعيد.

وقد استمر الإمام علي عليه السلام بالمطالبة بحقه وحث المهاجرين والأنصار على نصرته عازماً على رفع درجة المعارضة لبيعة السقيفة إلى إعلان الثورة والصدام المسلح ضد القافزين على ثوابت الرسالة المحمدية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومتى وجد أنصاراً مخلصين يضعون أنفسهم في سبيل الله لإعادة الحق إلى نصابه، وتقويم الزيغ عن جادة الصواب، والقضاء على الانحراف عن التعاليم السماوية التي بلغها إليهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد روى الكليني [(١)] أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس في المدينة فقال: "... لو كان لي عدة أصحاب طالوت أو عدة أهل بدر وهم أعداؤكم لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق... قال ثم خرج من المسجد فمر بصيرة [(٢)] فيها نحو من ثلاثين شاة، فقال: والله لو أن لي رجالاً ينصحون لله عز وجل

---

(١) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٨- ٣٢٩هـ)، الروضة من الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٤، (مطبعة حيدري: إيران، ١٩٤٣م)، ج٨، ص٣٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٨، ص٢٤٠- ٢٤١.

(٢) بصيرة: حظيرة الأنعام من البقر والغنم. الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٢.

ولرسوله بعدد هذه الشياه لأزلت ابن آكلة الذبان [١] عن ملكه قال: فلما أمسى بايعه ثلاثمائة وستون رجلاً على الموت فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام) : اغدوا بنا إلى أحجار الزيت [٢] محلقين، وحلق أمير المؤمنين (عليه السلام) فما وافى من القوم محلقاً إلا أبو ذر والمقداد... وجاء سلمان في آخر القوم ".

وقد روي عن أبي بصير [٣] عن أبي جعفر محمد الصادق عليه السلام قال: " جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى عليٍّ " عليه السلام " فقالوا له أنت والله أمير المؤمنين وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) هلم يدك نبايعك فو الله لنموتن قدامك، فقال علي " عليه السلام ": إنْ كنتم صادقين فاغدوا عليَّ غداً محلقين فحلق علي " عليه السلام " وحلق سلمان وحلق المقداد، وحلق أبو ذر ولم يحلق غيرهم ثم انصرفوا فجاؤوا مرة أخرى بعد ذلك، فقالوا له. أنت والله أمير المؤمنين وأنت أحق الناس وأولاهم بالنبي هلم يدك نبايعك وحلفوا، فقال إن كنتم صادقين فاغدوا علي محلقين! فما حلق إلا هؤلاء

---

(١) الذبان: - بالكسر والتشديد -: جمع ذباب وكنى بابن آكلتها عن أبي بكر، لأن المشركين كانوا في الجاهلية يأكلون من كل خبيث نالوه. الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٢.

(٢) أحجار الزيت: هي أحجار قرب المسجد عند السوق بالمدينة، وهي ثلاثة أحجار كان يضع الزياتون زيتهم عليها. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٠٩.

(٣) أبو بصير: هو ليث بن البختري المرادي روى الأحاديث عن الصادق وأبي عبد الله (عليهما السلام) وثقه البعض وأضعفه آخرون له كتاب يرويه جماعة منهم جميلة المفضل بن صالح. ينظر: الغضائري، أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم أبو الحسين الواسطي البغدادي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، رجال ابن الغضائري، تحقيق: ماجد الكاظمي (مطبعة شريعت: إيران، ١٩٦٠م)، ص٩٤؛ التفرشي، مصطفى بن الحسن الحسيني (من أعلام القرن الحادي عشر)، نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مطبعة ستاره: قم، ١٩٩٧م)، ج٤، ص٧٦.

الثلاثة"[١].

فرفع يده إلى السماء فقال: اللهم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[٢] كما استضعف بنو إسرائيل هارون، اللهم فإنّك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء توفني مسلماً وألحقني بالصالحين[٣].

وهكذا لما رأى الإمام عليه السلام تخاذل المهاجرين والأنصار عن نصرته مع علمهم بأحقية إمامته، إلا نفر قليل جداً آثر المهادنة والجلوس في بيته والإغماض عن حقه على مضض وشكوى من قلة العدد وخذلان الناصر.

وقد روى الشيخ المفيد[٤] عن الإمام عليه السلام أنّه قال: "... اللهم إني

---

(١) الكشي، أبو عمرو محمد بن عبد العبرين (ت٣٥٠هـ)، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه: أحمد الحسيني، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: كربلاء، د.ت)، ص١٤؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل المبيدي وأبي الفضل الموسويان، (طبع في إيران: طهران، ١٩٦٢م)، ج١، ص٦٩- ٧٠؛ الفتال النيسابوري، محمد بن الحسن بن علي أحمد ابن علي (ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، وضع المقدمة: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٦م)، ج٢، ص٢٨٢؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٣٧٤.

(٢) ينظر: الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٢؛ مغنية، محمد جواد، لماذا قعد الإمام عن حقه بالخلافة، مجلة العرفان، النجف، ١٩٦١م، ج١، ص١٧- ١٨.

(٣) الكليني، الروضة من الكافي، ج٨، ص٣٢؛ الهمداني، أحمد الرحماني، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، (مطبعة منير: طهران، ١٩٩٦م)، ص٦٩٩؛ الكوراني، علي العاملي، قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية، (د.م: ٢٠١١م)، ج٢، ص٢٤١.

(٤) الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، الجمل النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، تحقيق: علي ميرشريفي، ط٢، (دار المفيد: بيروت، ١٩٩٣م)، ص٦١.

أستعينك على قريش فإنهم ظلموني حقي ومنعوني إرثي وتمالؤا علي وقال عليه السلام لم أزل مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقال وقد عهد إليّ رسول الله أن الأمة ستغدر بي من بعده وقال اللهم أجز قريشاً عني الجوازي فقد قطعت رحمي ودفعتني عن حقي وأغرت بي سفهاء الناس وخاطرت بدمي ".

وهكذا يتجلى بكل وضوح بأن الإمام علياً عليه السلام هو صاحب الحق الشرعي في خلافة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأن خلافة من تقدمه فيها نظر، وأنّ الإمام عليه السلام لم يقر له بالإمامة إنّما ظل الأمر في حدود المنصب الوظيفي الرسمي وليس الديني وعلى هذا الأساس استند العلويون في ثوراتهم ضد حكام بني أمية وحكام بني العباس لأنهم كانوا يعتقدون بأن الإمامة والخلافة إنّما هي محصورة بعلي بن أبي طالب عليه السلام وبنيه من بعده وأن كل من اعتلى عرش الخلافة من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاحق له بهذا الأمر وهناك أسباب أخرى بالإضافة إلى هذا السبب الجوهري قامت على أساسها ثوراتهم وسيأتي استعراضها ومناقشتها ومعرفة مدى مصداقيتها عند التطرق لهذه الثورات تباعاً في الفصول القادمة إن شاء الله.

المبحث الثالث: جذور الصراع بين العلويين والأمويين

لما بويع الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان ابن عفان (سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م)، أجمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وكانت بيعته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة[١]، بعد أن ألح المسلمون الثائرون على عثمان وغيرهم بقبوله للخلافة ورفض الإمام علي عليه السلام لهذا الطلب حيث قال: **" لا حاجة لي في أمركم أنا معكم من اخترتم فلقد رضيت به"[٢].**

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٤؛ ابن العمري، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم: قاسم السامرائي، (دار الآفاق العربية: القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٤٨؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، (دار المعرفة: بيروت، د.ت)، ج١، ص١٧٠؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر: مصر، ١٩٦٣م)، ج٤، ص ٤١٦.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ←

ولكن الجموع التي تجمعت حول الإمام علي عليه السلام تمسكت به وألحت عليه إلحاحاً شديداً في قبول البيعة إذ قالوا له: " ننشدك الله ألا ترى ما نرى؟ ألا ترى ما حدث في الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله يا علي؟ وهكذا ازداد الإلحاح منهم حتى قبل الإمام بذلك ودعاهم إلى أن تكون بيعتهُ بيعة عامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " (١).

فلقد قال الإمام علي عليه السلام لهم إنْ كان لابد من ذلك ففي المسجد إنّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين وفي ملأ وجماعة (٢)، ثم توجه الإمام علي عليه السلام إلى المسجد والجموع تحف به من كل جانب حتى ارتقى منبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخطب فيهم قائلا: **"ألا إنّي كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم... رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم "** (٣).

→

ج٤، ص٤٢٧؛ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ)، الكافئة في أبطال توجه الخاطئة، تحقيق: علي أكبر نجاد، ط٢، (دار المفيد: بيروت، ١٩٩٣م)، ص١٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٨١؛ أبو الفداء، المختصر، ج١، ص١٧١؛ ابن الصباغ المالكي، علي ابن محمد بن أحمد المكي (ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق وتعليق: جعفر الحسيني، (مطبعة اعتماد: إيران، ٢٠٠٦م)، ص٣٤٩ـ ٣٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٧ وص٣١.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٣٤؛ مسكويه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسم الإمامي، ط٢، (دار سروش: قم، ٢٠٠١م)، ج١، ص٤٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٨١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٨١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٨.

وكانت بيعة الإمام علي عليه السلام عامة شاملة اشترك فيها جميع المهاجرين والأنصار [١] وتمام من كان في المدينة ولقد بايع الجميع عن الاختيار بحرية تامة ثم بايعهُ أهالي مكة والحجاز والكوفة [٢] ولقد صرح الإمام علي عليه السلام بأنّ بيعته عامة "... **وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ - ولا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ** " [٣].

كما صرحت بعض المصادر التاريخية الكثيرة مع وجود منْ امتنع عن البيعة من المهاجرين والأنصار على بيعة الإمام علي عليه السلام [٤].

إنّ أول خطوة قام بها الإمام علي عليه السلام في خلافتهِ هي عزل الولاة الذين كانوا في الأمصار الإسلامية من قبل عثمان وتعيين ولاة غيرهم وعزل

---

(١) المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، (مطبعة بهمن: قم، ١٩٩٧م)، ص٤٥؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٩٣؛ ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٩١م)، ج٢، ص٤٣٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٣١٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٩٨م)، ج٨، ص ١٣٦؛ الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت٤٢٦هـ)، رسائل الشريف المرتضى، تحقيق: أحمد الحسيني، (مطبعة الخيام: قم، ١٩٨٩م)، ج٤، ص٧٣.

(٢) الإسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت٢٢٠هـ)، المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (د.ط: ١٩٨١م)، ص٢٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٣١٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص١٠٦-١٠٧؛ نوار، صلاح الدين محمد، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني (١١-٤١هـ / ٦٣٢ - ٦١١م) دراسة تحليلية ونقدية مقارنة (مركز الدلتا للطباعة: القاهرة، ١٩٩٦م)، ص٩٠.

(٣) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ص٤٥٩-٤٦٠.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٧.

هؤلاء الولاة كان أحد مطالب الثائرين على عثمان فقد ذكر اليعقوبي [١] " وعزل علي عليه السلام عمال عثمان عن البلدان خلا أبو موسى الأشعري، كلمه فيه الأشتر فاقَرهُ ".

وقد تمرد بعض المهاجرين والأنصار على بيعة الإمام علي عليه السلام أمثال[٢] : عبد الله بن عمر[٣]، وأخيه عبيد الله [٤]، وأسامة بن زيد [٥]، وسعد بن

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٤.

(٢) آل بحر العلوم، حسين بن التقي، الثورة الحسينية بجذورها ومعطياتها، (الغدير: قم، ٢٠٠٨م)، ص٥١٠.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن رباح العدوي القرشي، وهو شقيق حفصة زوجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولد قبل الهجرة بعشر سنين اسلم وهاجر مع أبيه وهو صغير، وكان ممن بايع تحت الشجرة، لم يشارك في معركة أحد وبدر، وشارك في معركة الخندق، وشهد الفتح، لم يبايع الإمام علياً عليه السلام، توفي في مكة سنة ٧٣هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٤٢؛ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف، ط٢، (مؤسسة الرسالة للطباعة: بيروت، ١٩٩٨م)، ج٤، ص٢١٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٤) عبيد الله بن عمر بن الخطاب ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أسلم بعد إسلام أبيه، وأخيه، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم وكرمائهم، سكن بالمدينة وغزا افريقية هو وأخوه عبد الله مع عبد الله بن أبي سرح، وكان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم امتنع عن بيعة الإمام علي عليه السلام، شهد صفين مع معاوية فقتل فيها سنة ٣٧هـ. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٥، ص٤١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٥) أسامة بن زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب عبد العزى من كنانة عوف، ولد بمكة قبل الهجرة بسبع سنين، ونشأ على الإسلام، لانّ أباه زيداً كان من أوائل المسلمين، ورباه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبايع الإمام علياً عليه السلام توفي سنة ٥٤ هـ. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج١، ص٢٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٤٦ ـ ٤٧.

أبي وقاص، وحسان بن ثابت [١] ومحمد بن مسلمة [٢]، وعبد الله بن سلام [٣].

وبراوية اليعقوبي [٤] تمرد نفر من بني أمية " وبايع الناسُ [علياً] إلا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة ".

وكان من أشد المتمردين على الإمام علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجار الأنصاري، ولد في المدينة قبل ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بثمان سنين وعاش كما قيل (١٢٠عاماً) نصفها في الجاهلية ونصفها الآخر في الإسلام، كنيته أبو الوليد، وكان معروفاً بالجبن ولم يشهد مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي مشاهد في الحروبه، وكان من الشعراء المجُيدين، وكان شاعر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توفي سنة ٤٥هـ. ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق وتخريج وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، ط٩، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٩٣م)، ج٢، ص٥١٢- ٥١٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٥٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٦٣. ١٦٧.

(٢) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو ابن مالك بن الأوس يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل يكنى أبا عبد الله، شهد بدراً والمشاهد كلها، توفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وقيل سنة أربعين، وقيل سبع وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة. ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٦٤٣.

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، وقيل إنّه من أبناء النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام أسلم عند هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وكان اسمه قبل إسلامه الحصين، واعتزل في بيته ولم يبايع الإمام علياً عليه السلام توفي بالمدينة سنة ٤٣هـ. ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٩٢٢؛ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن الوزير أبو القاسم هبة الله بن علي بن جعفر (ت٤٧٥هـ)، إكمال الكمال، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه: عبد الرحمن اليماني، ط٢، (دار الكتاب العربي: بيروت، د.ت)، ج٤، ص٤٠٣؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٩٩٥ م)، ج٢٩، ص٩٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٢٦٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٣.

والي الشام [١].

والسبب في تمرد هؤلاء الأحقاد الجاهلية والدوافع السياسية لكونهم قد فقدوا بمقتل عثمان الامتيازات والمصالح التي آثرهم بها، فسعوا بسبب ذلك إلى إشاعة الخلاف ونشر الفرقة بين صفوف المسلمين إيغالاً منهم، في الفتنة وارتكازاً في العناد.

فقد روى ابن أبي الحديد[٢] "أنّ قوماً من قريش اجتمعوا في المسجد وتحدثوا فيما بينهم بشان بيعة الإمام علي عليه السلام وبما قام به الإمام علي عليه السلام من إصلاحات مالية حيث ساوى بين المهاجرين والأنصار والسابقين في الإسلام وغيرهم والأحرار والموالي في العطاء الأمر الذي أوجد في نفوسهم الإنكار له والتخلف عن بيعته من قبل البعض ".

قال ابن أبي الحديد [٣] " ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجاء إلى علي (عليه السلام)، فقال: يا أبا الحسن، إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب - وكان ثور قريش - وأما مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنا إن خفناك تركناك، فالتحقنا بالشام فقال الإمام علي (عليه السلام) : أما ما ذكرتم من وترى إياكم

(١) آل بحر العلوم، حسين، الثورة الحسينية، ص٥١٣؛ رضا، محمد، ذو النورين عثمان بن عفان (رض) ثالث الخلفاء الراشدين، اعتنى به: ناجي إبراهيم السويد، (دار القلم: بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٣٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٩؛ الأديب، عادل، دور أئمة أهل البيت في الحياة السياسية، (دار التعارف للمطبوعات: بيروت، ١٩٨٨م)، ص ٨٨ وما بعدها.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٣٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٩.

فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيركم، فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم، وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف " .

وأما امتناع معاوية عن بيعة الإمام علي عليه السلام فقد كانت لدافع شخصي وطمع سلطوي في إبقائهِ زعيماً ووالياً على الشام وعدم استعداده للتنازل عن هذا الامتياز الذي حصل عليه منذ خلافة أبي بكر واستمر عليه في خلافة عمر حتى أقره عليه عثمان، وأما ما أظهره من مطالبته بدم عثمان إنّما هو ذريعة اتخذها لإثارة الخلاف على أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وشق عصا المسلمين؛ لكي يبقى متربعاً على عرش سلطان الشام وقد رفض الإمام علي عليه السلام مشورة البعض في إبقائه على ولاية الشام حتى يأخذ له البيعة وتستقر له الأمور ثم يعزلهُ بعد ذلك، لأنّ الإمام علياً عليه السلام، لا أحد أحق منه ولا تأخذه في الحق لومة لائم وليس ممن يستعمل المكر والخديعة للوصول إلى الغاية.

قال الشيخ الطوسي (١) : " لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بلغهُ أنّ معاوية قد توقف عن إظهار البيعة له، وقال: إن أقرني على الشام وأعمالي التي ولانيها عثمان بايعته، فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: يا أمير المؤمنين، إن معاوية من قد عرفت، وقد ولاه الشام من

---

(١) الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (دار الثقافة: قم، ١٩٩٣م)، ص٨٧؛ الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (من أعلام القرن السادس الهجري)، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، ط٢، (مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ٢٠٠١م)، ص٤٠٣ـ ٤٠٤.

قد كان قبلك، فوله أنت كيما تتسق عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا. قال: لا يسألني الله (عز وجل) عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً: { وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا } [(١)] لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحق، فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله ".

فأرسل له الإمام علي عليه السلام كتاباً يدعوه فيه بأخذ البيعة له والقدوم هو وأصحابه إلى المدينة فقد ورد في الكتاب "من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، فقد علمت إعذاري فيكم، وإعراضي عنكم، حتى كان ما لابد منه، ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، ولقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إلي في وفد من أصحابك والسلام"[(٢)].

ولكن معاوية لم يستجب لهذه الدعوة فهو لم يبايع الإمام علياً عليه السلام ولم يترك أهل الشام يبايعونه فبدأ منذ اليوم الأول من خلافة الإمام علي عليه السلام في التآمر عليه مهيئاً بذلك للصدام العسكري، فقد ذكر الطبري [(٣)] " وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سبرة الجهني، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه، ورد رسوله".

ولما فرغ الإمام علي عليه السلام من قتال طلحة والزبير وعائشة في معركة

(١) سورة الكهف، آية: ٥١.

(٢) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ص٥٩٤.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٤٣؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٢م)، ج٥، ص٧٦.

الجمل في البصرة (سنة ٣٦هـ / ٦٥٧م) توجه منها إلى الكوفة [١]، وأرسل من الكوفة جرير بن عبد الله البجلي [٢] بكتاب إلى معاوية يدعوهُ إلى البيعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون وقد ورد في الكتاب " إما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار... فادخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإنّ أحب الأمور إلي فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك"[٣].

وبعد طول المقام وإلحاحٍ من جرير على معاوية في البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام والرد على كتابه حتى يأس من إقناع معاوية بالبيعة وعزم على الرجوع إلى الكوفة كتب معه معاوية كتاباً إلى علي عليه السلام صرح فيه عن

---

(١) للمزيد ينظر: الغلابي، محمد بن زكريا بن دينار البصري (ت ٢٩٨هـ)، وقعة الجمل، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (مطبعة المعارف: بغداد، ١٩٧٠م)، ص٣٠ وما بعدها؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥١٩ وما بعدها؛ أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ت)، ج٧، ص١٩٠؛ الشيخ المفيد، الجمل، ص٣١٣ وما بعدها؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٨٢ ـ ٩٣.

(٢) جرير بن عبد الله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر، وهو مالك بن عبقر بن إنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي، يكنى أبا عمرو، وقيل أبو عبد الله، واختلف في نسبه فقيل إنّه من ولد إنمار بن نزار، ومنهم من قال إن بجيلة أمه نسبوه إليها وهي بجيلة بنت صعب بن علي بن سعد، وقيل إنّه أسلم العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، توفي في سنة أربع وخمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين، وقيل مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٢٠ـ ١٢١.

(٣) المنقري، وقعة صفين، ص٢٩؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١١٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٧٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٦٨.

رأيه الأخير وامتناعه عن البيعة وتصميمه على القتال وقد جاء في الكتاب " من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب. أما بعد، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى - بشان الخلافة - بين المسلمين" (١).

وهكذا استمرت الرسل والمكاتبات بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية حتى وقعت الحرب بينهما في صفين (سنة ٣٧هـ / ٦٥٨م) وتقاتل الجيشان فيها لمدة ثلاثة أيام وكادت المعركة توشك على الانتهاء بنصر للإمام علي عليه السلام وأصحابه والهزيمة لمعاوية وأصحابه لولا خدعة رفع المصاحف من قبل جيش معاوية بمكيدة وحيلة من عمرو بن العاص ودعوة أصحاب الإمام علي عليه السلام إلى الاحتكام إلى كتاب الله (٢).

فحدث على إثر ذلك الانشقاق في جيش الإمام علي عليه السلام وأجبرهُ أغلبية الجيش على إيقاف القتال وقبول التحكيم، وهكذا عاد الإمام علي عليه

(١) المنقري، وقعة صفين، ص٥٦.

(٢) للتفاصيل ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص ٥٧ وما بعدها؛ اليعقوبي، تاريخ، ص١٣٠ـ ١٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٨ـ ٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٧٢وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٨١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١١٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج١، ص١٧٥ ـ ١٧٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٨٧م)، ج٣، ص٥٣٧؛ القزويني، خضر، أخلاق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية الفلسفة والإلهيات: جامعة أزاد الإسلامية، ٢٠٠٧م)، ص١٠٩.

السلام بعد هذه المعركة إلى الكوفة وبقي معاوية مع جنده وأصحابه في الشام متخلفين عن بيعة الإمام علي عليه السلام.

واستمر الحال على هذا المنوال حتى اغتيل الإمام علي عليه السلام ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام (٤٠هـ / ٦٦٠م) بسيف الخارجي اللعين عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وهو في صلاة الصبح في جامع الكوفة، وبقي الإمام علي عليه السلام ليلتين محتضراً حتى استشهد في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان فدفنه ولده الإمام الحسن عليه السلام وبقية أولاده وأصحابه [(١)].

فقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ت١٤٨هـ) عليه السلام قال: "لما مات احتمله الحسن عليه السلام فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة فدفنه بين ذكوات بيض " [(٢)].

ثم بويع الإمام الحسن بن علي عليه السلام بالكوفة بعد وفاة أبيه بيومين في شهر رمضان من (سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م)، ووجه عماله إلى السواد والجبل [(٣)].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٣٧؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس الهجري)، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مطبعة ستاره: قم، ١٩٩٦م)، ج١، ص٣٠٩؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص٢٤٥؛ محبوبه، جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، ط٢، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٨٦م)، ج١، ص٢٠؛ الأمين، محسن، المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، ط٥، (د.ط: قم، ١٩٧٤م)، ج٥، ص٢٢٧؛ نوار، صلاح الدين، نظرية الخلافة، ص٣٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٤٥٦؛ ابن طاووس، عبد الكريم الحسيني (ت٦٩٣هـ)، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام، تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي، (مطبعة محمد: ١٩٩٨م)، ص٩١ ـ ٩٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٢٤٠؛ محبوبه، جعفر، ماضي النجف، ج١، ص٢١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٥٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٨١؛ أبو ←

وقد اقتفى الإمام الحسن عليه السلام سياسة أبيه الإمام علي عليه السلام تجاه معاوية في الشام فكتب له كتاباً يدعوه إلى عدم التمادي في الباطل وحقن دماء المسلمين وأن يدخل فيما دخل فيه المسلمون من السلم والطاعة له.

وقد جاء في الكتاب " إن علياً لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه - يوم قبض ويوم مَنّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً ولاَني المسلمون الأمر بعده...، فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب واتق الله ودع البغي، واحقن دماء المسلمين...، وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين"(١).

فأجابه معاوية بكتاب ورد فيه " وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر...، فلو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمت أنّي أطول منك ولاية، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة، وأكبر منك سناً، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي " (٢).



الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق: أحمد صقر، (مؤسسة العطار: قم، ١٩١٠م)، ص٦٥-٦٦.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج١٦، ص٤٣؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، حققه وخرجه: حسن الأمين، (دار التعارف للمطبوعات: بيروت، ١٩٦٧م)، ج١، ٥٦٧.

(٢) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٣٥.

وهذا الجواب من معاوية إعلان صريح بتمرده على بيعة الإمام الحسن عليه السلام كما تمرد على بيعة أبيه عليه السلام من قبل حتى أنّه جهز جيشاً متوجهاً به نحو العراق عازماً على دخول الكوفة ومقاتلة الإمام الحسن عليه السلام فلما سمع الإمام الحسن عليه السلام بذلك فجهز جيشاً وخرج به إلى النخيلة [(١)] عازما ملاقاة معاوية ومنعه من دخول الكوفة.

قال ابن الوردي [(٢)] إنّ علياً جهز قبل موته لقتال معاوية وبايعه أربعون ألف على الموت فاتفق قتله، فلما بويع الإمام الحسن عليه السلام بلغه مسير أهل الشام مع معاوية لقتاله، فتجهز الإمام الحسن عليه السلام في ذلك الجيش وسار عن الكوفة في لقاء معاوية ووصل المدائن [(٣)].

ولكن لأحداث حدثت في داخل جيش الإمام الحسن عليه السلام وتخاذل بعض قادة الجيش والكثير من أفراده وضعف عزيمتهم عن القتال اضطر الإمام الحسن عليه السلام إلى قبول الصلح والمهادنة [(٤)].

فلقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن الإمام الحسن عليه السلام كاتب معاوية يدعوه إلى الصلح [(٥)] وذكرت مصادر أخرى أن معاوية هو الذي أرسل إليه

---

(١) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٧٨.

(٢) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط٢، (مطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٩م)، ص٢٢٢.

(٣) المدائن: بلدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ، وقد فتحت على يد سعد بن أبي وقاص سنة ١٦هـ أيام الخليفة عمر بن الخطاب. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧٤.

(٤) للمزيد من المعلومات ينظر: آل ياسين، راضي، صلح الإمام الحسن عليه السلام، ط٤، (دار النرجس: بغداد، ٢٠١١م)، ص٣ وما بعدها.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ←

يدعوه إلى الصلح فقبل الإمام الحسن عليه السلام وهو الصحيح [(١)].

ولقد صرحت أغلب المصادر التاريخية بأنّ الاتفاقية التي عقدت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية كانت صلحا ولكن قد ورد في كلام الشيخ المفيد [(٢)] بأنها هدنة بالإضافة إلى كونها صلحاً.

والفرق بينهما أن الصلح اتفاق بمقتضاه تنتهي حالة الحرب القائمة بين الأطراف المعينة حتى يعود السلام بينهما، واتفاقية الهدنة تتضمن وقف العمليات الحربية لفترة معينة وإلى أجل غير محدود [(٣)].

ويبدو من خلال استعراضنا للنصوص التاريخية أنه لم يكن صلحاً هناك وإنما هي اتفاقية قد عقدت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ضمن شروط محدودة أدت إلى وقف القتال فيما بينهما سواء كانت هذه الاتفاقية صلحاً كما ذكر أكثر المؤرخين أم هدنة كما مال إليه البعض، والمهم من ذلك هو معرفة الأسباب التي أدت بالإمام الحسن عليه السلام إلى عقد هذه الاتفاقية وأهم الشروط التي تضمنتها ومدى التزام معاوية بهذه الشروط فضلاً عن أنّ هناك أسباباً موضوعية وظروفاً خاصة ولدت ضغطاً على الإمام الحسن عليه السلام وأجبرته

ج٥، ص١٦٠؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة الائمة، ص٢٣٩؛ بحر العلوم، محمد، قراءة جديدة للاتفاقية التي تمت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، مجلة المعهد ثقافية فصلية، لندن، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٩٩م، ص٥٦. ٥٧.

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٤. ٧٥؛ بحر العلوم، محمد، قراءة جديدة، ص٥٦. ٥٧؛ الأمين، محسن، المجالس السنية، ج٥، ص٣٦٨.

(٢) الإرشاد، ص١٣٤.

(٣) عطية الله، أحمد، القاموس السياسي، ط٣، (دار النهضة العربية: القاهرة، ١٩٦٨م)، ص٧٢٥.

على عقد هذه الاتفاقية مع معاوية لإنهاء القتال نوجزها بما يأتي:

أولاً: ضعف معنويات أصحاب الإمام الحسن عليه السلام وتقاعسهم عن القتال فإنّ الإمام الحسن عليه السلام لما وصلت له أخبار قدوم معاوية بجيش جرار بلغ كما تقول المصادر التاريخية أكثر من ستين ألفاً متوجهاً نحو العراق أمر بالصلاة جماعة في مسجد الكوفة ثم صعد خطيباً حاثاً أهل العراق على التجهز والاستعداد للقتال فقال في خطبته " أما بعد: فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كرهاً. ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين { وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }[١]، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون، إلا بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني إن معاوية بلغه أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك، فاخرجوا - رحمكم الله - إلى معسكركم بالنخيلة [حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا]... - فلما أتم خطبته -. قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجاب بحرف"[٢].

فهذا دليل على أنهم ليس لديهم الاستعداد الكامل على الخروج لقتال معاوية. وكان لتقاعس الناس أسباب وأسباب، ولعل في طليعتها، أن الناس قد أنهكتهم الحروب عاماً بعد عام وأخذت منهم أخذاً عظيماً، فقد خاضوا ثلاث حروب طاحنة في قرابة سنين أو تزيد قليلاً، بدءاً بحرب الجمل، مروراً بحرب صفين، وانتهاءً بحرب النهروان، ولذلك كان الجيش متعباً ومفككاً ومكدوداً إلى أبعد الحدود[٣].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٩- ٧٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٣٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٥٠.

(٣) آل ياسين، محمد حسين، الأئمة الاثنا عشر عليه السلام الإمام الحسن بن علي عليه السلام، ط٣، (دار النرجس: بغداد، ٢٠٠٩م)، ٧٤.

ثانياً: خيانة أحد قادة الجيش هو عبيد الله بن عباس والتحاقه بمعاوية وكذلك انسلال بعض عناصر الجيش والتحاقهم بجيش معاوية، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الإمام الحسن عليه السلام اتخذ من المدائن مقراً لقيادته وعين ابن عمه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على كتيبة عددها على ما ذكرت في بعض المصادر أثنا عشر ألف مقاتل وأمره بالخروج لإيقاف زحف جيش معاوية المتوجه نحو الكوفة فسار بالجيش حتى التقى بجيش معاوية في مسكن [١]، فاستعمل معاوية مكائده وأخذ يبث الإشاعات في صفوف مقدمة جيش الإمام الحسن عليه السلام بقيادة عبيد الله بن عباس وكتب فيه ليغريه بالانضمام إليه حيث ورد في الكتابه **" قد راسلني (أي الحسن عليه السلام) في الصلح وهو مسلم الأمر إلي فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية "** [٢].

لقد أحدثت هذه الواقعة زلازلاً شديداً في صفوف جيش الإمام الحسن عليه السلام حيث أثارت البلبلة والاضطراب في عديد الجيش وكثرت على أثرها الإشاعات والأقاويل التي مزقت وحدة كلمتهم وزعزعت الثقة في نفوسهم

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٧٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٣٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٥٠.

(٢) الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم الكوفي (ت ٢٨٣هـ) الغارات، تحقيق: جلال الدين الحسيني، (بهمن: إيران، د.ت)، ج٢، ص٦٤٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٤٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٥١؛ الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي (ت١٣٩٢هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط٤، (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٧٧م)، ج٢، ص٨٣ ـ ٨٤.

وحطمت أملهم بالنصر فلقد كانوا يشيعون في المدائن أن قيس بن سعد الذي تولى قيادة جيش عبيد الله بن العباس قد صالح معاوية وأجابه وانتشرت إشاعة أخرى في المدائن أن قيس بن سعد قتل فانفروا إلى غيرها من الأقوال والإشاعات [١].

ثالثاً: الهجوم على فسطاط الإمام الحسن عليه السلام وطعنه من قبل أحد الجند فإنّ الإمام الحسن عليه السلام لما رأى الاضطراب الحاصل في صفوف أتباعه وكثرة الأقاويل والإشاعات التي عصفت بوحدة كلمته أدراج الرياح قام خطيباً فيهم محاولاً لَمَّ شعثهم وتوحيد كلمتهم ومعرفة مدى ما تبقى من طاعتهم وولائهم له.

قال الشيخ المفيد [٢] فأمر أن ينادى بصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قام خطيباً فقام "... فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه - والله - يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر - والله - الرجل، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه، حتى أخذوا مصلاه من تحته...، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته... ودفعوا الناس عنه... فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له: الجراح بن سنان، فأخذ بلجام بغلته وبيده معول وقال: الله أكبر، أشركت - يا حسن - كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم ".

وبالنظر لهذه الأسباب وأسباب أخرى اضطر الإمام الحسن عليه السلام إلى قبول الصلح الذي دعاه إليه معاوية وقد بين الإمام الحسن عليه السلام في خطبة له في أصحابه سبب تخاذل الناس وتقاعسهم عن نصرته حينما استشارهم في

(١) آل ياسين، راضي، صلح الإمام الحسن عليه السلام، ص٧٤.

(٢) الإرشاد، ص١٣٣. ١٣٤.

دعوة معاوية إلى الصلح.

فقد روى ابن الأثير [(١)] جاء في الخطبة أنّه قال " إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنّا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر [(٢)]، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله - عز وجل - بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية، فلما أفردوه أمضى الصلح ".

وهكذا جرت مفاوضات قصيرة بين الطرفين اتفقا فيها على إيقاف القتال وتسليم الأمر إلى معاوية وفق شروط اشترطها الإمام الحسن عليه السلام وقد جاء في الروايات التاريخية ما نصه: **" أرسل معاوية... إلى الحسن بصحيفة بيضاء، مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك "** [(٣)].

---

(١) أسد الغابة، ج٢، ص١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص٢٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٠٧، وج٤٤، ص٢٢.

(٢) ولعل الصحيح مارواه الديلمي (فأما الباكي فخاذل وأما الطالب فثائر)، الديلمي، الحسن بن أبي الحسن (من أعلام القرن الثامن الهجري)، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: ١٩٨٨م)، ص٢٩٢- ٢٩٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٦٢.

وأهم هذه الشروط الواردة في هذه الاتفاقية نوجزه في الآتي:

أولاً: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله [١].

ثانياً: أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد [٢].

ثالثاً: أن يترك معاوية سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة ولا يذكر علياً إلا بخير [٣].

رابعاً: استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف ولا يشمله تسليم الأمر وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين في كل عام ألفي ألف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء وصلات عبد شمس، وأن يفرق في أولاد استشهد مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج أبجرد [٤] [٥].

خامساً: على أن الناس أمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم، وعراقهم، ويمنهم، وحجازهم، وأن أصحاب علي وشيعته أمنون على أنفسهم

---

(١) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج٤، ص٢٩١؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٢، ص٢٥١؛ آل ياسين، محمد حسن، الأئمة الاثنى عشر، ص٩٣؛ بحر العلوم، محمد، قراءة جديدة، ص٦٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٤، ص٢٩١؛ آل ياسين، محمد حسن، الأئمة الاثنا عشر، ص٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩١.

(٤) دار أبجرد: كورة في بلاد فارس نفيسة، عمرها دراب بن فارس معناه دراب كرد، ودراب: اسم رجل من محال نيسابور. ينظر: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، (دار صادر: بيروت، د.ت)، ص٣٣١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٦٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٩١؛ بحر العلوم، محمد، قراءة جديدة، ص٦٠.

وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى أنّه لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سراً وعلانية فلا يخاف منهم في أفق من الآفاق [(١)].

ولكن معاوية بن أبي سفيان لما تم له الأمر واستحكم من رقاب الناس لم يلتزم بهذه الشروط التي تعهد بها على نفسه وخرقها جميعاً جملة واحدة فلقد صعد المنبر الكوفة بعد توقيع الصلح فقال مخاطباً بجموع المسلمين " يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون... وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين" [(٢)].

وفي نصٍ آخر (إلا وإنّي كنت منيت الحسن أشياء، وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشي منها) [(٣)].

ثم أخذ تباعاً ينقض هذه الشروط واحداً تلو الآخر فلقد تمادى في غيه وشرع في جعل سب الإمام علي عليه السلام والتبرء منه ولعنه سنة يلهج بها الخطباء على المنبر في جميع الأمصار الإسلامية وفي الصلاة وغيرها قال أبو الحسن المدائني: " كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٤، ص٢٩١؛ بحر العلوم، محمد، قراءة جديدة، ص٦٠ ـ ٦١؛ آل ياسين، الأئمة، ص٩٤.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى جابر (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، حققه وعلق عليه: محمد باقر المحمودي، (دار التعارف: بيروت، ١٩٧٧ م)، ج٣، ص٤٦؛ العلوي، محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى (ت١٣٥٠هـ)، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، (دار الثقافة: قم، ١٩٩١م) ص١٤٩.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٣٤.

ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته "(١).

ويقول ابن أبي الحديد (٢) إنّ معاوية كان يختم خطبته بقوله: اللهم إن أبا تراب - يعني علياً - ألحد في دينك وصد عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشارها على المنابر.

وقد تتبع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والموالين له ونكل بهم أشد تنكيل وشتتهم في البلاد وقتل شيوخهم وكبارهم روى ابن أبي الحديد (٣) " وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد ابن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم "

وكان من جملة من قتله معاوية الصحابي الجليل المعروف بالفضل والزهد والتقوى وكثرة العبادة حجر بن عدي الكندي (٤)، فقد قتله وبرفقته ستة من

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤؛ العلوي، محمد بن عقيل، النصائح، ص٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٥٧؛ المجلسي، بحار، ج٣٣، ص١٧٦؛ آل ياسين، محمد حسن، الأئمة الاثنا عشر الإمام الحسن عليه السلام، ص٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤؛ آل ياسين، محمد حسن، الأئمة الاثنا عشر الإمام الحسن عليه السلام، ص ١١٠.

(٤) حجر بن عدي الكندي: هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة الكندي المعروف بحجر الخير وحجر بن الأدبر صحابي جليل من زعماء الكوفة اشترك في القادسية والجمل وصفين والنهروان قُتل سنة (٥١هـ / ٦٧١م) في مرج عذراء بدمشق. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ←

أصحابه بأمر معاوية في مرج عذراء في غوطة دمشق وقبورهم معلومة ومشهورة إلى اليوم وكانت جريمتهم الكبرى أنهم يوالون علياً ويريدون رفع السب عنه(١).

وكذا لم يفِ للإمام الحسن عليه السلام بما تعهد له من أموال وخص أهل البصرة على رفضهم أعطاء الإمام الحسن عليه السلام خراج دار أبجرد فقد ذكر ابن الأثير(٢) "وكان منعهم - يعني منع أهل البصرة - بأمر معاوية أيضاً ".

وهكذا نقضت شروط المعاهدة كلها من قبل معاوية ماعدا الشرط الأول الذي وفى به الإمام الحسن عليه السلام وهو تسليم الأمر إلى معاوية وآخر الشروط التي نقضها معاوية هو الشرط الثاني الوارد في المعاهدة عندما عهد بولاية الأمر إلى ولده الفاسق الفاجر يزيد ومكنهُ من رقاب الناس وأجبرهم على بيعته والخضوع إليه وكان تنصيبه ليزيد ولياً لعهده بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام سنة ٥٠هـ /٥٦٩م وقيام الإمام الحسين عليه السلام بإمامة المسلمين من بعده الأمر الذي حدا به بعد هلاك معاوية إلى رفض مبايعة يزيد خليفة للمسلمين ممهداً بذلك إعلان الثورة على الحكم الأموي الجائر كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى عند حديثنا عن أولى الثورات التي حدثت في زمن بني أمية وهي ثورة الإمام الحسين عليه السلام سنة (٦١هـ /٦٨٠م) التي تعد أم ثورات العلويين على الطغاة والظالمين ونبراسها.

ص٢٤١- ٢٤٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٧٣- ١٧٥.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٥٣- ٢٧٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص ٢٧٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٢، ص٢١٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٩٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٧٢.

الفصل الثاني

الثورات العلوية في العصر الأموي

(٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م)

- المبحث الأول: مبررات قيام ثورة الإمام الحسين عليه السلام المسار التاريخي والنتائج
- المبحث الثاني: الثورات العلوية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام
- المبحث الثالث: الثورات الزيدية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منها

المبحث الأول: مبررات قيام ثورة الإمام الحسين عليه السلام المسار التاريخي والنتائج

بعد اضطرار الإمام الحسن عليه السلام لعقد وثيقة الصلح مع معاوية للأسباب التي ذكرناها في الفصل الأول استولى على السلطة (سنة ٤١هـ - ٦٦١م) وكان هذا بداية نشوء الدولة الأموية.

فتحولت الخلافة أثر ذلك إلى ملكية كسروية وعصبية قيصرية [١] وقد أحكم معاوية بناء هذه الدولة وأرسى أركانها بالترغيب والترهيب والإعلام الكاذب والتثقيف المنحرف، وإثارة العصبية القبلية والنعرات الجاهلية، فكانت هي المعايير العامة في إعلان الولاء والتأييد [٢].

وقد اتبع معاوية سياسة القمع والإرهاب والتجويع ضد من لا يتفقون معه في الاتجاه السياسي وكانت سياسته هذه هي المعتمدة قبل توليه الخلافة وكذلك بعد استخلافه.

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٥٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد الطباطبائي، فاجعة الطف أبعادها ثمراتها توقيتها بحث تحليلي في النهضة الحسينية ودورها في وضوح الحقيقة الدينية، ط٣، (دار الكتب: بغداد، ٢٠١٠م)، ص٣٤٩.

فلقد استدعى معاوية بسر بن أبي أرطأة[١] ووجهه إلى الحجاز واليمن وقال له: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن يدخل في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة، فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فاكفف عنهم[٢]، ولا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم [منك] وأنك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا [٣].

وبعد أن آلت إليه الخلافة كتب إلى عماله في جميع البلدان: " انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة" [٤].

وفي كتاب آخر: " من اتهمتموه ولم تقم عليه بينة [أنه منهم] فاقتلوه"[٥].

وقد أجمل الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ت١٢٤هـ) عليه السلام

---

(١) بسر بن أبي أرطأة بن عويمر بن عمران، ينتهي نسبة إلى النضر بن كنانة، قرشي، ولد بمكة قبل الهجرة، وأسلم وهو صغير، وأرسله عمر بن الخطاب مع من أرسل مدداً إلى ابن العاص لفتح مصر ثم كان من رجال معاوية الأشداء ولي قيادة جيشه إلى عدة مواضع، توفي بدمشق وقيل بالمدينة عام ٨٦هـ. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٨٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٥٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٠٩؛ الزركلي، خير الدين (ت١٤١٠هـ)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، (دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٠م)، ج٢، ص٢٣.

(٢) الثقفي، الغارات، ج٢، ص ٦٠٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٧.

(٣) الثقفي، الغارات، ج٢، ص ٦٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٤، ص٩.

(٤) الهلالي، سليم بن قيس (ت ٧٦هـ)، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، (د.ط: د.ت)، ص٢٣٨.

(٥) الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص٢٣٨.

هذه السياسة الغاشمة التي اتبعها معاوية ضد الموالين لآل البيت عليهم السلام بقوله: "... فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام " (١).

وعلى الرغم من انتهاج معاوية لهذه السياسة القمعية ضد أتباع الإمام الحسن عليه السلام وأتباع أبيه عليه السلام ونقضه لبنود الصلح جملة وتفصيلاً الأمر الذي يعطي المبرر للأمام الحسن عليه السلام للتخلي عن الصلح إلا أن الإمام عليه السلام آثر المهادنة والاستمرار على منهجه السلمي وترك قتال معاوية ولم يغير موقفه هذا دعوات كبار أصحابه ومواليه وتحريضهم له لإعلان الثورة على ناكث العهد معاوية بن أبي سفيان.

بعد إظهارهم للندم والتأسف والحسرة لتخاذلهم عن نصرة الإمام الحسن عليه السلام نتيجة لما لاقوه من ذل وهوان من سياسة معاوية الإرهابية وقد وصف طه حسين (٢) هذه السياسة بمانصه " ولقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام علي فيحزنون عليها ويندمون على ما كان من تفريطهم في جنب خليفتهم ويندمون على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام، وجعلوا كلما لقي بعضهم بعضاً تلاوموا فيما كان، وأجالوا الرأي فيما يمكن أن يكون، ولم تكد تمضي أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد إلى المدينة للقاء الحسن، والقول له والاستماع منه ".

ولما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٦٨. ٦٩.

(٢) حسين، طه، الفتنة الكبرى علي وبنوه، (دار المعارف: مصر، ١٩٨٠م)، ص١٨٨.

الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صرد الخزاعي[١]: ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية، ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم، وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز فإذا شئت فأعد الحرب جذعة، وأذن لي في تقدمك إلى الكوفة، فأُخرج عنها عامله وأظهر خلعه، وتنبذ إليه على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، وتكلم الباقون بمثل كلام سليمان[٢].

فقال لهم الحسن عليه السلام: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض والنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد شكيمة ولا أمر عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره وألزموا بيوتكم وأمسكوا – أو قال: كفوا - أيديكم حتى يستريح برّ أو يستراح من فاجر[٣].

ولعل السبب في عدم استجابة الإمام الحسن عليه السلام لهذه الدعوة أمران:

---

(١) سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الإمام علي عليه السلام كان ممن كاتب الحسين عليه السلام وتخلف عنه ثم خرج يطلب بدم الحسين عليه السلام في أربعة آلاف فالتقاهم عبيد الله بن زياد بعين الوردة فقتل سليمان وقسم كبير من أصحابه سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وكان سن سليمان يوم قتل ٩٣ سنة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٠٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٩٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص١٤٤.

(٢) البلاذري، أنساب الإشراف، ج٣، ص٤٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩.

(٣) البلاذري، أنساب الإشراف، ج٣، ص٤٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩.

أولاً: إنّ معاوية وإن استهتر بقيم المسلمين وحقوقهم، إلا أنه اشترى ضمائر كثير من ذوي المكانة والنفوذ في المجتمع كما أنّه أحكم أمر سلطانه، وزاد في قوة دولته بالترغيب والترهيب، بنحو قد لا يتهيأ استجابة فئة معتد بها للإمام الحسن عليه السلام [١].

ثانياً: أن دعوة أصحابه له لتغيير الواقع الفاسد لم تكن ناشئة عن عقيدة راسخة واستعداد للتضحية في سبيل الله بل كانت ناشئة عن عاطفة جياشة نحو أهل البيت عليهم السلام تولدت نتيجة لفقداهم السلطة وسوء سيرة معاوية وهذا يتضح لمن تأمل في جواب الإمام عليه السلام.

ولم يكن موقف الإمام الحسين عليه السلام مبايناً لأخيه الإمام الحسن عليه السلام تجاه معاوية وإنما كان موقفاً مؤيداً له فيما ارتآه فقد قال لعلي بن محمد بن بشير الهمداني حين دعاه للثورة بعد أن يئس من استجابة الإمام الحسن عليه السلام له[٢]: "صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من إحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان حياً"[٣].

وهكذا استمر الإمام الحسن عليه السلام وكذا الإمام الحسين عليه السلام في موقفهما المهادن والمسالم مادام معاوية حياً إلى أن آلت الإمامة إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام نتيجة دس السم إليه من قبل

(١) الحكيم، محمد سعيد الطباطبائي، فاجعة الطف، ص٤٨٦.

(٢) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، ط٧، (المؤسسة الدولية للنشر: بيروت، ١٩٩٦م)، ص١٨٠.

(٣) الدنيوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، راجعه: جمال الدين الشيال، (دار إحياء الكتاب العربي: القاهرة، ١٩٦٠ م)، ص٢٢١.

معاوية عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث ابن قيس.

روى الشيخ المفيد [١] " أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس: أني مزوجك (يزيد ابني)، على أن تسمي الحسن، وبعث إليها مائة ألف درهم، ففعلت وسمت الحسن عليه السلام فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ".

ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام إلا يسيراً حتى بايع إلى يزيد بالشام وكتب ببيعته إلى الآفاق وذكروا أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ويكتب إليه لمن سارع ممن لم يسارع فكتب إليه سعيد بن العاص: " فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء، لاسيما أهل البيت من بني هاشم، فإنه لم يجبنِ منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره " [٢].

فكتب معاوية إلى الحسين عليه السلام: " أما بعد، فقد انتهت إلي منك أمور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وأنّ أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك، في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله، ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون " [٣].

---

(١) الإرشاد، ص١٣٥؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص١٦٧؛ ابن شدقم، تحفة الأزهار وزلال الأنهار، ج١، ص١٣٨؛ مؤلف مجهول، آل النبي وفاطمة والحسن (عليهم السلام)، مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء، رقم المخطوط ٢٢٩٠، ورقة٤٢.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة السياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٩٩.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة السياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٢٠٠.

فكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام كتاباً كـذب فيـه مـا وصـل إلى إسماع معاوية من الأمور التي يكرهها، ولقد ورد في الكتاب: " ما أردت حرباً ولا خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك، منك ومن حزبك، القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم" [١].

ثم ذكر الإمام الحسين عليه السلام في كتابه هذا أموراً منكرة جاء بها معاويـة نتيجة لسياسته الخبيثة تجاه أتباع آل البيت عليهم السلام مستنكراً عليـه ذلـك شـد الاستنكار كقتله حجر بن عدي الكندي وأصحابه عمـرو بـن الحمـق الخزاعـي [٢] والحضرمي وكذلك أنكر عليه نسبة زياد بـن أبيـه المولـود مـن الزنـا إلى أبي سـفيان خلافاً لما قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قـال: "إنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر "[٣] إلى غيرها من الأمور العظام التي أحدثها معاوية.

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة السياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) عمرو بن الحمق الخزاعي، صحابي هـاجر بعد الحديبيـة وصـار مـن شيعة الإمـام علـي عليـه السلام وشهد معه وقعة الجمل وصفين والنهروان ولما طلب زياد أصحاب حجر بن عدي خرج عمـرو بـن الحمـق حتـى نـزل المدائن ثم ارتحـل حتـى أتـى الموصـل فقبض عليـه عاملها مـن قبـل معاوية فقتله وبعث برأسـه إلى معاوية سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) وهـو أول رأس أهـدي في الإسـلام. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٣) الـشافعي، أبـو عبـد الله محمـد بـن إدريس (ت٢٠٤هـ)، كتـاب الأم، ط٢، (دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع: بـيروت، ١٩٨٣م)، ج٧، ص٣٦٥؛ الطيالـسي، سـليمان بـن داود بـن الجـارود (ت٢٠٤هـ)، مسند ابن داود الطيالسي، (دار المعرفـة: بـيروت، د.ت)، ص١٥؛ ابـن حنبـل، مسند ابن حنبل، ج١، ص٥٩وج٥، ص٥٩؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ت)، ج١٧، ص٣٤؛ البيهقي، أبـو بكـر أحمـد بـن الحـسين بـن علـي (ت ٤٥٨هـ)، الـسنن الكبـرى، (دار الفكر: بيروت، د.ت)، ج٧، ص٤٠٣؛ الهيثمـي، نـور الـدين علـي بـن أبـي بكـر (ت٨٠٧هـ)، مجمـع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٨م)، ج٤، ص٢٠٤.

وقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام في هذا الكتاب إنكاره الشديد أيضاً لتأمير يزيد بن معاوية ولياً للعهد إذ قال: " واعلم أن الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبياً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية والسلام "[١].

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام رفضه لبيعة يزيد ولياً للعهد في محضر معاوية بن أبي سفيان عندما قدم بعد الحج إلى المدينة والتقى به مع ابن عباس محاولاً أقناعهما ودعوهما إلى مبايعته حيث قال في كلام له مخاطباً به الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن العباس: " وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية، من سد الخلل، ولم الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين، وأحمد الفعل، هذا معناي في يزيد، وفيكما فضل القرابة، وحظوة العلم، وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة، ما أعياني مثله عندكما، وعند غيركما، مع علمه بالسنة، وقراءة القرآن، والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب " [٢].

فأجابه الحسين عليه السلام جواباً عنيفاً ذاكراً فيه مثالب يزيد ومفاسده التي اشتهر بها بين المسلمين إذ قال: **" وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام**

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٢٠٣ـ ٢٠٤؛ العلوي، محمد بن عقيل، النصائح الكافية، ص٦٦.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة السياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٢٠٨.

السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ، في يوم مشهود، ولآت حين مناص"[١].

ولما علم شيعة الإمام الحسين عليه السلام ومواليه في الكوفة بعدم استجابة الإمام الحسين عليه السلام لدعوة معاوية في أخذ البيعة ليزيد بولاية العهد ورفضه الشديد لذلك تطلعوا لخلع معاوية ومبايعة الإمام الحسين عليه السلام ودعوته لإعلان الثورة على بني أمية فلقد كتب إليه جعدة بن هبيرة من الكوفة كتاباً يقول فيه: "أما بعد، فإن من قبلنا من شيعتك متطلعة أنفسهم إليك، لا يعدلون بك أحداً، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك، والغلظة على أعدائك، والشدة في أمر الله، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فأقدم علينا، فقد وطنا أنفسنا على الموت معك"[٢].

ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يستجب إلى هذه الدعوة وكتب لهم كتاباً يدعوهم فيه إلى الالتزام بما التزم به هو في حياة أخيه الإمام الحسن عليه السلام من الركون والمهادنة مادام معاوية حياً فلقد ورد في الكتاب: "أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه، وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً، فإن يحدث الله به حدثاً وأنا حي، كتبت إليكم برأيي والسلام"[٣].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة السياسة (منسوب إليه)، ج١، ص٢٠٨.

(٢) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٢.

(٣) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٢.

ولعل السببين الذين أشرنا لهما في عدم إعلان الإمام الحسن عليه السلام الثورة على معاوية لازالا مستمرين في زمن الإمام الحسين عليه السلام فإنّ الظروف التي حدت بالإمام الحسن عليه السلام لعقد الهدنة مع معاوية مازالت باقية مادام الطرف المقابل باقياً أيضاً ولديه الإمكانية من البطش والقوة والمكر والخديعة في الإجهاز على تلك الثورة عند بدء انطلاقها كما أن الدعوات التي وجهت للإمام الحسين عليه السلام لازال يغلب عليها الدافع العاطفي والرغبة في التخلص من هذا الواقع المرير إلى العيش الرغيد بأمان وسلام ولم تكن دعوات أغلبهم إن لم نقل جميعهم منطلقة من الدافع العقائدي المتولد من الإيمان الراسخ بأحقية علي وبنيه عليهم السلام في إمامة المسلمين من أجل إرساء قواعد العدل الإلهي في الأرض ونشر تعاليم الدين الإسلامي، ونضيف إلى ذلك سبباً آخر قد أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في بعض كلامه رداً على دعواهم إلى خلع معاوية وإعلان الثورة عليه ألا وهو ما سبق منه في حياة أخيه الإمام الحسن عليه السلام من البيعة لمعاوية بعد إبرام وثيقة الصلح.

فلقد صرح بهذا السبب في حياة أخيه الإمام الحسن عليه السلام وبعد استشهاده إذ قال: " لسليمان بن صرد الخزاعي في حياة أخيه ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حياً، فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم "[١].

ولقد استمر على موقفه هذا بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن عليه السلام فلقد ذكر الشيخ المفيد[٢] ما رواه الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير قالوا:

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج١، ص١٨٧.

(٢) الإرشاد، ص١٤٠؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص١٧١؛ الطبرسي، أعلام الورى، ج١، ص٤٣٤.

((لما مات الحسن بن علي عليهما السلام تحركت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقدا لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، فإن مات معاوية نظر في ذلك)).

من خلال متابعة دقيقة لمجريات ثورة الإمام الحسين عليه السلام في مرويات المؤرخين سواء من الكتب المتقدمة أو المتأخرة، يبدو أن أغلب الكتاب أخذوا من كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، لأنه وكما وصفه أحد الباحثين هو الكتاب الذي سجل الأحداث التي احتوتها هذه الفترة وفصلها وأبرز سماتها وملامحها[١].

وهذا لا يقلل من شأن الروايات التاريخية التي وردت في بعض المصادر المتقدمة الأخرى، فهناك بعض الروايات التاريخية التي لا نجدها لدى الطبري ولكننا نجدها في مصادر أخرى تكمل اتساق الرواية أو تفسر مسار الثورة وبعض أحداثها، والتي أغفل الطبري ذكرها في بعض الأحيان [٢].

ولعل الميزة التي جعلت تاريخ الطبري أدق من غيره في هذا المضمار هي الطرق التي اعتمدها هذا المؤرخ في سرده لمجريات ومسار الثورة، فالمتابع لروايات الطبري يجد أنّه اعتمد في روايته لتسجيل أحداث هذه الفترة على رواة عراقيين[٣]

(١) غنيم، عبد العزيز، الثورات العلوية في العصر الأموي، (دار العلوم للطباعة: القاهرة، ١٩٧٦م)، ص١٤٥.

(٢) التميمي، هادي عبد النبي، ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المصنفات المصرية في القرن العشرين (دار الضياء للطباعة: النجف، ٢٠١٢م)، ج٢، ص٧.

(٣) اعتمد الطبري في نقله على مجموعة من الإخباريين والرواة العراقيين منهم على سبيل المثال لا الحصر: عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ / ٧٦٣م)، أبو مخنف (ت١٥٧هـ / ٧٧٢م)، هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت٢٤٠هـ / ٨١٩م)، عمر بن شبه البصري (ت٢٦٢هـ / ٨٧٥م)، حميد بن مسلم الازدي. التميمي، ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المصنفات المصرية، ج٢، ص٨.

فيما أقل الأخذ والرواية عن غيرهم، من المدنيين أو الشاميين [١].

ويبدو أن الطبري قد تعمد في الأخذ عن رواة عراقيين لأنّ بلادهم كانت ساحة الصراع وأنّ أولئك الرواة هم الذين كانوا الأقرب إلى الذين شهدوا مصرع الحسين عليه السلام ونقلوا أنباءه سواء زماناً أم مكاناً [٢].

هلك معاوية بن أبي سفيان (سنة ٦٠هـ/٦٧٩م) [٣] فتولى ابنه يزيد الحكم من بعده بعد أن وطدَ أبوه له الملك وحمل الناس على مبايعته على الرغم من امتناع الكثيرين وكراهتهم تولي يزيد الحكم لما كان يعرف عنه بالتهتك والاستهتار وارتكاب الموبقات وتجاهرِهِ بها.

روي ابن الطقطقى[٤]: "وكان يزيد بن معاوية من أشد الأمويين كلفاً

(١) على سبيل المثال لا الحصر: أخذه عن محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، مسألة طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام في المدينة بعد هلاك معاوية، وأخذه بعض الروايات عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أو عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين محمد الصادق عليه السلام، أو عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية. التميمي، ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المصنفات المصرية، ج٢، ص٨.

(٢) التميمي، ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المصنفات المصرية، ج٢، ص٨.

(٣) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، (ت٢٤٥هـ)، كتاب المحبر، رواية: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح: ايلزه ليختن شتيتر، (بيروت: د.ت)، ص٢١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٢٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص١٦٥؛ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون (ت٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، (دار الرائد: لبنان، ١٩٨٣م)، ص١٨٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٣٢؛ الدميري، كمال الدين (ت٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، (مطبعة الاستقامة: القاهرة، ١٩٥٨م)، ج١، ص٥٩.

(٤) ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (دار بيروت للطباعة: بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٥٥ ـ ١١٣.

بالصيد، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلاجل المنسوجة منه، ويخصص لكل كلب عبداً يقوم على خدمته،... أن يزيد بن معاوية كان موفر الرغب باللهو والقنص والنساء والشعر ".

ولقد أوصى له أبوه بوصية قبل موته حينما دعى الضحاك بن قيس الفهري[١]. وكان صاحب شرطته ومسلم بن عقبة المري[٢]، وكان من بطانته فقال: ابلغا يزيد عني وصيتي وقولا له [٣] يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال

(١) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب القرشي الفهري، يكنى أبا أنيس وأمه أمية بنت ربيعة الكنانية، روى عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث وقيل لا صحبة له، وكان على شرطة معاوية، ثم تقلد عدة مناصب بايع لعبد الله بن الزبير في دمشق بعد موت معاوية بن يزيد قُتل في مرج رهط في ذي الحجة سنة ٦٤هـ.ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٨٧-٢٨٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٤٩- ٥٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٤١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٣، ص٣٨٧.

(٢) مسلم بن عقبة المري بن رباح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف المري، شهد صفين مع معاوية وكان على رجالة من جيشه، وفي خلافة يزيد تمرد أهل المدينة سنة ٦٣هـ فأرسل يزيد بقيادة مسلم بن عقبة جيشاً إلى الشام فسماه أهل الحجاز مسرفاً لإسرافه في وقعة الحرة ثم توجه إلى عبد الله بن الزبير لتخلفه عن بيعة يزيد فمات في الطريق بموضع يقال له المشلل أو هرشى جبل قريب من الجحفة توفي سنة ٦٤هـ. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٨٢؛ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (مطبعة دار الثقافة: مكة المكرمة، ١٩٦٦م)، ج١، ص٢٠٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٦، ص٢٣٢.

(٣) اختلف المؤرخون بوصية معاوية إلى ابنه يزيد تروي بعض المصادر أن الوصية المذكورة كانت من معاوية مشافهة وبحضور يزيد وليست إبلاغاً عنه على لسان الضحاك والمري، وذكرت مصادر أخرى أنّها إبلاغ لا مشافهة، لأنّ يزيداً كان عند موت أبيه في إحدى قرى دمشق تدعى حوارين ولكن الصحيح أن يزيداً كان غائباً عند وفاة أبيه. للمزيد على ما ذكر المؤرخون ينظر: الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، (مطبعة العصرين: لبنان، ٢٠٠٨م)، ج٢، ص٢٩٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٧؛ ←

ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد [(١)].

وقد ورد فيها أني لست أخاف عليك إلا أربعة رجال: الحسين بن علي عليه السلام، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر [(٢)]، فأما الحسين بن علي عليهما السلام فاحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه، فإن فعل، فظفرت به، فاصفح عنه [(٣)] فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً [(٤)] وقرابة من محمد صلى الله عليه وآله وسلم [(٥)].

وقد ذكر المؤرخون أنّه لما آلت السلطة إلى يزيد خرج إلى الجامع معتماً بعمة خز سوداء متقلداً سيف أبيه خاطباً فيهم مهدداً بهم أهل العراق قائلاً: "أبشروا يا أهل الشام! فإن الخير لم يزل فيكم، وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديدة، وقد رأيت في منامي كأن نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر، فلم أقدر على ذلك حتى جاءني عبيد الله بن زياد، فجازه بين

الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٦٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١١.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٢٢.

(٢) مؤلف مجهول، حياة الإمام الحسين عليه السلام، مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء، رقم المخطوط ٢٥٩، ورقة ٩؛ الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٦٨.

(٣) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٢٢؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٣٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٠ الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٣٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٢٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٦٩.

يدي وأنا أنظر إليه، قال: فأجابه أهل الشام وقالوا: يا أمير المؤمنين! امض بنا حيث شئت وأقدم بنا على من أحببت فنحن بين يديك، وسيوفنا تعرفها أهل العراق في يوم صفين. فقال لهم يزيد: أنتم لعمري كذلك [١] وفرق فيهم أموالاً كثيرة".

إنّ هذه الخطبة من يزيد ترسم لنا سياسته التي يريد اتباعها اتجاه معارضيه وهي نفس السياسة التي انتهجها أبوه من قبل التي قوامها البطش والتنكيل والإرهاب وهي بشكل عام سياسة الطغاة والظالمين من حكام بني أمية وغيرهم الذين تسلطوا على رقاب الناس وفرضوا طاعتهم بالقوة والإكراه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وقد كتب يزيد كتاباً إلى واليه في المدينة الوليد بن عتبة[٢] يأمره فيه بأخذ البيعة له ويعلن فيه سياسته المعادية لآل علي عليه السلام وهي السياسة نفسها التي ورثها عن أبيه إذ ورد فيه مشيراً إلى ما أوصى به معاوية قد كان عهد إلي وأوصاني أن احذر آل أبي تراب وجرأتهم على سفك الدماء، وقد علمت يا وليد أنّ الله تعالى منتقم للمظلوم عثمان بن عفان من آل أبي تراب بآل سفيان لأنهم أنّصار الحق وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة لي على جميع

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٧. ٨؛ الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، (ت ٥٦٨ هـ)، مقتل الحسين، تحقيق: محمد السماوي، طبعه: محمد رضا السيد سلمان وآخرون، (مطبعة الزهراء: النجف، ١٩٤٨م)، ج١، ص١٧٩.

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولي لعمه معاوية المدينة سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م، وكان ذو جودٍ وحلم ولما جاء نعي معاوية وبيعة يزيد لم يُشدّد على الحسين عليه السلام وابن الزبير ولامه مروان بن الحكم على ذلك وقال: ((ما كنت لأقتلهما ولا أقطع رحمهما وقد أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد فأبى ومات بعد معاوية بمدة قصيرة)). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٤.

أهل المدينة [١].

وكتب في صحيفة صغيرة " أما بعد، فخذ الحسين، وعبد الله بن عمر،... وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً عنيفاً ليس فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه والسلام " [٢].

فلما وصل كتاب يزيد إلى الوليد في المدينة استشار مروان في كيفية أخذ البيعة من هؤلاء الثلاثة فأشار عليه مروان أن يدعوهم الساعة ويأخذ منهم البيعة قبل أن يعلموا بموت معاوية فإن امتنعوا عن ذلك ضرب أعناقهم فبعث الوليد من يطلبهم فامتنع عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير عن الحضور واستجاب الإمام الحسين عليه السلام لهذه الدعوة قاصداً مجلس الوليد واصطحب معه ثلاثين نفراً من فتيانه ومواليه وأهل بيته قائلاً لهم: "اجلسوا على الباب، فإذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم" [٣].

ثم دخل على الوليد فلما استقر به المجلس فأقرأه الوليد كتاب يزيد ونعى إليه معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام ثم دعاه لأخذ البيعة، فقال الحسين: " أيها الأمير إنّي لأراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس" [٤].

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٠؛ الميلاني، محمد هادي الحسيني (ت ١٣٩٥هـ)، قادتنا كيف نعرفهم، تحقيق وتعليق: محمد علي الميلاني، راجعه: علي الحسيني الميلاني (مطبعة شريعت: قم، ٢٠٠٥م)، ج٣، ص٥٧٩.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٧٨؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص١٧١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص٣٢٣؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٤.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٤٠؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٤.

ولكن مروان التفت إلى الوليد وقال له: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، أحبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه،[١] فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: " أنت - يابن الزرقاء - تقتلني أو هو؟! كذبت والله وأثمت"[٢].

ثم أقبل الحسين عليه السلام على الوليد بن عتبة وقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة [٣].

وكان هذا أول إعلان من الإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية في رفضه البيعة ليزيد، وقد أعلن ذلك في بيت الإمارة ومن دون مبالاة ولا خوف من السلطة [٤]، ثم خرج عليه السلام من المجلس يمشي ومعه مواليه وفتيانه حتى دخل

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي (ت١٥٧هـ)، مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، ط٣، (مطبعة شريعت: قم، ٢٠٠٦م)، ص١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص٣٤٠؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٤١؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص١٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٥٧؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٤٠؛ المفيد، الإرشاد، ص١٤١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٣٢٤؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص ١٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٣٣؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٤. ٤٣٥.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٤؛ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني (ت٦٦٤هـ)، اللهوف في قتلى الطفوف، (مطبعة خيابان لأصفهان: إيران، ١٩٤٥م)، ص١٩.

(٤) خضر، أمل محمد، دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف وما بعدها، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، (المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية: جامعة المستنصرية، ٢٠٠٥م)، ص١٧٥.

منزله [١].

إنّ هذا الموقف من قبل الإمام الحسين عليه السلام الرافض لبيعة يزيد تأكيدٌ منه لرفضه هذه البيعة في حياة معاوية معلناً بذلك عزمه على إعلان ثورته الربانية الكبرى ضد الطغيان والجبروت المتمثل ببني أمية آن ذاك والتي كان شعارها الإصلاح وهدفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل الإلهي في ربوع الأرض وتصحيح الانحراف الخطير الذي ابتليت به الرسالة الإسلامية بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (سنة ١١هـ - ٦٣٢م) هذا الانحراف الذي أزال الإمامة والخلافة الإسلامية عن مركزها وقطب رحاها المختار من قبل الله تعالى والمنصب بنص من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأنّ هذا الانحراف هو الذي أدى لوصول بني أمية إلى سدة الحكم وتسلطهم على رقاب الناس وإشاعتهم الفساد في صفوف المسلمين حتى وصل الأمر بفاسق فاجر معاقر للخمور لكي يبايعوه بإمرة المؤمنين مع كون الخلافة محرمة على آل أبي سفيان كما أخبر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد صرح بذلك الإمام الحسين عليه السلام في محاورة جرت بينه وبين مروان بن الحكم بعد أن لقيه في الطريق عقيب الليلة التي امتنع بها الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعتة ليزيد إذ قال له مروان: " إنّي أرشدك لبيعة يزيد فإنها خير لك في دينك وفي دنياك... فقال الحسين: { إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [٢]، وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد... وقد سمعت جدي رسول الله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء... فلم يفعلوا به ما أمروا

---

(١) النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص ١٧١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

فابتلاهم بابنه يزيد " (١).

إنّ هناك أسباباً متعددة لثورة الإمام الحسين عليه السلام وهذه الأسباب على قسمين أولهما هو سبب موضوعي والثاني منهما هو سبب غيبي ويتلخص السبب الموضوعي بأمور ثلاثة وهي:

أولاً: الضغط على الإمام الحسين عليه السلام لحملهِ على بيعة يزيد بن معاوية بعد إعلان الإمام الحسين عليه السلام رفضه لمبايعته فلم يتركه بنو أمية وشأنه وإنما استمر الضغط عليه من قبلهم حتى يبايع وإلا فمصيره القتل لا محالة فقد ورد كتابٌ من يزيد إلى عامله الوليد بعد أن أخبره بأمر الحسين عليه السلام وامتناعه عن البيعة، يحثه فيه على قتل الإمام الحسين عليه السلام وإرسال رأسه له في الشام " من يزيد... إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانية على أهل المدينة، توكيداً منك عليهم، وذر: عبد الله بن الزبير، فإنّه لن يفوتنا، ولن ينجو منا أبداً ما دمنا أحياء، وليكن مع جواب كتابي هذا رأس الحسين؟ فإن فعلت ذلك جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة العظمى والحظ الأوفر والسلام " (٢).

إنّ امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة إنّما هو لسلب الشرعية عن نظام فاسدٍ منحرفٍ أسسه معاوية وهو النظام الملكي القائم على توريث السلطة من الآباء إلى الأبناء وكانت نتيجة هذا الضغط على الإمام عليه السلام هو اضطرار الإمام الحسين عليه السلام للخروج من المدينة متوجهاً بأهل بيته وجماعة من بني هاشم نحو مكة المكرمة.

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٥؛ الميلاني، قادتنا كيف نعرفهم، ج٣، ص٥٨٤.
(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٥. ١٨٦.

روى الطبري[١] وخرج الحسين عليه السلام متوجهاً نحو مكة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب ومعه بنوه وبنو أخيه الحسن وإخوته وجل أهل بيته وهو يقرأ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢]، ولزم الطريق الأعظم فقيل له: لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب قال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض، ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان[٣] وهو يقرأ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٤].

ثانياً: دعوة أهالي الكوفة له للقدوم إليهم وإعلان الثورة فلما دخل الإمام الحسين عليه السلام مكة أقام فيها أياماً فوصل خبر امتناعهِ عن بيعة يزيد وخروجهِ من المدينة وأقامته في مكة إلى العراق فاجتمع الكوفيون الموالون له ولأخيه وأبيه من قبل وتداولوا الأمر فيما بينهم واتخذوا قراراً بالتمرد على يزيد وأن يدعوا الإمام الحسين عليه السلام ليكون قائداً وإماماً لهم.

فقد ذكر بعض المؤرخين: ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين ابن علي عليه السلام إلى مكة اجتمع جماعة من الشيعة في منزل سليمان بن صرد، واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم، ليسلموا الأمر إليه، ويطردوا النعمان بن بشير[٥]، فكتبوا إليه بذلك، ثم وجهوا بالكتاب مع عبيد الله

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٤١؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ١٤١.

(٢) سورة القصص، آية: ٢١.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٤١.

(٤) سورة القصص، آية: ٢٢.

(٥) النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثماني سنين وكان من المقربين إلى عثمان بن عفان ولما قتل عثمان أخذ النعمان قميصه ←

ابن سبيع الهمداني وعبد الله بن وداك السلمي، فوافوا الحسين عليه السلام بمكة لعشر خلون من شهر رمضان، فأوصلوا الكتاب إليه [١] واستمرت الكتب والرسائل تتابع على الإمام الحسين عليه السلام حتى اجتمعت ستمائة كتاب عند الحسين عليه السلام في يوم واحد فقط وبلغ مجموع الرسائل على ما نقلت المصادر التاريخية التي وصلت إليه عليه السلام أثني عشر ألف كتاب [٢].

أخذت رسائل الكوفيين تترى على الحسين عليه السلام وهي تدعوه للقيام ضد الحكم الأموي، أضف إلى ذلك أنّ هذه الرسائل جاءت موقعة من قبل عدد كبير من الناس، وهذا يعني أنّ استنفاراً كبيراً حدث في الرأي العام الكوفي ضد الحكم الأموي وشكل أرضية خصبة للثورة [٣].

فاستجاب الإمام الحسين عليه السلام لهذه الدعوات وكتب إليهم كتاباً نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي هذا، من أوليائه وشيعته بالكوفة، سلام عليكم، أما بعد، فقد أتتني كتبكم، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومي عليكم، وإني باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي (مسلم بن عقيل) ليعلم لي كنه أمركم، ويكتب إلي بما يتبين له من اجتماعكم، فإن كان أمركم على ما أتتني به كتبكم، وأخبرتني به رسلكم أسرعت

وأصابع زوجته نائلة إلى معاوية وقد عمل النعمان أميراً على الكوفة لمعاوية ومن بعده لابنه يزيد ثم تولى حمص ثم دعا لبيعة عبد الله بن الزبير فقتله. ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٤.

(١) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٩؛ الفتال النياسبوري، روضة الواعظين، ج١، ص١٧٢.

(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٢٩.

(٣) صاحب، أحمد عليوي، مسيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة بغداد، ٢٠٠٧م)، ص٢٩.

القدوم عليكم إن شاء الله، والسلام) [١].

وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة إلى مكة، فقال له الحسين عليه السلام: " يابن عم، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم، فعجل علي بكتابك لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجل الانصراف"[٢].

فلما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة، نزل في الدار التي تعرف بدار المختار ابن أبي عبيدة[٣]، وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً[٤]

---

(١) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٠.

(٢) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٠.

(٣) المختار بن أبي عبيدة الثقفي: بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كان أبوه من جلة الصحابة، ولد المختار عام الهجرة، وكان قد خرج يطلب بثأر الحسين عليه السلام، واجتمع عليه كثير من الشيعة فغلب على الكوفة، وطلب قتلة الحسين فقتلهم، ثم سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فقتل المختار بالكوفة سنة ٦٧هـ/٦٧٦م. ينظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى بن الغامدي الكوفي (ت١٥٧هـ)، المختار بن أبي عبيدة الثقفي، استخراج وتنسيق وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، (دار المحجة البيضاء للطباعة: بيروت، ٢٠٠٠م)، ص٣٧؛ ابن قتيبة الدّينَوَريّ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، المعارف، صححه وعلق عليه وراجعه: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط٢، (دار إحياء التراث العربي: بيروت ١٩٧٠م)، ص١٧٥-١٧٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١١٧؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٣١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٨-٥٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٣٨؛ بيضون، إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، (دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٧٩م)، ص١٨٧.

(٤) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص٨٤؛ أبو مخنف، لوط بن يحيى الغامدي الكوفي (ت١٥٧هـ)، واقعة الطف، تحقيق: محمد هادي اليوسفي الغروي، ط٣، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: إيران، ١٩٩٤م)، ص١٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٧٥؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٤٩؛ الشيخ المفيد، الإرشاد،
←

وقيل بلغ خمسة وعشرين ألفاً [١] وقيل بلغ من بايعه أكثر من ثلاثين ألفاً [٢].

فكتب مسلم إلى الحسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري [٣] يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته وانتظارهم لقدومه وفيه يقول: **" أما بعد فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي "** [٤].

ثالثاً: طلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام أهداف ثورته الإصلاحية منذ أن عزم على الخروج من المدينة إلى مكة رافعاً شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعازماً على تغيير هذا الواقع الفاسد المرير الذي أصيبت به أُمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"وكان منطقه هو أنّه حيث إنّ العالم الإسلامي قد ساد فيه المنكر**



ص١٤٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٤؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٩٦؛ ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله (ت٦٤٥هـ)، مقتل الإمام الحسين المسمى بـ مثير الأحزان ومنير الأشجان، تحقيق: معين الحيدري، (دار المنتظر: بيروت، ٢٠١٢م)، ص١٢٩ـ١٣٠؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٧.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٣١٠.

(٢) أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣هـ)، كتاب المحن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، ط٣، (دار الغرب الإسلامي: بيروت، ٢٠٠٦م)، ص١٣١.

(٣) عابس بن أبي شبيب الشاكري: هو عابس بن شبيب بن شاكر بن ربيعة بن مالك بن مصعب ابن معاوية بن كثير بن مالك بن جسم بن حاشد الهمداني الشاكري، كان من رجال الشيعة، وكان رجلاً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً، وبنو شاكر من المخلصين في ولائهم لأهل البيت وبالأخص لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٦؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٧٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٧٥؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٣٠.

والفساد وتلوّث بهما وكانت السلطة الحاكمة هي مصدر ذلك كلّه كان من الضروري أن يثور انطلاقاً من مسؤوليته الدينية وواجبه الإلهي " (١).

ولقد نص على هذا الشعار الإصلاحي - الذي هو شعار جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبيين من قبله عليهم السلام - في وصيته التي كتبها لأخيه محمد ابن الحنفية بعد أن عزم على الخروج من المدينة متوجهاً إلى مكة إذ جاء فيها " وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين " (٢).

أما السبب الغيبي فملخصه أن الله سبحانه وتعالى قد أمر الإمام الحسين عليه السلام عن طريق جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج والثورة ضد الحكم الأموي المتمثل بيزيد بن معاوية وذلك لمصلحة عظمى تتعلق بديمومة الرسالة الإسلامية والحفاظ عليها من الانحراف الفكري والأخلاقي الذي

---

(١) السبحاني، جعفر، سيرة الأئمة الاثنى عشر، (قم: إيران، د.ت)، ص١٥١.

(٢) ينظر بتفاوت في الألفاظ: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص٣٣ـ ٣٤؛ ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ)، مقتل الحسين عليه السلام وقيام المختار، ط٢، (مطبعة أنوار الهدى: إيران، ٢٠٠٣م)، ص٣٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٨ـ ١٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩ـ ٣٣٠؛ الميلاني، محمد هادي، قادتنا كيف نعرفهم، ج٣، ص٥٨٨؛ القزويني، عبد الكريم الحسيني، الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، (دار الغدير: ٢٠٠٤م)، ص٧٤؛ باقر، محمد تقي، الإمام الحسين إستراتيجية وموقف، (دار العلوم: ١٩٨٧م)، ص٨٤.

عمل على إرسائه معاوية بن أبي سفيان طول فترة خلافته وقد تجسد تجسداً فعلياً بتأميره لابنه يزيد الذي كان مشهوراً بالفسق والفجور وعدم الالتزام بثوابت الإسلام وما جاءت به الشريعة المقدسة وأنّ الإمام الحسين عليه السلام بما يمتلك من مؤهلات ذاتية وصفات أخلاقية تمثل الخلق الإسلامي الأصيل الذي ورثه من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان الشخص المختار للقيام بتنفيذ هذا الأمر الإلهي فخرج على أساس هذا الاعتبار معلناً ثورته الإلهية الكبرى حتى انتهت باستشهاده عليه السلام في سبيل الله واستشهاد من خرج معه من أهل بيته وأنصاره في كربلاء عليهم السلام.

والدليل على ذلك ورود أحاديث كثيرة على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولسان الإمام الحسين عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام تؤكد وتقرر هذا السبب الغيبي منها ما رواه بن أعثم الكوفي [١] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " فلما أتت على الحسين عليه السلام من مولده سنتان كاملتان خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر له، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها كربلاء يقتل بها ولدي الحسين ابن فاطمة (عليهما السلام)، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له يزيد، لا بارك الله له في نفسه!... قال: ثم رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سفره ذلك مغموماً ثم صعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بن علي بين يديه مع الحسن، قال: فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين ثم

(١) الفتوح، ج٤، ص٣٢٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٦٣. ١٦٤.

رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم! إني محمد عبدك ونبيك وهذان أطايب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن أخلفهما في أمتي، اللهم! وقد أخبرني جبرئيل بأن ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم! فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، إنك على كل شيء قدير، اللهم! ولا تبارك في قاتله وخاذله. قال: وضج الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتبكون ولا تنصرونه! اللهم! فكن أنت له ولياً وناصراً".

هناك دلالة واضحة في هذا الحديث الشريف الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدل على أن خروج الإمام الحسين عليه السلام وثورته إنّما كان تمثلاً لإرادة الحق والعدالة التي أمر بها الله فقول الرسول ((أتبكون ولا تنصرونه)) هو استفهام إنكاري من قبل الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمجرد بكاء المسلمين وحزنهم على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دون أن يبادروا إلى معاضدته ومناصرته فإنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم باستنكاره هذا يدعو المسلمين إلى نصرة ولدهِ الإمام الحسين عليه السلام.

وقد وردت الدعوة إلى نصرتهِ عليه السلام على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صريحة في حديث أنس بن الحارث الذي ذكره ابن عساكر(١) عن أشعث بن سحيم عن أبيه قال: "سمعت أنس بن الحارث يقول: سمعت رسول الله

---

(١) ينظر بتفاوت بالألفاظ: تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٢٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج١، ص٢٧١؛ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر الشافعي (ت٩١١هـ)، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بـ الخصائص الكبرى، (مطبعة حيدر آباد الدكن: الهند، ١٨٠٥م)، ج٢، ص١٢٥؛ القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة، تقديم: محمد مهدي حسن الخرسان، ط٧، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٥م)، ج٢، ص٣٨٢.

(صلى الله عليه وسلم) يقول إن ابني هذا يعني الحسين (عليه السلام) يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره قال فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين (عليه السلام)".

والدعوة من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المعاضدة والمآزرة والمناصرة لا يكون لها وجه وجيه إن لم يكن خروج الإمام الحسين عليه السلام خروجاً شرعياً مستنداً لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو التضحية بنفسه ومن معه في سبيل الله للحفاظ على بقاء توقد جذوة الإسلام التي عمل بنو أمية على إطفائها منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى آلت إليهم السلطة ومقاليد الأمور بالدهاء والخديعة وإثارة الفتن بين صفوف المسلمين والذي يدل على أن هذه الثورة ثورة إلهية هو دعاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون الله للإمام الحسين ولياً وناصراً وقد وردت أحاديث كثيرة على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تخبر بمقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عن طريق الوحي جبرائيل وهذه الأحاديث المستفيضة تدلُ بمجملها على أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن بدافع شخصي ولغرض دنيوي وحباً في السلطة والزعامة والملك كما صورها البعض وإنما كانت تضحية منه عليه السلام بدمائهِ الزكية في سبيل الله تنفيذاً للأمر الإلهي لإرادة الحق ونصرة الخير والسلام.

وقد ورد الحث على نصرة الإمام الحسين عليه السلام على لسان أبيه أمير المؤمنين عليه السلام نصاً في قوله للبراء بن عازب[١]: **"يا براء أيقتل الحسين وأنت**

---

(١) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم الحارثي الأنصاري، سكن الكوفة، كنيته أبو عمارة، وقيل أبو عمرو واستصغره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر فرده توفي في ←

حي فلا تنصره؟! فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين. فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك، ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه"(١).

هذا وقد أخبر الإمام الحسين عليه السلام عندما عزم على الخروج وإعلان الثورة وأنّ خروجه هذا كان مخططاً إلهياً كلف بالقيام به وأنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصل إليه الرسالة الربانية والمشيئة الإلهية في أن يراه الله شهيداً.

فقد نقل أرباب السير والمقاتل بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لما امتنع عن مبايعة يزيد وعزم على الخروج وإعلان الثورة زار قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى عند القبر ركعات وحينما فرغ من الصلاة أخذ يقول: "اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف، وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه، إلا اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى

ولاية مصعب بن الزبير على العراق سنة اثنتين وسبعين. ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٩٥؛ ابن حرب، أبو بكر أحمد بن أبي خثيمة زهير (ت ٢٧٩هـ)، التاريخ الكبير المعروف بـ تاريخ ابن أبي خثيمة، تحقيق: صلاح فتحي هلل، (الفاروق الحديثة للطباعة والنشر: ٢٠٠٤م)، ج٣، ص٩؛ ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، كتاب الثقات، (مطبعة حيدر دكن آباد: الهند، ١٩٧٥م)، ج٣، ص٢٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٦٩- ٢٧٠.

(١) ينظر بتفاوت باختلاف بالألفاظ: ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٦؛ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٥؛ الخطيب التبريزي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٤١هـ)، الإكمال في أسماء الرجال، تحقيق وتعليق: أبو رسول الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، (د.م: د.ت)، ص٢٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٩٢

ولرسولك رضى وللمؤمنين رضى ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى، فرأى جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كوكبة من الملائكة يخبره بما سيجري عليه في كربلاء قائلاً له: حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك [وأخاك] قدموا علي، وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة "[١].

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد ابن الحنفية أن خروجه هذا إنما كان تنفيذاً للتكليف الشرعي الذي شاءه الله سبحانه وتعالى وأنّه عليه السلام لابد أن يتحمل هذا التكليف الخاص به ويمضي في تنفيذهِ على أتم وجه من دون تردد أو حرص منه عليه السلام على الحياة فقد روي أنّ هناك محاورة جرت بين الإمام الحسين عليه السلام وأخيه محمد ابن الحنفية في الليلة التي أراد بها الخروج من المدينة إلى مكة ونصها على ما وردت في كتب الأخبار" سار محمد ابن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها إلى مكة فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال. يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له: ابن الحنفية فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به... فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص ١٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٦ـ ١٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٨؛ الميلاني، محمد هادي، قادتنا كيف نعرفهم، ج٣، ص٥٨٧.

تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلا فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلا، فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا " (١).

إن بجواب الإمام الحسين عليه السلام هذا لأخيه محمد ابن الحنفية إعلاناً واضحاً بأنّ الخروج إنما كان بقرار غيبي من السماء بإخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا القرار الغيبي الذي أخبر به الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن إنكاره مادام المخبر به شخصاً يحمل أخلاقيات الإمام الحسين عليه السلام فإن قال قائل إنَّ ما أخبر به الإمام الحسين عليه السلام هو مجرد رؤية رآها في المنام والرؤية قد لا تكون دليلاً شرعياً جازما يمكن الاستدلال به على المدعى، فنقول أن الرؤية لا تكون دليلاً شرعياً معتبراً إذا كانت رؤية أشخاصٍ عاديين أمّا رؤى الأنبياء وأوصيائهم وأولياء الله فهي رؤية شرعية بإجماع المسلمين، ورؤيا الإمام الحسين عليه السلام تكون حجة أما لكونهِ إماماً معصوماً مفترض الطاعة كما عند الشيعة الإمامية أو لكونه من أولياء الله الصالحين عند جمهور المسلمين، ورؤية إبراهيم عليه السلام في إسماعيل عليه السلام مشهودة عند جميع المسلمين.

والذي يؤكد ذلك ورود أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٥ ـ ٥٦؛ الشريفي، محمود وآخرون، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، (مطبعة أسوة: إيران، ١٤٢٥هـ)، ص٣٩٨ـ ٣٩٩؛ الشاهرودي، محمود الهاشمي، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع، مجلة المنهاج، بيروت، السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرون، ٢٠٠٣م، ص٢٦ـ٢٧.

وسلم تنص على أن الإمام الحسين عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **"حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، وحسين سبط من الأسباط"**[١].

وقد وردت أحاديث على ألسنة أئمة أهل البيت عليهم السلام تنص على أن الثورة والخروج إنما هو بأمر من السماء وعلى أنّ هذا تكليف إلهي أُلقي على عاتق الإمام الحسين عليه السلام ففعل ما أُمر به وسار بأهل بيته وأنصاره حتى وافى كربلاء مصمماً على الشهادة في سبيل الله لكي يكون نبراساً وقدوةً يقتدى بها في كل آن وزمان وصرخة تقض مضاجع الطغاة والظالمين.

قال القرشي[٢] " لقد فجر الإمام (عليه السلام) ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب، وجعلها الله عبرة لأولي الألباب، فأضاء بها الطريق، وأوضح بها القصد، وأنار بها الفكر، فانهارت بها السدود والحواجز التي وضعها الحكم الأموي أمام التطور الشامل الذي يريده الإسلام لأبنائه ".

فعن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: " قال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عز ذكره، وما أصيبوا من

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٧، ص٥١٥؛ ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص١٧٢؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ص٢٢؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٣٢٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٣٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص١٧٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٢٦؛ الحنفي، محمد بن حسين الجفري، قرة كل عين في مناقب سيدنا الحسين، مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء، رقم المخطوط ٤٩٠، ورقة ١٠.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل، (مطبعة الآداب: النجف، ١٩٧٥م)، ج٢، ص٢٦٩.

قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إن الله تبارك وتعالى [قد] كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثم أجراه فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منا"(١).

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((إن الله عز وجل أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله كتاباً قبل وفاته، فقال: يا محمد هذه وصيتك إلى النجبة من أهلك، قال: وما النجبة يا جبرئيل؟ فقال: علي بن أبي طالب وولده عليهم السلام، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب فدفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منه ويعمل بما فيه، ففك أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين عليهما السلام، ففك خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقوم إلى الشهادة، فلا شهادة لهم إلا معك واشر نفسك لله عز وجل، ففعل)) (٢).

وذلك بمجموعه يكشف عن أنّه (صلوات الله عليه) قد أقدم على تلك النهضة عالماً بمصيره وانه عليه السلام كان مأموراً بنهضته من قبل الله تعالى وإلا فلو لم يكن ذلك مرضياً لله تعالى لكان على النبي وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) تحذيره من مغبة نهضته ومنعه منها، لا حث الناس على نصرته وتأنيبهم

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٨١.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٨١؛ الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مطبعة حيدري: ١٩٩١م)، ج٢، ص٦٦٩؛ الشيخ الطوسي، الأمالي، ص٤٤١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٢٥٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٦، ص١٦٢.

على خذلانه ولو كانا قد حذراه ومنعاه لكان حرياً بالاستجابة لهما، فإنّه (صلوات الله عليه) أتقى لله تعالى من أن يتعمد خلافهما [(١)].

نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام

استناداً إلى الأسباب الموضوعية وهي امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد بن معاوية ودعوة أنصاره من أهل العراق إلى القدوم عليهم وإعلان الثورة وعزم الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح المسار المنحرف الذي آلت إليه الدعوة الإسلامية على يد بني أمية واستناداً للسبب الغيبي وهو الأمر من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بضرورة تحرك الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية للحفاظ على ديمومة الرسالة الإسلامية على ما جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تحرك الإمام الحسين عليه السلام في طريق الشهادة من مكة إلى العراق معلناً ثورته الإصلاحية الكبرى وعازماً على التضحية بنفسه وبمن تبعه من آل بيتهِ وأنصاره في سبيل الله.

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام بخطبته في مكة عندما عزم على التوجه إلى العراق أنّه كان يعد نفسه وأهل بيته وأصحابه للتضحية والفداء والشهادة في سبيل المبدأ والحفاظ على روح الدين الإسلامي من الفساد فقد روي أنّه قام خطيباً فقال: بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه (... خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخيرلي مصرع أنا لاقيه. كأنّي بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منى أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم

(١) الحكيم، محمد سعيد الطبطبائي، فاجعة الطف، ص٢٦.

خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت. نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين لن تشذ على رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله) [(١)].

إن الإمام لا يشير في هذه الخطبة إلى أي هدف عسكري بالمعنى المعروف في الأعمال العسكرية، وإنما يعد أصحابه لتضحية مأساوية دامية، ويطلب ممن يريد أن يرافقه أن يعدوا أنفسهم للقاء الله ولبذل المهج في سبيل الله [(٢)].

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام أن تحركه هذا إنما كان تواصلاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاولة لتصحيح المسار الفاسد وترسيخ العدل الإلهي في المجتمع الإسلامي بعد أن أفشى فيه بنو أمية الظلم والفساد والاستئثار بأموال الناس وهضمهم لحقوقهم إذ قال في خطبةٍ خطبها بأصحابه وأصحاب الحر بن يزيد الرياحي أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من رأى سلطاناً جائراً

---

(١) ينظر باختلاف الألفاظ: القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت٣٦٣ هـ(، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، (دار الثقلين: بيروت، ١٩٩٤م)، ج١٢، ص١٤٦؛ الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن (من أعلام القرن الخامس الهجري)، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، (مطبعة مهر: قم، ١٩٨٧م)، ص٨٦؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٨٦ــ ١٨٧؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٥٣؛ الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة ألائمة عليهم السلام، تحقيق: علي الفاضلي، (مطبعة ليلى: ٢٠٠٥م)، ج٢، ص٢٣٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٦.

(٢) الآصفي، محمد مهدي، في رحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ط٢، (مطبعة مجاب: ٢٠١٠م)، ص٦٠.

مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله؛ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغّير عليه بفعلٍ ولا بقول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلال الله، وأنا أحقّ من غيّر... " [١].

وقد أخذ الإمام الحسين عليه السلام في مسيرته [٢] هذه التأكيد على الأسباب التي حدت به لإعلان الثورة والإصرار على التضحية بالنفس والاستعداد للقاء الله سبحانه وتعالى الذي فيه السعادة الكبرى والحياة الأبدية التي ينشدها ويسعى إليها أولياء الله الصالحون إذا عزموا على الإصلاح والتغيير ومجابهة الطغاة والظالمين وقد حث أصحابه على التمسك بذلك إذ قام فيهم خطيباً: " ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء الله عز وجل، محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما " [٣].

وقد ذكر بعض المؤرخين: ولما أصبح الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلى بأصحابه صلاة الصبح، قام خطيباً فيهم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال "إنّ

(١) أبو مخنف، واقعة الطف، ص١٧٢.

(٢) ينظر ملحق رقم (٣)، مخطط المنازل التي مر بها الإمام الحسين عليه السلام أثناء مسيرة من مكة إلى كربلاء.

(٣) ينظر بتفاوت الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٠٤؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١٢، ص١٥٠؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص١١٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٨؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٣٢؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٦٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨١؛ صفوت، أحمد زكي (حيا ١٣٥٢هـ)، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط٢، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ١٩٩٢م)، ج٢، ص٤٨.

الله تعالى أذن في قتلكم، وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والجهاد" [١].

إن في قول الإمام عليه السلام هذا إشارة إلى المشيئة الإلهية والعناية الربانية في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره لكي تورق وتخضر شجرة الإسلام المحمدي الأصيل بدماء الحسين عليه السلام وأنصاره (رضوان الله عليهم) حتى ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [٢] إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأخيراً فإنّ الإمام الحسين عليه السلام خير بين أمرين لا ثالث لهما في يوم العاشر من المحرم من قبل عبيد الله بن زياد وهما أما النزول على حكم ابن زياد والتسليم والخضوع له وإما القتل فاختار الإمام الحسين عليه السلام القتل بعزة وشموخ وكرامة في سبيل الله على الذل والخنوع والاستسلام حيث قال "ألا وإنّ الدعي بن الدعي [المقصود عبيد الله بن زياد] قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)) [٣].

وهكذا انتهت ثورة الإمام الحسين عليه السلام باستشهاده واستشهاد من معه من آل بيته وأنصاره نهاية رسالية بعد أن خاضوا ملحمة بطولية تجسدت فيها أسمى صور التضحية والفداء والشجاعة والصبر في سبيل المبادئ العظمى التي ثاروا

---

(١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٨٨م)، ص١٧٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٥.

(٣) ابن نما، مثير الأحزان، ص٤٠؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٨٦ - ٨٧؛ السيوري، جمال الدين المقداد بن عبد الله (ت٨٢٦هـ)، كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق وتعليق: محمد باقر شريف القرشي، تصحيح وإخراج أحاديثه: محمد باقر البهبودي، (مطبعة حيدري: طهران، ١٩٦٤م)، ج١، ص٣٩٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٦٢.

من أجلها وهي ترسيخ العدل الإلهي والحفاظ على الكرامة الإنسانية والتحرر من قيود الطغاة التي تعيق تحرك الأمة الإسلامية نحو مراتب الكمال من إخلاصها لعبادة الله سبحانه وتعالى وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وتراحم أبنائها فيما بينهم وتعايشهم بأمان وسلام في ظل عزة الإسلام.

وقد أسفرت ثورة الإمام الحسين عليه السلام عن نتائج عديدة في المجتمع الإسلامي على الصعيد السياسي والاجتماعي والأخلاقي والنفسي (١) ويمكن أن نلخص النتائج في ثلاثة أمور وهي:

أولاً: النصر المعنوي.

ثانياً: إسقاط فكرة الشرعية الأموية المظلمة.

ثالثاً: تأجيج وتجديد روح الجهاد الإسلامي.

ونتحدث عن هذه الأمور بشيء من التفصيل.

أولا / النصر المعنوي

على وفق الحسابات المادية فإنّ الإمام الحسين عليه السلام خسر معركته ضد الأمويين عسكرياً إذ إنّها انتهت بمقتله ومقتل جميع من نصره من آل بيته وأصحابه وكذلك أسر نسوتهِ وأطفاله وولده الإمام علي بن الحسين عليه السلام حتى أنهم

---

(١) للمزيد عن نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام ينظر: الشريفي، حيدر حسين حمزة سلمان، الأوضاع السياسية في العراق والحجاز من سنة ٦٠- ٦٥هـ / ٦٧٩- ٦٨٤م، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية التربية: جامعة بابل، ٢٠٠٦م)، ص١١١- ١١٤؛ صاحب، أحمد عليوي، مسيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، ص١٦٠- ١٦٢؛ الطائي، أسامة كاظم عمران، الاتجاهات السياسية القبلية في الكوفة في العصر الأموي (٤١- ٦٥هـ / ٦٦١- ٦٨٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية التربية: جامعة بابل، ٢٠٠٠م)، ص١٨٨.

اقتيدوا سبايا إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة الذي سيرهم بدورهِ إلى يزيد بن معاوية في الشام ولكن رغم هذه الهزيمة العسكرية أن صح التعبير التي تكبدها الإمام الحسين عليه السلام إلا أنّه قد حقق انتصاراً معنوياً زلزل به عرش يزيد بن معاوية وأقض مضجعه وحول زمن سلطته وطغيانه إلى صحيفة سوداء حالكة من صفحات التاريخ الإسلامي وقد تجلى انتصار الإمام الحسين عليه السلام المعنوي في بقاء ضياء سراج الإسلام متوقدا ومنيرا على رغم أنوف بني أمية الذين حاولوا بشتى الوسائل المكر والخديعة والظلم والاستكبار على إطفائه قال تعالى: ﴿ يرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

وأحرز الإمام العظيم بشهادته النصر الهائل الذي لم يحرزه أي ثائر في الأرض فقد انتصرت أهدافه ومبادؤه التي ناضل من أجلها، وكان من أهمها انتصار القضية الإسلامية في صراعها السافر مع الأموية التي عبثت بمقدرات الإسلام، وراحت تستأصل جميع جذوره حتى لا يعد له أي ظل على واقع الحياة، وقد أعاد سلام الله عليه للإسلام نضارته، وأزال عنه الخطر الجاثم عليه (٢).

إنّ من الخطأ أن يتصور أحدٌ أن الإمام الحسين عليه السلام قد هزم بمقتله في واقعة الطف فليس كل من يقتل في ميادين التضحية والجهاد يعد مهزوماً بل المهزوم هو الذي يضحي بنفسه من دون أن يحقق الهدف السامي الذي يسعى إليه والإمام الحسين عليه السلام قد حقق باستشهاده وإراقة دمائه الزكية على أرض كربلاء الهدف الأسمى الذي ضحى بنفسه من أجله وهو عزة الإسلام وديمومة الرسالة المحمدية التي حاول الأمويون إذلالها وطمس آثارها بإعادة المسلمين إلى

(١) سورة صف، آية: ٨.

(٢) القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٤٣٩.

الجاهلية الأولى.

قال الفيلسوف الألماني ماربيين إنّ الحسين قد أحيا بقتله دين جده وقوانين الإسلام، ولو لا قتل الحسين لم يكن الإسلام على ما هو عليه قطعاً بل كان الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد [(١)].

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى هذا النصر المعنوي الخالد في كتابه الذي كتبه من مكة المكرمة إلى بني هاشم في المدينة المنورة إذ ورد فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فإنّ من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام"[(٢)].

إنّ في هذا الكتاب معالم واضحة إلى طبيعة المعركة عسكرياً، بالإشارة إلى كرامة الاستشهاد إلا أنّه في الوقت نفسه توكيد للنصر المعنوي وبلوغ الفتح المبين كنتيجة حتمية لاستشهاده واستشهاد من معه في سبيل الله.

بل ربما يكون الفتح الذي أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام أعظم بكثير من النصر لأنّ الفتح يتعلق بالإنجاز الحضاري، والنصر يتعلق بالإنجاز العسكري والسياسي، والإنجاز الحضاري أعظم درجة من الإنجاز العسكري والسياسي؛ لأنّ

---

(١) نقلاً عن: القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٤٣٩. ٤٤٠.

(٢) ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد بن القمي (ت٣٦٧هـ)، كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد الفيومي، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي: إيران، ١٩٩٦م)، ص ١٥٧؛ابن رستم الطبري، أبو جعفر محمد (من أعلام القرن الرابع الهجري)، دلائل الإمامة، ط٢، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٨٨م)، ص٧٧؛ ابن نما الحلي، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله (ت٦٤٥هـ)، ذوب النضار في شرح الثار، تحقيق: فارس حسون كريم، (د.ط: ١٩٩٥م)، ص٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٨١؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٩، ص٤٦.

الإنجاز العسكري والسياسي إنجاز مؤقت، فلا توجد دولة سياسية تبقى خالدة أبد الدهر، والجانب السياسي له حدود وله نهاية، أما الجانب الحضاري فإنه يبقى، كم أراد بنو أمية وقريش أن يخمدوا نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم لم يستطيعوا وها هي الشهادات الثلاث[١] آخذة في الانتشار في ربوع الأرض، كم أراد هامان وفرعون أن يخمد هذا النور ولكن هذا النور في ازدياد، فتأثير الفتح لا يقتصر على مدة زمنية محدودة، بل يمتد تأثيره ليشمل أجيالاً وأجيالاً [٢].

قال عبد الرزاق المقرم [٣] كان الحسين عليه السلام يعتقد في نهضته أنه فاتح منصور لما في شهادته من إحياء دين رسول الله وإماتة البدعة وتفظيع أعمال المناوئين وتفهيم الأمة أنهم أحق بالخلافة من غيرهم وإليه يشير في كتابه إلى بني هاشم: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح.

فإنه لم يرد بالفتح إلا ما يترتب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة وإقامة أركان العدل والتوحيد وأن الواجب على الأمة القيام في وجه المنكر[٤].

وقد أكد الإمام علي بن الحسين عليهما السلام على هذا النصر أو الفتح المبين في جوابه لمن سأله عن الغالب في معركة الطف روى الشيخ الطوسي عن

---

(١) المقصود بالشهادات الثلاث وهي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أن علياً ولي الله.

(٢) السند، محمد، الشعائر الحسينية فقه وغايات، بقلم: هاشم الموسوي، تحقيق: حسن علوي وطاهر الموسوي، (الأميرة: بيروت، ٢٠١١م)، ج٢، ص٢٢٣.

(٣) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، (منشورات الفيجان: بيروت، ٢٠٠٨م)، ص٥٧.

(٤) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، ص٥٧.

الإمام الصادق عليه السلام، قال: لما قدم علي بن الحسين (عليهما السلام) وقد قتل الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقال: يا علي بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطي رأسه، وهو في المحمل. قال: فقال له علي بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب، ودخل وقت الصلاة، فأذن ثم أقم تعرف الغالب [(١)].

إنّ في قول الإمام عليه السلام إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب فيه أشارة إلى النصر الذي حققه الإمام الحسين عليه السلام وهو الحفاظ على الإسلام ومقومات الدين الحق من خلال ديمومة شعار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((لا تصلوا علي الصلاة البتراء! فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد))** [(٢)].

وبهذا يتضح إصرار الإمام الحسين عليه السلام على الخروج والثورة على يزيد ورفضهِ لنصائح جميع من نصحه بعدم الخروج واعتقادهم أنّه لا يحقق هدفاً كبيراً إلا القتل فإنّ هذه الرؤية على خلاف رؤية الإمام الحسين عليه السلام أنّ في ثورته واستشهاده وآل بيته وصحبه ارتفاع راية الإسلام من جديد.

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص٦٧٧؛ المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، ص٥٧.

(٢) الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (ت١٢٢هـ)، مسند الإمام زيد، (دار الكتب العلمية: بيروت، د.ت)، ص٣٣-٣٤؛ ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص ١٤٦؛ القندوزي، ينابيع المودة، ص٦؛ الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني (ت ١٤١٠هـ)، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ط٣، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٩٣م) ج١، ص٢٢٣.

إن الخلاف بين الحسين عليه السلام وهؤلاء خلاف في الرؤية، وفي مفهوم النصر والغلبة والفتح، لقد كان هؤلاء يتصورون الفتح والنصر والغلبة من منظور عسكري، فلا يشكون أن الحسين عليه السلام يخسر هذه المعركة، فكانوا ينصحون الحسين عليه السلام بعدم الخروج، وكان الحسين عليه السلام ينظر إلى الفتح والنصر والغلبة من منظور حضاري تاريخي، فلا يشك أن الله تعالى سوف ينصره في هذه المعركة، ويفتح له ويحقق له الغلبة على بني أمية[1] قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[2].

ثانياً / إسقاط فكرة الشرعية الأموية المظلمة

لقد حاول الأمويون إضفاء الشرعية على سلطانهم المأخوذ بالقهر والغلبة باعتبار أنهم خلفاء للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه يجب على جميع المسلمين طاعتهم طاعة تامة وأنّ من خرج عليهم خارج عن ربقة الإسلام وذلك باتباع سياسة التضليل الديني وتخدير الناس وشل حركتهم الثورية من خلال ابتداع مقولتي الجبر والإرجاء وتسخير بعض المأجورين من اللاهثين وراء المطامع الدنيوية بوضع الأحاديث في فضل معاوية ووجوب الطاعة للحاكم وإن كان ظالماً وتسقيط خصومهم من العلويين وسخروا أيضاً بعض الشعراء في إنشاء القصائد في مدحهم وتوطيد أركان دولتهم.

فأما مقولة الجبر فمفادها أن الإنسان مجبور في أفعاله وليس له خيار مطلقاً، وأنّ كل ما يفعل العبد سواء كان خيراً أم شراً فهو منسوب إلى الله تعالى وبذلك

(١) الآصفي، محمد مهدي، من الغالب في كربلاء، مختارات من المحاضرات الحسينية، ط٢، (مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام: النجف، ٢٠١٠م)، ج٢، ص ٤٢٩.

(٢) سورة غافر، آية: ٥١.

يكون الإنسان مجرداً من كل إرادة واختيار فهو كالريشة في مهب الريح تحركه يد القضاء والقدر كيف تشاء[١].

ويقال أول من دعى بهذه الدعوة (الجعد بن درهم)[٢] ولقد سخر الأمويون هذه العقيدة لأغراضهم السياسية [٣] وكانت لهم اليد الطولى في نشر هذه الثقافة حتى أن ابن شهر آشوب [٤] قال بخصوص ذلك: إنّ أول من قال بالجبر معاوية وكان علناً يصرح بذلك مستدلاً بآيات من القرآن الكريم تحمل بظاهرها هذا المعنى كقوله تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [٥].

---

(١) الغربي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، ط٢، (مطبعة محمد علي صبيح وأولاده: مصر، د.ت)، ص٢١.

(٢) الجعد بن درهم: هو أول من قال بخلق القرآن، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي، وهو مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، كان شيخه الجعد بن درهم، أصله من خراسان، ويقال إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن قتل الجعد كان لسبب سياسي لا لآرائه في العقيدة.

ينظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، (المطبعة الرحمانية: مصر، ١٩٢٩م)، ص ١٢١. ١٢٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، المغني في الضعفاء، حققه وعلق عليه: نور الدين عتر، (مطبعة البلاغة: حلب، ١٩٧١م)، ج١، ص١٣١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٤٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ٣٨٢؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ط٢، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٧١م)، ج٢، ص١٠٥.

(٣) الحسيني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين، ط٢، (دار التعارف: بيروت، ١٩٧٨م)، ص٣٤٣.

(٤) ابن شهر آشوب، بشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، متشابه القرآن ومختلفه، (المطبعة شركة سامي: إيران، ١٩١٠م)، ج١، ص١٢٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

لقد حاول معاوية أن يغير أساساً عقائدياً ليكون في خدمة نجاح خطته وتوطيد سلطانه، فتظاهر بعقيدة الجبر [١] ؛ ليكون ذلك مسوِّغاً لأفعاله الظالمة بنظر الناس، فعلى مبدأ الجبر لا يكون له الخيار في هذه الأفعال، بل يكون مجبراً عليها، وعلى ذلك فإن أفعاله هي من الله تعالى، فلا يجوز أن يعترض عليها أحدٌ [٢].

وأما مقولة الإرجاء فمفادها أنَّ الإيمان عمل قلبي لا يتأثر بالسلوك الخارجي وأنّ مرتكب الكبيرة مؤمنٌ والحكم فيه يُرجَأ إلى الله [٣].

والإرجاء بمعنى التأخير [٤] والمرجئة استدلوا بحديث نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو "**لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة**" [٥].

وقالوا أيضاً: "إنّ الأيمان اعتقاد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٤٠.

(٢) بركات، أكرم، برقية الحسين عليه السلام كلمتان تختصران الثورة، ط٥، (د.ط: بيروت، ٢٠١٢م)، ص٣١. ٣٢.

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٣٩.

(٤) البغدادي، الفَرق بين الفِرق، ص٢٠٢؛ الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي (ت٤٤٩هـ)، كنز الفوائد، ط٢، (مطبعة غدير: قم، ١٩٤٩م)، ص٥٠؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٨١هـ)، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، (دار الإتحاد العربي للطباعة: القاهرة، ١٩٦٨م)، ج١، ص١٣٩.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، شرح المواقف لعبد الرحمن الإيجي، تحقيق وشرح: علي بن محمد الجرجاني، (مطبعة السعادة: مصر، ١٩٠٧م)، ج٨، ص٣٧٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٨.

وجل ومن أهل الجنة " [١].

وهدف هذه المدرسة والتي كانت لمعاوية إسهاماً فعالاً في إرساء قواعدها هو إثبات إيمان بني أمية رغم كل تصرفاتهم وأعمالهم، فلعلهم يسبقون الناس إلى الجنة ما دامت قلوبهم مؤمنة [٢].

وقد كان المرجئة يبشرون بهذه الأفكار بين صفوف الأُمة المسلمة من أجل تخديرها وصرفها عن الاستجابة لدعاة الثورة على الأُمويين [٣].

وقد ذكر ابن أبي الحديد [٤] أنّ معاوية كان يتظاهر بعقيدة الجبر والإرجاء حيث قال: " ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله، يرمى بالزندقة. وقد ذكرنا في نقض " السفيانية " على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله، وما تظاهر به من الجبر والإرجاء ".

وأما الأحاديث فقد اشترى معاوية ذمم البعض (كأبي هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والبراء بن عازب) بعد أن أغراهم بالمال والمناصب لاختلاق أحاديث على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تشير إلى فضل معاوية منها ما روي كذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **الأمناء عند الله ثلاثة؛ أنا، وجبرائيل، ومعاوية** " [٥]، وروي أيضاً " **أنا مدينة العلم، وعلي بابها،**

(١) أيوب، سعيد، معالم الفتن، (المطبعة سبهر: قم، ١٩٩٥م)، ج٢، ص٣٧٤.

(٢) الصفار، حسن موسى، الحسين عليه السلام ومسؤولية الثورة، مختارات من المحاضرات الحسينية، ط٢، (مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام: النجف، ٢٠١٠م)، ج١، ص٣٥٥.

(٣) شمس الدين، ثورة الحسين، ص٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٤٠.

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد ←

ومعاوية حلقتها " [١]**، " وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) ناول معاوية سهماً فقال خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة "** [٢]**.**

وهذه الأحاديث استفاد منها معاوية في تصوير نفسهِ قدوة دينية صالحة في المجتمع الإسلامي ينبغي الاقتداء بها، وهناك أحاديث أخرى وضعها الكذابون تدعو الناس إلى الخضوع والركون إلى حكمهم الطاغوتي مهما صدر منهم من أفعال، لا ترضي الله عز وجل وليس من الدين في شيء.

ومن الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " سيليكم بعدي ولاة، فيليكم البر ببره، والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا فيما وافق الحق، وصلوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم " [٣]، وروي أيضاً " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني " [٤].

→ الرجال، دراسة وتحقيق وتعليق:علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٨م)، ج٥، ص١٧١؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٤، ص٢٣٧.

(١) الأميني، الغدير في الكتاب والسنة، ج٧، ص١٩٨.

(٢) الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي الهيثمي (ت٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: سهيل زكار، ط٣، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٩٨٤م)، ج٧، ص٨٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٩، ص٩٥.

(٣) الدارقطني، علي بن عمر (ت٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق وتعليق وتخريج: مجدي بن منصور سيد الشوري، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٤٢؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٥، ص٢١٨.

(٤) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم ←

وكقوله " من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتة جاهلية "[١] وكقوله " تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع "[٢].

ومن الواضح أن هذه الروايات من اختراع السياسة وليس من المعقول أن يحض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على دعم المنكر والظلم وطاعة الحكام الفجرة الذين يسلبون الناس أموالهم ويعذبونهم وهل جاء الإسلام ليقر الظلم والفساد؟ وإذا كان الحاكم يسلب الأموال ويجلد الظهور وبهذا يكون طاغية وقاطع الطريق وهل مهمة الحكام إلا حفظ الأمن والحقوق والعدل بين الناس ورفع المظالم عنهم؟ [٣].

وقد أدَّت هذه الأحاديث الموضوعة والتي كانت تدرَّس في الدواوين والكتاتيب إلى إيجاد حالة شعبية تعتقد بتحريم المعارضة ضدّ الحكم الظالم، بل تدعو إلى القضاء عليها، بغضّ النظر عن مدى صوابية طرحها، ومع عدم أخذ الممارسات الظالمة من قبل الحكومات بعين الاعتبار[٤].

وقد عمل معاوية على تحريف تفسير الآيات القرآنية من خلال دفعهِ الأموال

المسمى الجامع الصحيح، (دار الجيل: بيروت، ٢٠٠٩م)، ص٧٦٥.

(١) مسلم، صحيح مسلم، ص٧٧٠؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (دار الوطن: الرياض، ١٩٩٧م)، ج٢، ص٣٧٥.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ص٧٧١.

(٣) الورداني، صالح، السيف والسياسة في الإسلام الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي، (دار الجسام: القاهرة، ١٩٩٦م)، ص١٧٠.

(٤) بركات، أكرم، برقية الحسين عليه السلام، ص ٣٤.

الطائلة لبعض من لديه القدرة على صرفها عن سبب نزولها الحقيقي إلى سبب آخر تسقيطاً لمعارضيهِ من العلويين في أعين الناس حيث دفع معاوية لسمرة بن جندب [١] أربعمائة ألف ليروي قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ } [٢]، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام [٣].

وإنّ قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [٤] نزلت في عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام [٥].

قال ابن أبي الحديد [٦] " وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي [٧] رحمه الله تعالى

---

(١) سمرة بن جندب: بن هلال بن حديج بن مرة بن حزم بن عمرو بن جابر بن ذي الرياستين الفزاري، أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمان، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو سليمان، أقره معاوية على البصرة ثم عزله، توفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٠٨- ١٠٩؛المزي، تهذيب الكمال، ج٣، ص٣١٢-٣١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٤- ٢٠٥.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٠٧.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧٣.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦٣.

(٧) أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي، من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم، وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم، وهو بغدادي أصله من سمرقند، قال ابن النديم: كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والنزاهة، بلغ في مقدار عمر ما لم يبلغه أحد، وكان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره، توفي سنة ٢٤٠. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٥، ص ٢٢١.

تعالى - أن - معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير".

وأما الشعراء فلقد استغل معاوية بعض الشعراء وأغدق عليهم الأموال لتعزيز أفكاره التي عمل على نشرها في صفوف المسلمين من كونه تقلد الخلافة بقضاء وقدر من الله فهو كما صوره الأخطل خليفة الله في الأرض وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد من المسلمين التمرد وإعلان الثورة عليه إذ قال:

إلى امرئٍ لا تُعَدينا نَوافِلُهُ ... أظفَرَهُ اللهُ، فَلَيَهنا لَهُ الظفرُ

الخائضِ الغَمرَ، والمَيمونِ طائِرُهُ ... خَليفَةِ اللهِ يُستَسقى بِهِ المطَرُ (١)

ولقد مدح الأخطل الأُمويين وعمرو بن العاص، حينما خاضوا معركة صفين ضد الإمام علي عليه السلام عندما كادت الهزيمة تقع بهم فصور فكرة عمرو بن العاص برفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم إلهاماً من الله إذ قال:

تَمت جُدودُهمُ، واللهُ فضلَهم ... وجَد قَوم سِواهُم خامِلٌ، نَكِدُ

هُمُ الذينَ أجابَ اللهُ دعوَتَهُم ... لما تلاقَت نواصِي الخَيلِ، فاجتلَدُوا

ويومَ صِفينَ، والأبصارُ خاشِعَة ... أمدَّهم، إذ دَعوا، مِن ربهم مَددُ

على الأُولى قَتَلوا عُثمانَ مَظلِمة ... لم يَنهَهُم نَشَدٌ عنهُ، وقد نُشدوا(٢)

---

(١) الأخطل، غياث بن غوث بن الصلت (ت٩٠هـ)، ديوان الأخطل، (المركز الثقافي اللبناني: بيروت، د.ت)، ص٣٦.

(٢) الأخطل، ديوان الأخطل، ص٢٥وص٢٨.

ولقد استمر هذا الثناء والتمجيد من كون الخلافة إنّما جاءهم هبة من الله سبحانه وتعالى لولده يزيد حينما عقد له ولاية العهد إذ قال الشاعر في ذلك:

إلا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فإنما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد[(١)]

وارتفع تصفيق حاد من الحاضرين بينما أسر معاوية إلى الشاعر قائلاً: لقد فرضنا لك عطاء وأنت في بلدك فإن شئت أن تقيم بها أو عندنا فافعل فإنّ عطاءك سيأتيك. إنّ هذا الشاعر واسمه مسكين الدرامي ما هو إلا أنموذج يمثل طبقة من الناس لا يخلو منها مجتمع وزمان وهي الطبقة التي ترى في الجور والظلم أفضل فرصة لتحقيق مطامعها ولكسب المصالح والامتيازات، فتلتف حول النظام الحاكم، وتدعم وجوده وتصفق لتصرفاته، وتلعب دوراً رئيسياً في تمكين سيطرة الحكم على الشعب وبذلك تنال المناصب العالية والامتيازات الواسعة في الدولة[(٢)].

لقد عمل الإمام الحسين عليه السلام لما عزم على التحرك ضد حكومة يزيد ابن معاوية على تحطيم الإطار الديني المزيف الذي تأطر به الحكم الأموي وحرص كل الحرص منذ بدأ تحركه لإعلان الثورة على سلب صفة الشرعية من حكومة بني أمية حينما صرح بكل وضوح أنّه سمع من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " الخلافة محرمة على آل أبي سفيان "[(٣)].

---

(١) الأخطل، ديوان الأخطل، ص ٢٨؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٢٧٢.

(٢) صفار، حسن موسى، الحسين عليه السلام ومسؤولية الثورة، ج١، ص٣٥٢.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٧.

لأنّ الإمام كان يستشعر الخطر الكبير الذي يمثله بنو أمية على الإسلام، فإنّ الممارسات اللاشرعية التي كانوا يمارسونها إنّما كانت باسم الدين باعتبار أنهم يمثلون الواقع الشرعي للخلافة، ولو غض النظر عن هذه البدع التي ابتدعها معاوية وأورثها لابنه يزيد لأخذ الانحراف يزداد تأصلاً بعيداً عن الدين القيّم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما بقي من الإسلام إلا الرسم وقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام مراراً وتكراراً حين بدأ مسيرة الثورة وحتى نهايتها على حقيقة ثابتة ألا وهي زيف الإسلام الأموي.

فحينما كان الإمام الحسين عليه السلام في مكة بعث بكتابين الأول إلى زعماء البصرة والثاني إلى زعماء الكوفة يؤكد فيهما تعطيل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الأمويين وابتداعهم أموراً ليست من الدين في شيء؛ وأنّ الخليفة والإمام لابد أن يكون عاملاً بكتاب الله ومقتفياً سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا خلاف ما كان عليه معاوية وولده يزيد إذ جاء في كتابه إلى زعماء البصرة: " **وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنّ السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد** " (١).

وجاء في كتابه إلى زعماء الكوفة " **فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام** " (٢).

هذا وقد صرح الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء بأنّ من اجتمعت كلمتهم على قتلهِ ليسوا على الإسلام من شيء فشأنهم شأن اليهود والنصارى

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٥٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٥٧.

والمجوس الذين باؤوا بغضب من الله تعالى نتيجة لشركهم في عبادة الله فقد روي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما نظر إلى كثرة من قتل من أصحابه قبض على شيبتهِ المقدسة وقال: " اشتد غضب الله على اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم، واشتد غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم " (١).

لقد أنزل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ضربة قاصمة في جسد الحكم الأموي وكشفت القناع عن الوجه القبيح الذي كان عليه الأمويون من كيدهم للإسلام وحرصهم الشديد على تقويض أركانه وإعادة المجتمع المسلم للعهود الجاهلية والعصبية القبلية إذ أحدث استشهاده عليه السلام تبدلاً في الرأي العام الإسلامي حيث تعالت صرخات الشجب والاستنكار لمصرعه الشريف في مختلف أمصار الدولة الإسلامية حتى في داخل القصر الأموي في الشام وانتشرت ثقافة لعن يزيد ولعن أبيه وبني أمية قاطبة والتبرء من أفعالهم في أوساط المسلمين بشكل عام.

قال مجاهد وهو ممن عاصر تلك الفترة والله أخذ الناس جميعاً يلعنون يزيد ويسبونه وويعيبون عليه ويعرضون عنه (٢).

وحتى كاد استشهاده عليه السلام أن يحدث انقلاباً شعبياً على سلطان بني أمية خصوصاً بعد الدور الإعلامي الذي قام به الإمام علي بن الحسين عليهما

---

(١) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (د.ط: ١٩٩٦م)، ص٢٢٣.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص الأمة، ص١٦٤. ص٢٦٢.

السلام وعمته زينب بنت علي عليهما السلام وبعض نساء بني هاشم في تعرية الحكم الأموي وكشف واقعه الحقيقي أمام أنظار المسلمين مما حدا بيزيد بن معاوية إلى تحميل تبعات مقتل الإمام الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد بعد أن استدعاه إلى الشام وأعطاه أموالاً كثيرة وأكرمه وأعظمه.

قال المؤرخون إنّه (أي يزيد) استدعى ابن زياد وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقربه مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه(١).

وذكر ابن الأثير (٢) : ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، ووصله، وسرّه ما فعل ثمّ لم يلبث إلاّ يسيراً حتى بلغه بغض الناس له، ولعنهم، وسبّهم فندم على قتل الحسين فكان يقول: وما عليّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكّمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهنٌ في سلطان حفظاً لرسول الله، صلّى الله عليه - وآله - وسلّم، ورعاية لحقّه وقرابته! لعن الله ابن مرجانة فإنّه اضطرّه، وقد سأله أن يضع يده (٣) أو يلحق بثغر حتى يتوفّاه الله، فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتل الحسين مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه.

---

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص الأمة، ص ٢٩٠؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، ط٣، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٧٠)، ج١، ص٩١.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٣٩.

(٣) ومن المؤكد أن هذه العبارة من إضافات يزيد أو مؤرخي البلاط، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقل أبداً أنّه مستعد لمبايعة يزيد ووضع يده في يده وذلك لأنّ ثورة عاشوراء منذ بدايتها إلى نهايتها كانت رفضاً لبيعة يزيد من الأساس. السبحاني، جعفر، سيرة الأئمة عليهم السلام، ص١٩٢.

لقد عملت واقعة كربلاء ومسألة الأسرى من أهل بيت النبوة، والخطب التي ألقيت من قبل زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام والإمام زين العابدين عليه السلام في الكوفة والشام، على تعرية الواقع الداخلي لبني أمية، وأحبطت فاعلية الإعلام الأموي في سنوات متمادية من حكومة معاوية، ووصل الأمر إلى أن يتبرّأ يزيد من عمل أزلامه وقواته أمام الملأ، وهكذا كانت واقعة كربلاء عاملاً مؤثراً في تقوية المدّ الشعبي وإسقاط الحكومة الأموية ولو بعد حين [١].

ثالثاً / تأجيج وتجديد روح الجهاد الإسلامي

لقد أحدثت ثورة الإمام الحسين عليه السلام زلزالاً شديداً تحت أقدام الطغيان الأموي المتمثل بيزيد بن معاوية مما أدى إلى تصدع بنيان جبروتهم من الأساس فقد بث دمه الشريف الحياة في شريان جسد المجتمع الإسلامي وأحيا في نفوس المسلمين روح التضحية والفداء وألهب مشاعرهم وأيقظ ضمائرهم للتحرك في ميادين النضال والجهاد للعمل على الإطاحة بالحكم الأموي والتخلص من رموزه الفاسدة التي نخرت في جذع الشجرة الإسلامية المورقة حتى كادت أن تضمحل وتموت لنصرة دينهم والدفاع عن شخصيتهم لكراماتهما فهبت الشعوب المسلمة لكراماتها التي أذلها الحكم الأموي محاولين بذلك أعادة الحق إلى نصابه وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما كانت عليه في عهده بعد سنين طوال من الزيغ والانحراف فتوالت الثورات تباعاً متأثرة تأثيراً مباشراً بثورة الإمام الحسين عليه السلام ورافعة لشعار الإصلاح في أُمة جده رسول الله صلى

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الشيعة في الإسلام، (مطبعة بهمن: إيران، ٢٠٠٤م)، ص٢٦٦ـ ٢٦٨.

الله عليه وآله وسلم الذي كان هو الشعار الأبرز في ثورته المباركة عليه السلام.

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام السبب في انبعاث الروح النضالية في الإنسان المسلم من جديد بعد فترة طويلة من الهمود والتسليم ولقد كانت الآفات النفسية والاجتماعية تحول بين الإنسان المسلم وبين أن يناضل عن ذاته وإنسانيته فجاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة [١].

وهكذا انطلقت الثورات ضد الحكم الأموي بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سنة (٦١هـ / ٦٨٠م) إثر المجزرة الدموية التي شهدتها كربلاء واهتز لها ضمير العالم الإسلامي هزةً عنيفةً لم يشهد لها تاريخ الإسلام مثيلاً، وكانت بداية هذه الثورات في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العارفة بفضل الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم في الكوفة مركز شيعته وأنصاره.

يقول نبيه عاقل [٢] : وقد سطرت هذه الفاجعة صفحة سوداء في تاريخ الدولة الأموية، وكانت المنطلق الذي انطلقت منه المعارضة الشيعية المسلحة لحكم بني أمية وكانت في المدى البعيد أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط الحكم الأموي.

(١) شمس الدين، محمد مهدي، الثورة الحسينية، ص١٩٥.

(٢) نقلاً عن: الموسوي، محسن باقر، ثورة الإمام الحسين عليه السلام دراسة في الجذور والتكوين، (مؤسسة الفكر الإسلامي: بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٣٤٧.

المبحث الثاني / الثورات العلوية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

كان لإحياء الروح الجهادية في نفوس المسلمين بفعل ثورة الإمام الحسين عليه السلام أثرٌ مباشرٌ في انطلاق ثورات بعد استشهاده عليه السلام ضد الحكم الأموي رافعة لشعار الإصلاح ودعاية للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام ومن استشهد معه من آل بيته وصحبه في كربلاء، فكانت ثورة التوابين في الكوفة ومن بعدها ثورة المختار الثقفي في العراق وهذا استعراض موجز لهذه الثورات لأسباب ونتائج تلك الثورات تباعاً:

أولاً / ثورة التوابين (٦٥هـ / ٦٨٤م)

سرعان ما ظهرت بوادر الحسرة والندم في أوساط أهالي الكوفة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام نتيجة شعورهم لما اقترفوه من عظيم الذنب من ترك بعضهم نصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتراك بعضهم في قتله بعد أن بعثوا إليه بالكتب والرسائل يدعونه للقدوم عليهم فلما قدم عليهم خذلوه وتقاعسوا عن نصرته بل إنّ كثيراً منهم انقلبوا عليه وانضموا إلى نصرة أعدائه من بني أمية.

وكان لدخول الإمام زين العابدين عليه السلام وعماته وأخواته أُسارى إلى الكوفة على عبيد الله بن زياد الدور الأبرز في تأجيج مشاعر الحزن والتأسف فقد خطب فيهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قائلاً: "أيها الناس! ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، وقاتلتموه وخذلتموه؟ فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي "(١).

ومضى يذكر أهل الكوفة بكتبهم ومواعيدهم وبما ارتكبوه من الفضائح حتى ضج الناس بالبكاء والعويل ولقد قدر لهذا الشعور بالإثم أن يبقى مشتعل الأوار حافزاً للثورة والانتقام فارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية يقول بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون (٢).

وقد ألهبت عقيلة الطالبيين زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام الشعور بالإثم والندم في نفوس الكوفيين حينما قرعتهم بخطبتها المشهورة: "أما بعد يا أهل الكوفة أتبكون! فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا ساء ما تزورن إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، ومدار حجتكم ومنار محجتكم، وهو سيد شباب أهل

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٣.

(٢) الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة السجاد عليه السلام، (مطبعة الهادي: ١٩٩٤م)، ج٧، ص١٠١-١٠٢.

الجنة"[١].

قال من سمعها فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

فلا والله ما أتمت حديثها حتى ضج الناس بالبكاء وذهلوا وسقطوا ما في أيديهم من هول تلك المحنة الدهماء.

وكان أشد الناس ندماً شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام الذين تخلفوا عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام حيث إنّهم جعلوا يتلاومون فيما بينهم ويقرون على أنفسهم الذنب لخذلانهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنهم أوجبوا على أنفسهم التكفير عن عظيم ما اقترفوه من عدم نصرته عليه السلام بالمطالبة بثأره والاقتصاص من عدوه.

فلقد ذكر الطبري[٣] لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري[٤]

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص٩٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٠٩؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٣، ص٤٨٤.

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص٩٢.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٥٢.

(٤) المسيب بن نجبة بن ربيعة: ابن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمخ بن فزارة، تابعي، كان رأس قومه شهد القادسية وفتوح العراق وشهد حصار دمشق، كما شهد مع الإمام علي ←

وكان من أصحاب عليٍّ وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي [(١)]، وإلى عبد الله بن وال التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي [(٢)].

ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب عليٍّ ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم[(٣)].

عليه السلام مشاهده كلها. وسكن الكوفة، وكان شجاعاً بطلاً، فقد كان يوصف بأنه فارس مضر الحمراء علماً، إذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم. وكان متعبداً ناسكاً، وكان أحد من خرج من الكبار في جيش التوابين الذين خرجوا يطلبون بدم الإمام الحسين عليه السلام وقتل في يوم عين الوردة من أرض الجزيرة سنة ٦٥هـ /٦٨٤م، بعدما قاتل قتالاً شديداً وبعث برأسه إلى مروان بن الحكم فنصبه في دمشق. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢٤١؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٢٥.

(١) عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، من أزد شنوءة: أحد رؤساء الكوفة وشجعانها. خرج مع سليمان بن صرد في نحو خمسة آلاف رجل يقال لهم " التوابون " يطلبون ثأر الحسين عليه السلام. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٨٩.

(٢) رفاعة بن شداد البجلي: وهو رفاعة بن شداد بن عوسجه الفتياني، وفتيان بطن من بجيلة، حيث كان سيد قراء أهل المصر، ناسكاً، من الشجعان المقدمين، وكان من شيعة علي، ولما قتل الإمام الحسين عليهم السلام كان أحد القواد الخمسة في جيش التوابين حيث كان أحد القصاص الثلاثة الذين يحضون الناس على القتال، وكان آخر من بقي من القواد في جيش التوابين في معركة عين الوردة حيث اخذ الراية وانسحب في ستار الظلام بمن بقي من الجيش ورجع بهم إلى الكوفة، ثم كاتبه المختار وهو في السجن حين قدم من عين الوردة، وحين أعلن المختار ثورته كان رفاعة في صفوف مقاتليه وأبلى بلاء حسناً إلى أن قتل في عام ٦٦هـ /٦٨٥م. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٩٦ وما بعدها وج٦، ص٤٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٤٢وما بعدها؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٩١١هـ)، المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي: مصر، ١٩٦٢م)، ج١، ص٤٩٩؛ أمير، خالد راسم، حركة التوابين ٦١-٦٥ هـ /٦٨٠- ٦٨٤ م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية: جامعة بابل، ٢٠٠٧م)، ص١٤٨. ١٥٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٥٢.

ولقد ألقيت في هذا الاجتماع خطب حماسية تدعو إلى قتل قتلة الحسين عليه السلام أو القتل في سبيل ذلك لعل الله يغفر لهم ويرضى عنهم واتخذ هذا الاجتماع عدة قرارات منها انتخاب سليمان بن صرد الخزاعي قائداً للثورة ومكاتبة الحواضر الإسلامية التي تضم الشيعة في العراق وخارجه للانضمام إليهم والأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام وإحاطة تحركهم هذا بالسر والكتمان الشديدين وكان هذا الاجتماع هو بداية تحرك ثورة التوابين سنة (٦١هـ / ٦٧٩م) وبلغ عددهم فيما يذكر المؤرخون مائة شخص (١).

وبعد هلاك يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م) أعلنت ثورتهم بعد عام من ذلك سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م) على الحكم الأموي وكان عددهم فيما يذكره المؤرخون أربعة آلاف، وقد أرسل قائد الثورة سليمان بن صرد الخزاعي حكيم بن منقذ الكندي، والوليد بن غصين الكناني وأمرهما أن يجوبا في مدينة الكوفة ويناديا بشعار الثورة يالثارات الحسين! وهو أول شعار يرفع للطلب بدماء الإمام الحسين عليه السلام (٢).

ثم توجه التوابون إلى كربلاء المقدسة لزيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام وإعلان التوبة عند مرقده الشريف (٣) وقد قالوا عند ضريح الإمام: " اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد المهدي ابن المهدي الصديق ابن الصديق اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم اللهم

---

(١) القرشي، حياة الإمام الحسين، ج٣، ص٤٥١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٥٣؛ القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٤٥١.

(٣) القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٤٥٢.

إنا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " (١).

ثم سارت كتائب التوابين (٢) حتى انتهى بهم المقام إلى عين الوردة (٣) وكان عبيد الله بن زياد توجه لقتالهم في ثلاثين ألفاً، حتى إذا صاروا إلى عين الوردة التقى القوم في الشام، وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات في الطلائع فاستشهد سليمان بن صُرَد الخزاعي، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة، وأبلى وحثَّ وحرَّض، فأخذ الراية المسيب بن نجبة الفزاري وكان من وجوه أصحاب عليّ عليه السلام، فقاتل حتى قتل ثم قتل من بعده عبد الله بن سعد بن نفيل فلما علم من بقي من التوابين: أن لا طاقة لهم بمن بإزائِهم من أهل الشام انحازوا عنهم، وارتحلوا، وعليهم رفاعة بن شداد البجلي، وتأخر أبو الحويرث العبدي في جابية الناس، وطلب منهم أهل الشام المكافَّة والمتاركة، لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم، فلحق أهل الكوفة بمصرهم وأهل المدائن والبصرة ببلادهم (٤).

وهكذا انتهت ثورة التوابين باستشهاد أغلب من اشترك فيها من القادة والجند ولم يحقق الثائرون هدفهم الأول في الاقتصاص من قتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام وعلى وجه الخصوص عبيد الله بن زياد ولكن من استشهد منهم حقق هدفهم الثاني وهو التواصل مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام في التضحية

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٠٤.

(٢) ينظر ملحق رقم (٤) خارطة توضح سير التوابين من الكوفة إلى بلاد الشام.

(٣) عين الوردة: وهي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١١٨٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٩٤-٢٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٧٩.

والاستشهاد على محبته ونصرته.

وكان السبب الرئيس في القضاء على هذه الثورة هو عدم التكافئ بين الثوار وجند الشام إذ تناقص عددهم من ستة عشر ألفاً حسب ما يرويه البلاذري إلى أربعة الألف بعد قدوم المختار إلى الكوفة [(١)].

وقد أسهم ذلك في إرباك التوابين وتعقيد مهمتهم، وأسهم بعد ذلك في انفضاض جزء من الأتباع عنهم، متأثرين بالحملة الإعلامية التي قادها المختار ضد سليمان بشكل خاص، متهماً إياه بقصر النظر والعجز في الحرب وجر الشيعة إلى القتل [(٢)].

بالإضافة إلى ذلك فإنّ قائد التوابين ارتكب خطأً ستراتيجياً حينما قرر الخروج من الكوفة وترك كبار قتلة الإمام الحسين عليه السلام بها أمثال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم والتوجه إلى الشام لمقاتلة عبيد الله بن زياد.

فإنّ سليمان بن صرد لم يستمع لنصيحة عبد الله بن سعد حينما كانوا معسكرين بالنخيلة إذ " قال له عبد الله بن سعد بن نفيل إني قد رأيت رأياً إن يكن صواباً فالله الموفق وإن يكن ليس صواباً فمن قبلي إنا خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والقبائل فأين نذهب من هنا وندع الأوتار؟ فقال أصحابه كلهم: هذا هو الرأي.فقال سليمان: لكن أنا لا أرى ذلك إن الذي قتله وعبأ الجنود إليه وقال لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد فسيروا إليه

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٥.

(٢) بيضون، إبراهيم، ثورة الحسين حدثا وإشكاليات، ط٢، (بيروت: ٢٠٠٧م)، ص٩٧.

على بركة الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه"[١].

فقد ذكر حميد بن مسلم [٢] كما في رواية الطبري عند اقتراب جند الشام من التوابين قال: " فلما دنوا دعونا إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان وإلى الدخول في طاعته، ودعوناهم إلى أن يدفعوا إلينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من إخواننا، وأن يخلعوا عبد الملك بن مروان، وإلى أن يخرج من ببلادنا من آل ابن الزبير، ثم نرد هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة؛ فأبى القوم وأبينا " [٣].

فإنّ التوابين ساروا بثورتهم هذه على خطى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام في مقارعة الطغاة والظالمين ومحاولة إصلاح الواقع الفاسد وإعادة الحق إلى نصابه وهي دعوة الإصلاح التي رفعها الإمام الحسين عليه السلام من قبل.

انتهت حركة التوابين بهزيمة عسكرية أدت إلى استشهاد أربعة من قادتها وأكثر من نصف رجالها قاتلوا قتال الأُسود كما يقول فلهاوزن [٤] ولكن الهزيمة تتحول إلى انتصار إذا راعينا ما قصد إليه التوابون من حركتهم إذ جعلوا الشهادة العنوان الرئيس لها وقد تحقق لهم ما أرادوا وعلى صورة النموذج الحسيني خاضوا

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣. ٤.

(٢) حميد بن مسلم الكوفي: عد من مجاهيل أصحاب السجاد عليه السلام، أقول: هو ناقل جملة من قضايا كربلاء على نحو يظهر منه أنه كان في واقعة الطف. الشاهرودي، علي النمازي (ت١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، (مطبعة حيدري: طهران، د.ت)، ج٢، ص٢٨٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٩٨.

(٤) يوليوس، فلهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عن الألمانية: عبد الرحمن بدوي، (دار القلم: بيروت، ١٩٧٦م)، ص١٤١.

التجربة بكل هالتها وصفائها وعلى جانب آخر، فإنّ الشهادة لا تختزل كل النتائج في هذه الحركة التي شكلت أحد أبرز التحولات في المسار الشيعي باتجاه الثورة ومقاومة الطغيان، ليس في زمانها فحسب بل في كل الأزمنة التي تشتد فيها وطأة الظلم وتنهار فيها القيم وتستباح فيها إنسانية الإنسان [١].

ثانياً / ثورة المختار (٦٦ - ٦٧هـ / ٦٨٥ - ٦٨٦م)

لم يكد شعار يا لثارات الحسين يخبو أواره بعد القضاء على حركة التوابين حتى عاد يتأجج من جديد ويرتفع صوته عالياً في ميادين الكوفة بظهور حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في سنة (٦٦هـ / ٦٨٥م) فإنّه يعد من أبرز الشخصيات الثورية التي عرفها التاريخ والتي تأثرت تأثيراً كبيراً بثورة الإمام الحسين عليه السلام ودعت إلى الاقتصاص من قتلته وأقامة حكومة مواليه لآل البيت عليهم السلام على غرار حكومة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

كان استشهاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، حفيد الرسول، صدمة عنيفة مست مشاعر المسلمين في كل مكان، فأثارت عطفهم على الحسين وآل بيته وشيعته، وأصبح المسلمون لا يرون ما يمسح أحزانهم أو يخفف من آلامهم سوى الأخذ بثأر الحسين من قتلته ورأى المختار أن يكون هو القائد الذي يقود الشيعة للأخذ بثأر الحسين ويشفي غليل المسلمين والشيعة، وأصبح الأخذ بثأر الحسين الأساس الأول للحركة السياسية التي قام بها المختار في بلاد العراق [٢].

---

(١) بيضون، إبراهيم، ثورة الحسين حدثا وإشكاليات، ص١٠٥.

(٢) الخربوطلي، علي حسني، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر: القاهرة، ١٩٦٥م)، ص٧٦.

ولقد بدأ لمعان اسم المختار في صفوف أتباع آل البيت منذ بوادر ثورة الإمام الحسين عليه السلام وقدوم رسوله مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة أواخر سنة (٦٠هـ / ٦٨٠م) لأخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام فقد ذكرت المصادر التاريخية أن مسلماً عليه السلام حينما دخل الكوفة أقام في دار المختار الثقفي ثم انتقل بعد ذلك إلى دار هاني بن عروة [١].

ولقد أعد نفسه كي يكون أحد أنصار ثورة الإمام الحسين عليه السلام ولكنه لم يتهيأ له الاشتراك في معركة الطف بكربلاء، لأنّ عبيد الله بن زياد قد قبض عليه بعد القضاء على حركة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة وأودعه السجن فلم يزل فيه حتى قتل الإمام الحسين عليه السلام وعزم على قتله فتشفع فيه زوج أخته عبد الله بن عمر في كتاب أرسله إلى يزيد بن معاوية فورد الكتاب من يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإطلاق سراحه.

روى اليعقوبي[٢] " وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي أقبل في جماعة عليهم السلاح، يريدون نصر الحسين بن علي، فأخذه عبيد الله بن زياد، فحبسه، وضربه بالقضيب، حتى شتر عينه، فكتب فيه عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية، وكتب يزيد إلى عبيد الله: أن خل سبيله، فخلى سبيله، ونفاه، فخرج المختار إلى الحجاز".

فلما وصل إلى مكة التحق بدعوة عبد الله بن الزبير أثر اتفاق عقد بينهما ليعملا سوية للإطاحة بالحكم الأموي فقد روى الطبري [٣] " إني قد جئتك

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٦٩؛ الشريف المرتضي، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)، تنزيه الأنبياء، ط٢، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٨٩م)، ص٢٢٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٧٥.

لأبايعك على ألا تقضي الأمور، دوني وعلى أن أكون في أول من تأذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك".

فرفض ابن الزبير ذلك أول الأمر ثم وافق على ما اشترطه المختار بعد نصيحة عباس بن سهل فقال له ابن الزبير"فإن لك ما سألته فبسط يده فبايعه"[(١)].

ولقد أخلص المختار لابن الزبير وأبدى شجاعة فائقة في الذود عن الكعبة المشرفة بعد حصارها من قبل الجيش الأموي بقيادة الحصين بن نمير السكوني[(٢)].

ثم بعد هلاك يزيد بن معاوية انفصل المختار عن ابن الزبير وكر راجعاً إلى الكوفة عازما على تنظيم صفوف أتباع آل البيت عليهم السلام والتخطيط لإيجاد الأرضية المناسبة لإعلان ثورته ضد أعداء آل محمد من الأمويين والزبيريين.

فقد روى بعض المؤرخين[(٣)] "أنّه لما خرج من مكة متوجهاً إلى الكوفة، فلقي في طريقه هاني بن أبي حية الوداعي فسأله عن أهلها. فقال: لو كان لهم رجل يجمعهم

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٧٥.

(٢) الحصين بن نمير: الحصين بن نمير بن نائل بن لبيد بن جعفنة بن الحارث بن سلمة بن شكامة بن السكون وهو ليس صاحب شرطة ابن زياد مثلما يذهب إليه الأستاذ ماجد عبد المنعم في كتابه التاريخ السياسي. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٩؛ ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ط ٨، (مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ١٩٩٨م)، ص٧٨.

(٣) ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٧٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٦؛ البحراني، عبد الله (ت ١١٣٠هـ)، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، (مطبعة أمير: قم، ١٩٦٨م)، ص٦٧٦؛ البراقي، حسين بن السيد أحمد (ت١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة، ط٤، حرر وأضاف إليه أكثر المواضع المهمة: محمد صادق بحر العلوم، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٨٧م)، ص٣١٧.

على شيء واحد لأكل الأرض بهم. فقال المختار: أنا والله أجمعهم على الحق، وألقي بهم ركبان الباطل، وأقتل بهم كل جبار عنيد إن شاء الله، ولا قوة إلاّ بالله".

ولما دخل المختار الكوفة وجد سليمان بن صرد الخزاعي وبقية أصحابه من التوابين قد بدؤوا تحركهم عازمين على الخروج منها والطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام فوقع بينه وبينهم اختلاف في وجهات النظر حيث إنّ التوابين كان همهم الوحيد هو التوجه لتصفية قتلة الإمام الحسين عليه السلام والمختار كان يرى أن الهدف لا ينبغي أن يقتصر على ذلك بل لابد من الاستيلاء على الحكم في الكوفة وطرد الأمويين والزبيريين على حد سواء.

فلما خرج سليمان بن صرد بأصحابه من الكوفة سعى بعض الموالين للنظام الأموي كعمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي في الوشاية بالمختار إذ قالوا لعبد الله بن يزيد(١) وإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن طلحة(٢) عامل ابن الزبير في

(١) عبد الله بن يزيد: عبد الله بن يزيد بن حصن الخطمي الأوسي الأنصاري ولاه عبد الله بن الزبير إمارة الكوفة سنة ٦٤هـ بعد أن عزل عامر بن مسعود بن خلف عاصم بن عمرو بن كعب الأنصاري وهو من مشاهير علماء أهل المدينة استعمله عبد بن الزبير واليا على الكوفة. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٩.

(٢) عبد الله بن طلحة: وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، أبو إسحاق المدني وقيل الكوفي، استعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة وبقي حتى أدرك هشام بن عبد الملك، مات سنة (١١٠هـ)، وأمه خوله بنت منطور بن زبان، تزوجها أبوه وقتل يوم الجمل وهي حامل بإبراهيم هذا فيكون مولده سنة ٣٦هـ وقد كان أميراً على الجزية في الكوفة كثير التدخل في الشأن السياسي، هدد الناس عندما علم بخروج المختار هدد المختار بالقتل والناس بأن يأخذ الوالد بولده والمولود بولده والعريف بما في عرافته حتى يذللوا للطاعة. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب في رجال الحديث، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٤م)، ج٣، ص ٥٢٤.

الكوفة إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد إن سليمان إنّما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم وإن المختار إنّما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد وخلدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس[١].

فالقي القبض عليه من قبل الزبيريين بأمر من الوالي فأودع السجن مرة أخرى بعد أن دخله أولاً في عهد ابن زياد قبيل مقتل الإمام الحسين عليه السلام ولكن المختار لم يفت السجن في عضده ولم يقلل من حماسته وبقي الأمل يحدو به كثيراً من وراء القضبان الحديدية وهو مقيد بالأغلال للانعتاق والحرية والخروج للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام والانتقام من أعداء آل محمد أعداء الدين والإنسانية.

قال أبو مخنف وأما يحي بن أبي عيسى فحدثني أنّه قال: ((دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نزوره ونتعاهده فرأيته مقيداً قال فسمعته يقول: أما ورب البحار، والنخيل، والأشجار والمهامة، والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى)) [٢].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٨٠ـ ٥٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٩٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٨١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٧٤.

وأخذ يتتبع أخبار التوابين وهو في السجن حتى وصلت إليه الأنباء بهزيمتهم واستشهاد معظمهم فتألم كثيراً لذلك وحزن حزناً شديداً وترحم عليهم وأرسل كتاباً إلى زعيمهم رفاعة بن شداد البجلي يبشر فيه بالاستعداد والمضي معزياً له فيهم ومثنياً على فعلهم ومخبراً له أنّه هو أميرهم الذي سوف ينتقم من أعداء الدين طالباً منهم الاستعداد والاستمرار على الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام إذ جاء فيه: "... فأعدوا واستعدوا وأبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام " (١).

ومرة أخرى يتدخل صهره عبد الله بن عمر ليتشفع له عند عبد الله بن يزيد وعبد الله بن طلحة لإطلاق سراحهِ فقبلا برجائه وأطلقا سراح المختار وطلبا منه أن يقسم أغلظ الأيمان على طاعتهما ومسالمتها ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه أحرار ذكرهم وأنثاهم(٢).

ولكن المختار استخف منهم ومن سذاجتهم إذ قال بعد أن تنفس أنفاس الحرية من جديد ورجوعه إلى الميدان السياسي " قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم بأيمانهم "(٣).

وشرع المختار بعد خروجه من السجن إلى الاتصال بزعماء الشيعة والتشاور معهم في سبيل دعم حركته واستقطاب الجماهير الشيعية المتحمسة للثأر من قتلة الحسين عليه السلام والاقتصاص من أعدائهم سواء أكانوا أمويين أم زبيريين

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٩-١٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٩.

مستنداً في دعوته هذه إلى تأييد محمد ابن الحنفية لتحركه هذا.

وقد استطاع المختار أقناع الشيعة بدعوته هذه فالتفوا حوله وساندوه في إعلان ثورته وبايعوه على الاقتصاص من أعداء آل محمد فلقد انضم إليه رفاعة ابن شداد زعيم حركة التوابين وجماعة من أصحابه كما استطاع أن يكسب تأييد إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي(١) الذي يعد من كبار أعيان الشيعة في الكوفة وتصفه الرواية بأنه ((كان - كأبيه الأشتر- شديد الإخلاص في ولائه لعلي وأبنائه، ومتطرفاً إلى أبعد حدود التطرف في عدائه للأمويين)) (٢).

ولما بدأ تأثير المختار يتسع في أواسط جماهير الكوفة وصلت الأنباء إلى مسامع عبد الله بن الزبير بالحجاز فاستاء منها وخشي من خروج الكوفة عن طاعته وسلطانه فعزم على عزل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة وذلك لضعفهما عن التصدي لحركة المختار وعين مكانهما عبد الله بن مطيع فلما قدم ابن مطيع الكوفة قام في الناس خطيباً وقد ورد في خطبته أن ابن الزبير أمر "...أنْ أتبع وصية عمر ابن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال أما حمل فيئنا برضانا فإنا نشهد أنا لا نرضى أن يحمل عنا

---

(١) إبراهيم بن مالك الاشتر بن الحارث النخعي الكوفي، وكنيته أبو النعمان كان، كأبيه سيد نخع وفارسها شجاعاً، عالي النفس، بعيد الهمة شاعراً، فصيحاً، وكان من الأمراء المشهورين بالرأي وله شرف وسيادة، استطاع المختار أن يكسبه إلى صفه فبدونه لا تستطيع أن تلقى الشيعة نجاحاً ضد الأشراف والوالي، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد يوم الخازر، ثم كان مع مصعب بن الزبير ضد جيش الشام، حتى قتل بدير الجاثليق من مسكن سنة ٧٢هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٥؛ القمي، عباس، الكنى والألقاب، ج٢، ص٣١-٣٢.

(٢) بيضون، إبراهيم، التوابون، (د.ط: د.ت)، ص١٧٣؛ بحر العلوم، محمد، لمحات من الصراع السياسي في الإسلام في العصر الأموي، (دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص٢٠٨-٢٠٩.

فضله وأن لا يقسم إلا فينا وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا وإن كانت أهون السيرتين علينا " [(١)].

إنّ في هذا الرد دلالة واضحة من قبل أتباع علي بن أبي طالب عليه السلام لرفض كل سياسة يتبناها حاكم من الحكام لإمضائها فيهم غير سياسة علي بن أبي طالب عليه السلام التي أثرت مبادؤها فيهم كل التأثير كما أن في هذا الرد إشعاراً في عزمهم للسيطرة على مقاليد الحكم في الكوفة وطرد الزبيريين منها وهو الذي ما تم بالفعل بعد ذلك.

إذ قرر المختار مع كبار معاونيه وأنصاره أن تبدأ ثورتهم على الزبيريين في ((ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦هـ)) [(٢)].

ولكن عبد الله بن مطيع لما بلغه أنباء الموعد المحدد قام بنشر رجاله في أرجاء الكوفة محاولة منه لإجهاض هذا التحرك فحدث حدثٌ عجل بانطلاق ثورة المختار قبل موعدها بيومين (١٢ ربيع الأول) " فقد كانت سرية من الجيش الزبيري بقيادة إياس بن مضارب تقف على مقربة من منزل المختار وكان إبراهيم بن الأشتر أقبل بصحبة جماعة من أصحابه لملاقاة المختار فاستوقفه إياس ومنعه من دخول دار المختار فما كان من إبراهيم إلا أن طعنه برمحه طعنه أودت بحياته " [(٣)].

وهكذا حدثت انتفاضة المختار وأصحابه وانتشر عدديهم في شوارع الكوفة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٢٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٩. ٢٠.

وأزقتها وارتفعت شعارات ((يالثارات الحسين)) ((ويا منصور أمت)) ووقع الصدام بين الثوار والزبيريين وسرعان ما انتهى باستيلاء المختار على الكوفة وهزيمة ابن مطيع وجيشه الذين كانوا جلهم من المشتركين بقتل الإمام حسين عليه السلام كشبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم ولجأ ابن مطيع إلى دار أبي موسى الأشعري ليحتمي به وينجو من القتل ودخل المختار قصر الأمارة منتصراً وبدأ بذلك عهدٌ جديد يحكم الكوفة وسياسة جديدة تلوح معالمها في المجتمع الكوفي تخالف سياسة الأمويين والزبيريين المعادين لآل علي عليه السلام وأتباعه.

أبرز ملامح سياسة المختار وهي كما يلي:

أولاً / الاعتماد في دعوته على العلويين من بني هاشم

سعى المختار منذ أن عزم على القدوم إلى الكوفة والأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام على أقامة حكومة تستمد هديها من حكومة أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام تلك الحكومة التي لم يشهد لها تاريخ الإسلام مثيلاً بعد حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كانت تلك الحكومة تعتمد اعتماداً وثيقا على تطبيق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العدل في الرعية والمساواة فيما بينهم وإنصاف المظلومين والضرب بشدة على يد الظالمين، وذلك لأنّ المختار كان يعتقد أنّ الإمام علياً عليه السلام هو صاحب الحق الشرعي بإمامة وخلافة المسلمين من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبناءً على هذا فقد اعتمد المختار في إضفاء الشرعية على حركته على تأييد العلويين خصوصاً محمد ابن الحنفية.

فإنّه لما دخل إلى الكوفة عازماً على إعلان الثورة شرع بالاتصال بزعماء

الشيعة فيها وأتباع علي عليه السلام ومحبيه (وقال أبشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون)[١].

ثم أخبرهم بأنه قد جاءهم رسولٌ من قبل ابن الحنفية وأنّه قد أوكله للقيام بالاقتصاص من قتلة أبي عبد الله الحسين عليه السلام إذ لما استقر في داره واختلفت إليه الشيعة قال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أما بعد فإن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء" [٢].

وكان هدف المختار من هذا هو إضفاء الشرعية على حركته ومحاولة منه لكسب تأييد الموالين لآل علي عليه السلام في مشروعه السياسي باعتبار أنّه هو القائد المؤهل لقيادة الحركة الشيعية في الكوفة، ولكن رواة الأخبار اختلفوا فيما ادعاه المختار من تأييد ابن الحنفية له حيث نفاه بعضهم وأثبته آخرون.

فقد روى المسعودي [٣] "وكتب المختار كتاباً إلى علي بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالاً كثيراً، فأبى عليٌّ أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه... فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب إلى عمه محمد ابن الحنفية يريده على مثل ذلك، فأشار عليه علي بن الحسين أن لا يجيبه إلى شيء من ذلك، فإن الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم، وتقربه إليهم بمحبتهم... فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك، فقال له

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٩٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٧٩. ٥٨٠.
(٣) مروج الذهب، ج٣، ٢٧٢. ٢٧٣.

ابن عباس: لا تفعل، فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير، فأطاع ابن عباس ".

إنّ القارئ للخبر الذي أورده المسعودي يجد فيه تحاملاً شديداً على المختار إعراضاً عن ذكره وتفنيداً من قبل الإمام علي بن الحسين عليه السلام لحركته من رأس وسلب الشرعية منها مطلقاً ولكن المسعودي انفرد برواية هذا الخبر إذ لم نجده في كتب المؤرخين الذين سبقوه، كما أنّه يفهم منه عدم استجابة محمد ابن الحنفية وابن عباس لما أمرهم به الإمام علي بن الحسين عليه السلام مع كونهما يعتقدان بإمامته ووجوب طاعته فلذا نظن بان هذا الخبر لا يمكن الاعتماد عليه خصوصاً لما سوف نذكره من وجود أخبارٍ كثيرةٍ تؤكد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار.

فقد ذكر ابن سعد[١] في الطبقات ((أن المختار لما دخل الكوفة جعل يذكر ابن الحنفية حاله وورعه وأنه بعثه إلى الكوفة يدعو له وأنه كتب له كتاباً فهو لا يعدوه إلى غيره ويقرأ ذلك الكتاب على من يثق به وجعل يدعو الناس إلى البيعة لمحمد ابن الحنفية فيبايعونه سراً)).

استناداً لقول ابن سعد هذا إن كان صحيحاً نرى بأنّ المختار لم يستند في دعواه بتأييد ابن الحنفية له إلى القول الشفوي فقط وإنما هناك تأييد خطي من قبل ابن الحنفية أخرجه المختار لمن يثق به من زعماء الشيعة وقرأه عليهم.

ولكن بعض الشيعة ارتابوا فيما يدعيه المختار من كونه رسول ابن الحنفية فلذا اتصلت جماعة منهم بابن الحنفية في المدينة مستوضحين منه حقيقة هذا الأمر "... فقال محمد: وأما ما ذكرتم من أمر المختار بن أبي عبيد فو الله لقد وددت أن

(١) الطبقات الكبرى، ج٥، ص٧٣.

الله تعالى قد انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه - والسلام -. قال (أي الراوي) : فودعه القوم وخرجوا من عنده وهم يقولون: قد رضي بذلك ولو... لم يكن رضى بالمختار لكان نهانا عن ذلك "[١].

إنّ جواب ابن الحنفية هذا وإن لم يكن فيه تصريحٌ بتأييده للمختار ولكن فيه تلويحٌ بقبوله لما عزم عليه من الانتصار لآل البيت عليهم السلام فإنّ قول ابن الحنفية من كون الانتصار لهم (بمن شاء من خلقه) يفهم منه أن المنتصر يحضى بالقبول والتأييد سواء كان المختار أو غيره.

وقد ذكر صاحب البحار بأنّ ابن الحنفية لما سأله هذا الوفد المستفسر عن شرعية خروج المختار قال لهم " قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين، فلما دخل ودخلوا عليه أخبر خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال: يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد ابن الحنفية"[٢].

هذا الحديث إن صحت روايته يفهم منه تأييد ضمني من قبل الإمام علي بن الحسين عليه السلام لحركة المختار وأنّه قد أوكل هذا الأمر إلى ابن الحنفية ليرى فيه رأيه وبذلك تكون التحركات العسكرية الثائرة ضد الأمويين بقيادة المختار مكتسبة للشرعية من قبل الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعمه محمد ابن الحنفية بلا إشكال في ذلك ولكن هذا الحديث لا تدعمه المصادر الأخرى، لأنّ صاحب البحار قد انفرد بروايته.

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٢٢٧. ٢٢٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦٥.

إن المتتبع لمسيرة الأحداث التي رافقت حركة المختار سوف يكتشف بوضوح إن هناك علاقة قائمة بين المختار وبين محمد ابن الحنفية وغيره من الهاشميين حتى الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأنّ هذه العلاقة فيها ارتباط وثيق بين الطرفين وهذا الارتباط ما كان حاصلاً لولا التنسيق المسبق فيما بينهما وقد برزت هذه العلاقة بروزاً واضحاً حينما عزم ابن الزبير على تحريق ابن الحنفية ومن معه من بني هاشم عند حبسهم في زمزم إن لم يبايعوا له في أجل محدد فكتب ابن الحنفية إلى المختار وطلب منه النجدة ووجه له (أي المختار) - بأبي عبد الله الجدلي ومعه جماعة لاستنقاذه من حبس ابن الزبير - فوصل أبو عبد الله الجدلي إلى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً فبلغوا مائة وخمسين رجلاً فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم إني لا استحل القتال في الحرم [1].

فلولا أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً مسبقاً بين تحرك المختار وبين ابن الحنفية لما استنجد ابن الحنفية به لإنقاذه من حبس ابن الزبير هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ذكر المؤرخون أن المختار قد كان يبعث بالأموال والصلات أبان فترة حكمه في الكوفة إلى ابن الحنفية وغيره من بني هاشم فيقبلونها منه من دون ريب ولو لم يكن هناك تأييدٌ وعلاقة بينه وبينهم لما قبلوا تلك الصلات منه قال ابن حجر [2]: " وكان يرسل المال إلى ابن عمر وهو صهره زوج أخته صفية بنت أبي عبيد وإلى ابن عباس وإلى ابن الحنفية فيقبلونه ".

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٢.

(٢) الإصابة، ج٦، ص٢٧٧.

عباس وإلى ابن الحنفية فيقبلونه ".

بل إنّ المصادر قد ذكرت قبول الإمام علي بن الحسين عليه السلام للأموال والصلات من قبل المختار فعن عمر بن علي " أن المختار أرسل إلى علي بن الحسين عليه السلام بعشرين ألف دينار، فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت " (١).

وقد أصاب المختار جارية فاشتراها بستمائة دينار فأرسل بها برسول إلى علي بن الحسين عليه السلام (٢).

وبالإضافة إلى ذلك فقد أكدت المصادر أن علاقة المختار ببني هاشم لم تكن علاقة عابرة وآنية وإنما كانت علاقة قديمة ووطيدة بينهما إذ عرف عنه بأنه كان منقطعاً إلى بني هاشم روى ابن حجر العسقلاني (٣) " وأقام المختار بالمدينة منقطعاً إلى بني هاشم ثم كان مع علي بالعراق وسكن البصرة بعد علي ".

وذكر الذهبي (٤) ونشأ المختار بالمدينة يعرف بالميل إلى بني هاشم، ثم سار إلى البصرة يظهر بها ذكر الحسين في أيام معاوية، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فأمسك، وضربه مئة ودرعه عباءة، ونفاه إلى الطائف.

أذن أن العلاقة بين المختار وابن الحنفية لا سبيل لإنكارها وأنّ هناك مباركة من قبله لثورة المختار ضد أعداء آل البيت عليهم السلام وذلك لكثرة المرويات التاريخية التي نصت على وجودها والسؤال الذي ينبغي أن يثار في هذا الصدد هو لِمَ

---

(١) الكشي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٢١٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٢.

(٢) للمزيد ينظر: الثقفي، الغارات، ج٢، ص٨٦١؛ ابن طاووس، فرحة الغري، ص١٤٠.

(٣) الإصابة، ج٦، ص٢٧٧؛ الذهبي، سير الأعلام، ج٧، ص١٩٢.

(٤) سير الأعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٤.

كان المختار يدعو إلى أخذ البيعة لابن الحنفية ويزعم أنّه مؤيدٌ من قبله دون الدعوة إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي هو بحسب اعتقاد الشيعة الإمامية إمام العصر حينذاك الذي يجب على الجميع طاعته والاعتقاد به والجواب عن ذلك أن دعوته لابن الحنفية ليس اعترافاً منه بإمامته وإنما كان نوعاً من أنواع السياسية يراد منه الحفاظ على مقام الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعدم إعطاء الحجة لأعداه من الأمويين والزبيريين في أن تنال منه أيديهم بالسوء والتنكيل.

وأمّا إطلاق لقب المهدي على ابن الحنفية ليس المراد به أن ابن الحنفية هو الإمام الموعود بحسب اعتقاد الشيعة الإمامية الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً في آخر الزمان وإنما المراد به هو كونه لشدة تقواه وورعه مسدداً من الله تعالى في طريق الهداية والرشاد.

وقد روي عن محمد ابن الحنفية أنه كان يقول: " لمن يسلم عليه السلام عليك يا مهدي، أجل أنا مهدي أهدي إلى الخير، ولكن إذا سلم أحدكم فليقل السلام عليك يا محمد " (١).

خصوصاً أن محمد ابن الحنفية كان مقراً بإمامة أخويه الحسن والحسين عليهما السلام وأنّ الإمامة آلت بعد أخيه الحسين عليه السلام إلى ابن أخيه علي ابن الحسين عليه السلام.

فقد روي عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: " كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد ابن الحنفية دهراً وما كان يشك في أنه إمام حتى أتاه ذات يوم فقال له:

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٧٥٤؛ السخاوي، شمس الدين (ت٩٠٢هـ)، التحفة اللطيفية في تاريخ المدينة الشريفة، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩١م)، ج٢، ص٥٤٥.

جعلت فداك إنّ لي حرمة ومودة وانقطاعاً، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلاّ أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه، قال فقال: يا أبا خالد حلفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليه السلام عليَّ وعليك وعلى كل مسلم... فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي "[١].

وقد نسبت إلى المختار بعض الأقاويل الباطلة التي تقدح بنزاهتهِ وتحط من جلالة قدره من كونه كذب على الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأنّه ادعى النبوة ونزول الوحي عليه وأنّ الملائكة كانت تقاتل معه إلى غيرها من المفتريات وهذه الأقاويل بحسب ما تحقق منها الباحثون في تاريخ المختار هي أقاويل موضوعة من قبل أعدائه الأمويين والزبيريين.

قال محمد جواد مغنية [٢] بهذا الصدد: وبعد مقتل المختار كثرت عليه الأقاويل، وحيكت حوله الأساطير، ونسب إليه ادعاء النبوة ونزول الوحي، وأنه كان يطلق الحمامات البيض حين تقوم المعركة بينه وبين خصومه يوهم أنصاره أنها ملائكة أرسلها الله لنصرته، وأنه ابتدع القول بالبداء، إلى غير ذلك، ونحن نستبعد هذه النسب، ونظنها من وضع الأمويين والزبيريين الذين جرت بينهم وبين المختار حروب طاحنة.

قال المستشرق فلهاوزن[٣]: "لما مني المختار بالهزيمة أدبرت عنه الدنيا،

---

(١) الطوسي، اختيار الكشي، ج٢، ٢٠٤؛ النقدي، جعفر، الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية (في أحوال أمير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته عليه السلام)، طبع على نفقة: محمد كاظم الكتبي، ط٢، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٢م)، ص٤٣٩.

(٢) مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، ط٤، (دار التعارف: بيروت، ١٩٩٧م)، ص١٠٤.

(٣) الخوارج والشيعة، ص٢٣٤- ٢٣٥.

وراحت الروايات تطلق سهامها على ذكراه بعد مقتله، في البدء كانت تذمه دون أن تشوه صورته، ولكنها راحت بعد ذلك في مرحلة متأخرة تنعته بنعوت أملاها الحقد، وهذه النعوت نفسها هي تسود الصورة التي كونتها عنه الأجيال التالية".

وقال الأهواني [١] : إن كثيراً مما نسب إلى المختار موضوع للتشنيع عليه.

ثانياً / الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام

كان المبدأ الأساس الذي ارتكزت عليه حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي هو قتله كل من اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء إذ أخذ يعد العدة ويستثمر الفرص ويستميل النفوس المتألمة لمصرع الحسين عليه السلام لتحقيق هذا المبدأ، فإنّ المختار كان متحمساً حماساً شديداً لهذا المبدأ بعيد مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

فقد روي أنّه قال: في أثناء مسيره إلى الحجاز بعد أن أطلق سراحه من سجن ابن زياد سأطالب بدم الشهيد المظلوم المقتول ابن المرسلين وابن سيد المرسلين الحسين بن علي عليهما السلام والله لأقتلن بالحسين عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا [٢].

إنّ حركة المختار دغدغت مشاعر الشيعة، واستطاعت أن تلامس الجرح الشيعي، حيث جعل المختار محور خروجه الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام فجمع بذلك الهدف طائفة كبيرة من الشيعة عرباً أو موالي قاسمهم المشترك كراهية بني أمية لما نتج منهم من قتل الحسين بن علي عليهما السلام وتشريد

---

(١) نقلا عن: مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، ص١٠٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٩.

عائلته[١].

وبعد أن استقرت له الأمور في الكوفة قام المختار يتتبع قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأطلق العنان لأنصاره لكي ينتقموا منهم قائلاً لهم: "اطلبوا لي قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنقي المصر منهم"[٢].

واستمر في ثورته وتتبع قتلة الإمام الحسين عليه السلام والمشتركين في حربه ولم ينج منهم إلا من فر من الكوفة والتحق بالشام أو بابن الزبير في مكة، ونادى منادي المختار في الكوفة وأنحائها من أغلق بابه فهو آمن إلا من اشترك في قتال آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يوصي أصحابه بأسرهم ليأتوه بهم أحياء فإذا أوقفهم بين يديه يصنع بهم مثل ما صنعوه مع الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام [٣].

تفرّغ المختار لتتبع قتلة الحسين (عليه السلام) الذين شاركوا في دمه، فجدّ في الأمر وبالغ في النصرة، وتتبع أولئك الأرجاس فقتل ثمانية عشر ألفاً[٤].

وكان في مقدمة من قتل منهم قائد الجيش في كربلاء عمر بن سعد وخولى بن يزيد الأصبحي الذي روي انه احتز رأس الحسين عليه السلام وشمر بن ذي الجوشن الذي حمل التهمة نفسها ومرة بن منقذ قاتل علي الأكبر بن الحسين عليه السلام واستطاع قائد جيشه إبراهيم بن الاشتر قتل عبيد الله بن زياد في معركة الخازر[٥] في

(١) آل عباس، حميد، المختار بن أبي عبيد الثقفي دراسة تاريخية، (د.ط: ٢٠١٠م)، ص١٥١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٧.

(٣) الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة السجاد عليه السلام، ج٧، ص٢٠٨.

(٤) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٢٦.

(٥) خازر: وهو نهر بين اربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعليه كورة يقال لها نخلا وأهل نخلا يسمون الخازر.ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٧.

الموصل قال ابن الأثير[١] "وكان المختار قد خرج يطلب بثأر الحسين بن علي - عليهما السلام -، واجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة، فغلب عليها، وطلب قتلة الحسين فقتلهم، قتل: شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وخولى بن زيد الأصبحي، وهو الذي أخذ رأس الحسين ثم حمله إلى الكوفة، وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو كان أمير الجيش الذين قتلوا الحسين، وقتل ابنه حفصاً، وقتل عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد بالشام، فأقبل في جيش إلى العراق، فسير إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في جيش، فلقيه في أعمال الموصل، فقتل ابن زياد وغيره، فلذلك أحبه كثير من المسلمين، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً".

ولم يكتفِ المختار بتصفية قتلة الإمام الحسين عليه السلام بل أمر عماله أن يهدموا دورهم فقد ذكرت الرواية بأنه " وولى (المختار) الشرطة كيسان أبا عمرة، وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول، وتتبع دور من خرج إلى قتال الحسين بن علي، فيهدمها وكان أبو عمرة بذلك عارفاً، فجعل يدور بالكوفة على دورهم، فيهدم الدار في لحظة، فمن خرج إليه منهم قتله، حتى هدم دوراً كثيرة، وقتل أناساً كثيراً، وجعل يطلب ويستقصي، فمن ظفر به قتله " [٢].

وقد أكثر المختار في قتل المجرمين الذين تعضدوا على الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء واشتركوا في ارتكاب تلك المجزرة الشنيعة التي لم يشهدها تاريخ الإسلام ورغم كثرة من قتله المختار على دم الإمام الحسين عليه السلام فإنّه لم يشفِ غليله من دمائهم ودّ أنّه تمكن من تصفيتهم جميعاً فلقد صرح قائلاً: "فو الله لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة واحدة من أنامل الحسين

---

(١) أسد الغابة، ج٥، ص١١٧.

(٢) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٩٢.

عليه السلام"[١].

وبعد أن انتهى المختار من هذه المهمة سطع نجمه وعلا صيته في العالم الإسلامي، فتنفست الشيعة الصعداء بعد أن أخذ المختار بثأرهم وشفى غليلهم ونجح فيما أخفق فيه التوابون [٢].

ثالثاً / تحقيق العدالة الاجتماعية

كان المبدأ الثالث الذي قامت عليه ثورة المختار هو إقامة حكومة إسلامية تسير بسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مقتفياً بذلك أثره في أهم إصلاح قام به الإمام علي عليه السلام حينما تولى خلافة المسلمين وهو تحقيق العدالة الاجتماعية وإلغاء الطبقية بين فئات المجتمع الإسلامي إذ إن الإمام علياً عليه السلام يعد رائداً في هذا المجال فقد ساوى بين المهاجرين والأنصار والعرب والموالي في العطاء بل إنّه فرض عطاءً من بيت مال المسلمين إلى غير المسلمين من الأديان الأخرى في حال عجزهم عن العمل والتكسب وأصبحت كلمته المشهورة في عهده لمالك الاشتر شعاراً يحتذى به في مجال حقوق الإنسان عند المسلمين وغيرهم إذ قال: "...**النَّاسَ... صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**"[٣]، وبهذا يعد الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية كما قرره الكاتب المسيحي جورج جرداق [٤].

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٢٤٦.

(٢) بحر العلوم، محمد، لمحات من الصراع السياسي في الإسلام في العصر الأموي، ج٢، ص٢١٧.

(٣) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ص٥٤٥.

(٤) للمزيد عن ذلك ينظر: جرداق، جورج، الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية، اختصره وحققه: حسن حميد السنيد، ط٢، (مطبعة ليلى: ٢٠٠٥م)، ص٦٧ومابعدها.

والعدالة الاجتماعية هي إحدى المثل العليا التي جاء بها الإسلام وأنّه لا فرق بين أفراد المجتمع الإسلامي في حقوقهم وواجباتهم التي منحها لهم الإسلام وفرضها عليهم إلا بالتقوى قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (١).

وقد ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى " (٢).

وقال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "[إني] والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الضيء فضلاً على بني إسحاق " (٣).

وقد نهل المختار من الينبوع الذي نهل منه أمير المؤمنين عليه السلام في تحقيق المساواة بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد وهو ينبوع الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فبينما عملت الحكومة الأموية على تكريس مبدأ تفضيل العرب على الموالي وتخصيصهم بالامتيازات لاسيما الأمويون منهم مما أدى إلى إهمال المسلمين من غير العرب (الموالي) واستبعادهم عن لعب دورهم في الحياة السياسية وجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة في المجتمع لا يحق لهم إلا العمل في الزراعة وسائر الحرف والمهن على اعتبار أنها مهن وضيعة لا تليق إلا بهم بخلاف العرب

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٤١١؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: أبي معاذ أبي الفضل طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن إبراهيم الحسيني، (د.ط: ١٩٩٥م)، ج٥، ص٨٦.

(٣) الثقفي، الغارات، ج١، ص٧١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤١، ص١٣٧.

الذين كانوا ينظر إليهم على أنهم طبقة الأشراف التي تجيد لعب دور السياسة وإدارة الحرب، فجاء المختار فرفع الظلم والحيف عنهم واعتمد عليهم في ثورته وأصبح معظم جند المختار من غير العرب.

روى الدنيوري[١] أنّ المختار بن أبي عبيد الثقفي جعل يختلف بالكوفة إلى شيعة بني هاشم، ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين، فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، ففرض لهم المختار- وكانوا يسمون الحمراء - وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل.

وبوّأ بعضهم المناصب القيادية شأنهم شأن العرب في ذلك (واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عرينه) على ما رواه الطبري [٢].

وكيسان هذا أصله فارسي وسمح لهم بركوب الدواب بعد أن كان مقصوراً على الأشراف وأعطاهم من فيء المسلمين الذي حرموا منه في عهد بني أمية حتى أن أشراف الكوفة نقموا على المختار ذلك وجعلوه أحد الأسباب للتمرد عليه فإنّه قال "...أخذوا يقولون: والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى موالينا، فحملهم على الدواب، وأعطاهم وأطعمهم فيئنا " [٣].

وكان أشد شيء على الأشراف هو ما أقره المختار من جعله للموالي نصيباً من فيء المسلمين.

---

(١) الأخبار الطوال، ص٢٨٨.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٩٦ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٩٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٣.

فقد ذكر الطبري [١] " ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم (أي على الأشراف) شيء هو أعظم من أن جعل للموالي من الفيء نصيباً".

ويؤكد فلهاوزن [٢] هذه الحقيقة فيذكر أنّه كان للشيعة ممثلون في قبائل العرب في الكوفة، ثم انتشر التشيع بين الموالي والفرس الكثيرين الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام، وأصبح لهم شأن سياسي على يد المختار، أحد أشراف ثقيف، وهو الذي اتخذهم جيشاً له، ثم استمال قدماء الشيعة من العرب أيضاً، وأراد أن يسقط الارستقراطية العربية في الكوفة من على عرشها ويقيم هناك تحت رئاسته حكومة يقضى فيها بفضل التشيع على التمايز بين العرب والفرس وبين السادة والرعية.

ويقول الخربوطلي[٣]: إنّ المختار هو الذي بث روح القوة والحياة في جسد الموالي فلقد رفع من شأنهم ودافع عنهم وبث فيهم آمالاً وطموحاً وعمل على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وحرص الموالي على هذه الحقوق طوال العصرين الأموي والعباسي.

مقتل المختار

تمكن المختار من تحقيق هدفه الذي كان يصبو إليه وهو إقامة حكومة في الكوفة موالية لآل البيت عليهم السلام مستلهمة مبادئها السياسية والاقتصادية والاجتماعية من حكومة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في زمن خلافته.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٣. ٤٤.

(٢) الخوارج والشيعة، ص١٥١. ١٦٧.

(٣) مرآة العصر الأموي، ص٦.

فقد روي عنه أنّه قام بالناس خطيباً حينما دخل قصر الإمارة منتصراً بعد الإطاحة بحكم آل الزبير أنّه قال: ((... أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والأرض فجاجاً سبلاً ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب والٍ على أهدى منها)) [١].

ثم نزل ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه وجعل يقول تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا [٢].

ولم تقتصر حكومة المختار على الكوفة فقط بل امتد نفوذها إلى أمصار إسلامية أخرى إذ إنّ المختار لم يكن هدف ثورته هو الاقتصار على إقامة حكومة ضيقة في الكوفة وما حولها وإنما كان يهدف إلى توسيع منطقة نفوذه لتشمل أكبر عدد ممكن من الأراضي الإسلامية على أن تكون الكوفة هي العاصمة ومركز الحكم فقد شرع بعد أن سيطر على الكوفة لعقد الرايات لمجموعة من أصحابه وأرسلهم ولاة في بلاد مختلفة [٣].

لكن حكومة المختار لم تدم طويلاً فقد استغرقت بعد تحركه حتى استشهاده بحسب ما ذكرته المصادر التاريخية ثمانية عشر شهراً أولها أربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ست وستين، وآخرها النصف من شهر رمضان من سنة سبع وستين وعمره سبع وستون سنة [٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ٣٦.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٢.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٣. ٣٤.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٨٦.

إذ سرعان ما عمل أعداؤه من الأمويين والزبيريين عملاً جاداً للقضاء على حكومته وإسقاط الكوفة وإخراجها من طابعها العلوي مهما كلف الأمر وقد قام بهذه المهمة مصعب بن الزبير[1] بمساعدة من تبقى من قتلة الإمام الحسين عليه السلام الذين لجئوا إليه في البصرة هربا من المختار فقد عمل هؤلاء بما عرف عنهم من حقد على علي وآله عليهم السلام وأتباع علي عليه السلام وبما اتو من مكر ودهاء إلى حث مصعب بن الزبير على تجهيز جيش للقضاء على المختار وما تبقى فيها من أعوانه.

قال الدنيوري [2] " ولما تتبع المختار أهل الكوفة جعل عظماؤهم يتسللون هراباً إلى البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل، وفيهم محمد بن الأشعث، فاجتمعوا، ودخلوا على مصعب بن الزبير. فتكلم محمد بن الأشعث، وقال: أيها الأمير، ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذاب الذي قتل خيارنا، وهدم دورنا، وفرق جماعتنا، وحمل أبناء العجم على رقابنا، وأباحهم أموالنا؟ سر إليه، فإنا جميعاً معك، وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب، هم أعوانك ".

وهكذا جهز مصعب جيشاً وعزم على المسير به نحو الكوفة (وبلغ) المختار

(١) مصعب بن الزبير: بن العوام بن خويلد وأمه الرباب بنت أنيق من كلب. يكنى بـ (أبا عبدالله) ولاه أخاه عبد الله بن الزبير العراق فبايعه أهل البصرة والكوفة سنه ٦٥هـ، وعندما ظهر المختار في الكوفة سار إليهمصعب في جيش كثيف حتى قتله في عام ٧٦هـ، ثم سار إليه عبد الملك بن مروان فقتل مصعب في عام ٧٢هـ. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج ٥، ص ١٣٩-١٤٠؛ ابن خياط، الطبقات، ص٢٢٨؛ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ١٩٤٣م)، ج٥، ص١٩٥؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٤٠- ١٤٥؛ الدميري، حياة الحيوان، ج٢، ص٤٣.

(٢) الأخبار الطوال، ص٣٠٤.

ذلك فعقد إلى أحمر بن سليط [1] في ستين ألف رجل من أصحابه، وأمره أن يستقبل القوم، فيناجزهم الحرب فسار أحمر بن سليط في الجيوش حتى وافى المذار[2].

وسار مصعب بن الزبير بجماعة أهل البصرة نحو المذار، وزحف الفريقان، بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا، فانهزم أصحاب المختار، واستعر القتال فيهم، ومضوا نحو الكوفة، واتبعهم مصعب يقتلهم في جميع طريقه، فلم يفلت منهم إلا القليل وبلغ المختار مقتل أصحابه، فنادى في بقية من كان معه من جنوده، فقواهم بالأموال والسلاح، وسار بهم من الكوفة مستقبلاً لمصعب بن الزبير، فالتقوا بنهر البصريين، فاقتتلوا، فقتل من أصحاب المختار مقتلة عظيمة، وقتل محمد بن الأشعث [3]، وقتل عمر بن علي بن أبي طالب، عليه السلام وانهزم المختار حتى دخل الكوفة، وتبعه مصعب، فدخل في أثره [4]، وتحصن المختار في قصر الإمارة، فأقبل مصعب حتى أناخ عليه، وحاصره أربعين يوماً وبحسب رواية الطبري دام الحصار أربعة أشهر [5].

سرّع هذا الحصار في إنهاء حكومة المختار ولكن لم يكن هو السبب

---

(١) أحمر بن سليط: لم أجد له ترجمة.

(٢) المذار: في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٨.

(٣) محمد بن الأشعث: بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي بن عفير وأمه أم فروة بنت أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم يكنى أبا القاسم توفي سبع وسبعين.ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج٦، ص٢٥٨ومابعدها.

(٤) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٣٠٥. ٣٠٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٤.

الرئيس للقضاء عليها فقد كان السبب الرئيس في ذلك هو فقدانه لمساندة ساعده الأيمن وحليفه القوي في ثورته ألا وهو إبراهيم بن الأشتر فإنّ إبراهيم لما انتصر في معركة نهر الخازر على الأمويين وقتل عبيد الله بن زياد استقر في الموصل وشرع في تنصيب الولاة من قبله في أطرافها مما أعطاه شبه استقلال عن حكومة المختار في الكوفة.

يعد إبراهيم الأشتر أحد المرتكزات الرئيسة والعناصر الفاعلة والأعمدة القوية التي صنعت حركة المختار وأسهمت في توسعها وسيطرتها على الكوفة وما حولها وقد حرص المختار على ضم إبراهيم بن الأشتر من بداية تفكيره بالخروج على والي الكوفة وتم له ذلك [١].

ولكن إبراهيم قد تخلى فجأة عن مساندة المختار ونصرته حتى أن أعداء المختار قد أحسوا بذلك مما أعطاهم الدافع للتحرك السريع لإسقاط حكومته فقد نقل المؤرخون أن هناك محاورة جرت بين محمد بن الأشعث والمهلب بن أبي صفرة[٢] يستدلُ منها علمهم بوجود اختلاف بين المختار وابن الاشتر قال ابن الأشعث: وهذا إبراهيم بن الأشتر قد غلب على بلاد الجزيرة وخالف على المختار، والمختار اليوم ليس معه جيش، وإنما هو شرذمة قليلة، وإني لأرجو أن يظفرنا الله به فنرجع إلى نعمتنا التي لم تزل لنا ولآبائنا من قبلنا [٣].

(١) آل عباس، حميد، المختار الثقفي، ص٢٤٧.

(٢) المهلب بن أبي صفرة: المهلب بن ظالم بن سراف بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العشيك بن الأزد بن عمران. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٧، ص٢٤٦ـ ٢٤٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٣٠٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٢٨٤.

وإنّ المختار قد صرح لأصحابه بخذلان ابن الأشتر له حينما علم بقدوم جيش مصعب للقضاء عليه إذ خطب في أصحابه قائلاً: "أما بعد يا أهل الكوفة! فإن أهل مصركم الذين بغوا عليكم، وقتلوا ابن بنت نبيكم الحسين بن علي، قد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين، فاستعانوا بهم عليكم، لما علموا أن ابن الأشتر خذلني وقعد عن نصرتي، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة بالجيش إلى قبلكم، وإنما يريدون قتلي ليضمحل الحق، وينتعش الباطل، ويقتل أولياء الله"(١).

ولم ييأس المختار من قدوم ابن الأشتر لنصرته وظل يحدوه الأمل في ذلك لكونهما قد تحالفا معاً للقضاء على أعداء آل البيت عليهم السلام من الأمويين والزبيريين، فبعث بكتاب إثر كتاب إلى ابن الأشتر يطلب منه القدوم لنصرتهِ ولكن ابن الأشتر لم يستجب إلى ذلك.

ونزل بالمختار أمر عظيم من قتل أصحابه، وأيقن بالهلكة، ولم يجد بداً من تشجع، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر كتاباً بعد كتاب يسأله المسير إليه فلم يفعل(٢).

واشتد الحصار على المختار وأصحابه في القصر لما منع أصحاب مصعب ما يصل لهم من الغذاء والماء حتى كادوا أن يهلكوا من العطش فلما رأى المختار ذلك ويئس من قدوم ابن الأشتر عزم على الخروج للقتال والموت بكرامة قائلاً: لأصحابه وهو خارج إلى القتال: إنّ الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً، فانزلوا بنا نقاتل

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨٦.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٦، ص٢٨٧.

حتى الليل ونموت كراماً[١].

ولكن أصحابه لم يستجيبوا إلى دعوته وفشلوا وتخاذلوا عن نصرته ثم إنّ المختار أزمع على الخروج للقوم بعد أنّ رأى قد دب الضعف في نفوس أصحابه من الفشل ثم خرج في تسعة عشر رجلاً فيهم السائب بن مالك الأشعري فقال لهم أتؤمنوني وأخرج إليكم فقالوا لا إلا على الحكم فقال لا أحكمكم في نفسي أبداً فضارب بسيفه حتى قتل [٢] فاحتز رأسه وبعث به إلى عبد الله بن الزبير في مكة.

وهكذا انتهت ثورة المختار التي سارت في ركب ثورة الإمام الحسين عليه السلام بعد تحقيق هدفها الرئيس وهو الاقتصاص من قتلته عليه السلام.

ولم يكن ظهور المختار وإعماله السيف فيمن اشترك في دماء الحسين عليه السلام ودماء آل بيته وأنصاره ظهوراً عفوياً وإنما كان استجابة من الله تعالى لدعاء الإمام الحسين عليه السلام الذي دعا به على تلك الجيوش المحتشدة لقتاله حيث قال: " **اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا (قتله) قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم**" [٣].

وقد نال المختار المدح والثناء من قبل العلويين بالخصوص والهاشميين بالعموم في الحياة والممات لما قام به من شفاء غليل صدور الهاشميين بالانتقام من أعدائهم.

فقد روى الكشي عن عمرو بن علي بن الحسين، " أن علي بن الحسين عليه السلام لما أتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قام: فخر ساجداً

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٣١٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٠٧.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج٢، ص١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٠.

وقال: **الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً" [(١)].**

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **"لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة" [(٢)].**

روي عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: **"ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام"[(٣)].**

قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس: ألم يبلغك قتل الكذاب؟ قال: ومن الكذاب؟ قال: ابن أبي عبيد قال: قد بلغني قتل المختار قال: كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له قال: ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة [(٤)].

ونجح المختار في الوصول إلى مراده السياسي وألحقه بتغيرات سياسية واقتصادية أسهمت بإعطاء ثورته زخماً طويلاً ازداد الزخم بتغلبه على كل من عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد الذين يعتبران قطبيين مهمين في أحداث كربلاء وما نتج عن ذلك في نفوس الشيعة من ارتياح نفسي دعمه وصول التأييد المعنوي المهم فيها من قبل الإمام السجاد عليه السلام وعمه محمد ابن الحنفية (رضي الله عنه)[(٥)].

---

(١) الطوسي، رجال الكشي، ج٢، ص٢١٠؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص١٤٤،؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (د.ط: ١٩٩٢م)، ج١٢، ص٧٨.

(٢) الطوسي، رجال الكشي، ج٢، ص٢٠٨، العلامة الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، ط٢، (مطبعة باقري: إيران، ٢٠٠١م)، ص٢٧٦.

(٣) الطوسي، رجال الكشي، ج٢، ص٢٠٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٧٢؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٢٧.

(٥) آل عباس، حميد، المختار، ص٢٧٩. ٢٨٠.

المبحث الثالث / الثورات الزيدية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام

أولاً / ثورة زيد بن علي (١٢٢ هـ/٧٣٩م)

استمر الطغيان الأموي يفتك بالمسلمين من الحقبة السفيانية إلى الحقبة المروانية ((فقد كان السيف دثارهم والخوف شعارهم)) [١] كما نص عليه الإمام علي عليه السلام.

وقد حكم بنو أمية الناس بالبطش وسفكوا الدماء بدون تورع وحملوا على رقاب المسلمين الولاة الظالمين وأطلقوا لهم يد العنان ليذيقوا الناس الخسف ويبتزون أموالهم بغير حق وقد أظهر حكام بني أمية الفسق والفجور، وارتكبوا المنكرات وشجعوا على انتشارها في المجتمع الإسلامي فانحرف الإسلام عن خطه القويم الذي خطهُ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حتى كاد الإسلام أن ينزوي عليه لولا الثلة المؤمنة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي حملت لواء المعارضة لهذه الطمغة الأموية الفاسقة وعملت للحفاظ على تدفق ينبوع الإسلام ما أمكنها إلى ذلك سبيلاً سواء بالدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه

---

(١) الخطيب، عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، (دار الزهراء: بيروت، ١٩٨٨ م)، ج٢، ص٣٦٠.

صلى الله عليه وآله وسلم بالتي هي أحسن أو بالثورة عن الانحراف الأموي.

فما أن انتهت حقبة يزيد بن معاوية (سنة ٦٤هـ) التي سماها سعيد بن المسيب بالشؤم: ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والثانية استبيح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة (١).

حتى آل الأمر بعد هلاكه ونتيجة تنازل ولده معاوية بن يزيد عن الحكم إلى مروان بن الحكم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون))** (٢).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لما رأى الحكم بن العاص أبا مروان **"ويل لأمتي مما في صلب هذا"** (٣).

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٧.

(٢) المروزي، أبو عبد الله نعيم بن حماد (ت ٢٨٨هـ)، الفتن، تحقيق وتقديم: الدكتور سهيل زكار (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٩٩٣م)، ص٧٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٤، ص٥٢٦؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٦٢؛ الشافعي، شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني (ت ٨٧١هـ)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (المطبعة باسدار إسلام: قم، ١٩٩٥م)، ج٢، ص١٩١؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ١٨١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٢، ص٢٣٧؛ الأميني، الغدير، ج٨، ص٢٦٠.

(٣) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٦، ص٣٧٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص٢٦٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٤٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٥، ص٢٤١؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، إعداد وتعليق: صالح الورداني (د.ط: د.ت)، ص٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٩٢؛ السيوطي، كفاية الطالب، ص١١٨؛ الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة، ج١٠، ص٩٠؛ ←

فسرعان ما هلك وبويع إلى ولده عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ) بالسلطة الذي استطاع إخضاع الأقاليم الإسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز بالحديد والنار لسلطته الغاشمة.

فقد روي أنّه قال حين بويع بالخلافة ((أيها الناس إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة المأفون فمن قال برأسه كذا قلنا له بسيفنا كذا ثم نزل)) [(١)].

ثم آلت الخلافة بعد هلاكه إلى ولده الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ) الذي وصفه المؤرخون بأنه كان جباراً عنيداً، ظلوماً غشوماً[(٢)].

وقال عمر بن عبد العزيز في أيامه: وكان الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حبارة بالحجاز وقرة بن شريك بمصر امتلأت الأرض والله جوراً[(٣)].

فلما هلك بويع لسليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ) الذي أقر عمال من كان قبله على أعماله، وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار، وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي [(٤)].

كان سليمان هذا معجباً بنفسه شديد التيه حتى أنّه كان يرى بأنه ملكٌ وليس خليفة للمسلمين فقد روي أنّه خطب يوماً لما أعجبته نفسه، فقال: أنا

المتقي الهندي، كنز العمال، ج١١، ص١٦٧.

(١) الجاحظ، البيان والتبين، ج٢، ص٣٥٠؛ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص ٣٧؛ زكي، أحمد، جمهرة خطب العرب، ج٢، ص١٩٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٩٦.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط: د.ت)، ص٢٢٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٦. ٧.

الملك الشاب، السيد المهاب، الكريم الوهاب [١].

وهو الذي يقول، ونظر إلى نفسه في المرآة: أنا الملك الشاب، فما دارت عليه الجمعة حتى مات، وكانت وفاته في صفر سنة (٩٩هـ /٧١٧م)، وعهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده [٢].

ولكن سرعان ما مات عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١هـ / ٧١٩م) إذ لم تكن مدة خلافته سوى سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام على ما ذكره المسعودي[٣]، وقيل إنّ أهل بيته سموه خوفاً من أن يخرج الأمر منهم [٤].

فولي الخلافة من بعده يزيد بن عبد الملك وقد عم في زمنه الظلم والجور وطال احتجابه عن الناس وإقباله على الشرب واللهو حتى أن مسلمة بن عبد الملك عذله على ذلك وقال له: إنما مات عمر أمس، وقد كان من عدله ما قد علمت، فينبغي أن تظهر للناس العدل، وترفض هذا اللهو، فقد اقتدى بك عمَّالك في سائر أفعالك وسيرتك، فارتدع عما كان عليه [٥].

فلما مات جزعاً على موت جاريته حبابة[٦]، بويع لهشام بن عبد الملك الذي وصفه المؤرخون بأنه كان **((أحْوَلَ خشناً فظاً غليظاً، يَجْمَع الأموال، ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل ولم ير زمان أصعب من زمانه))**[٧].

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٠.

(٣) مروج الذهب، ج٤، ص١٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢١٦.

(٥) للتفاصيل ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٠.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٠.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٤١.

وكان هشام هذا شديد البغض لآل البيت وقد ذاقوا من سياسته الذل والهوان فقد شرع في التضييق عليهم ومراقبة تحركاتهم مراقبة دقيقة وطارد شيعتهم ومنعهم من الاتصال بهم.

ذكر الطوسي(١) لما هلك يزيد بن عبد الملك، تولى الحكم أخوه هشام، فبدأ بالجور والعدوان على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فكتب إلى عماله بالتضييق عليهم وسجنهم والفتك بهم، وأمر عامله على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي(٢)، أن يهدم دار الكميت شاعر أهل البيت عليهم السلام وأن يقطع لسانه، لأنه مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !! وكتب إلى عامله على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث: أن يحبس بني هاشم فيها ويمنعهم من السفر! فنفذ خالد أمر هشام، وضيق على الهاشميين، وأسمع زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ما يكره.

في ظل هذا الزمن المرير الذي استشرى فيه الطغيان واستفحل فيه الفساد من قبل حكام بني أمية برز ثائر علوي جديد منكراً لهذا الواقع الفاسد محاولاً

---

(١) رجال الكشي، ج٢، ص٢٧٦. ٢٧٧؛ الشيرازي، محمد الموسوي، ليالي بيشاور، تعريب وتحقيق وتعليق: حسين الموسوي، (د.ط: كربلاء، ٢٠١٢م)، ص٤٦.

(٢) يوسف بن عمر: بن محمد بن الحكم الثقفي وكان من ولاة العصر الأموي عرف عنه الحمق والقسوة عاصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الذي ولاه اليمن وبعدها العراق وخراسان واستمر فيها إلى أيام يزيد بن عبد الملك الذي عزله سنة (١٢٦هـ). ينظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٩٠؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (المطبعة اليمنية: مصر ١٨٨٢م)، ج٢، ص٣٦٠؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث: بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٢٩، ص١١٧؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٤٣.

تغييره إلى واقع أفضل يحمل في جنباته شعلة من ثورة جده الإمام الحسين عليه السلام مقتفٍ أثره في دعوته إلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عازماً على التضحية بالنفس والنفيس لإعادة الحق إلى نصابه ألا وهو زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عده البعض من المتكلمين والزهاد والشجعان وأهل المعرفة بالضبط والسياسة [١].

نشأ زيد عليه السلام في بيت النبوة والإمامة وشب على الفضيلة والشمم وترسم طريق الهداية والخير وقضى ليله في عبادة الله ونهاره في طاعة خالقه وقوم شخصيته بالعلم والأدب وأخذ من المعرفة أوسعها وأجمعها [٢] حتى عرف عند أهل المدينة بحليف القرآن [٣].

ثار زيد عليه السلام سنة (١٢٢هـ / ٧٣٩م) ضد طاغية زمانه هشام بن عبد الملك، وقد ذكر بعض المعاصرين أنّ ثورة زيد بن علي جاءت في وقت بدت البغضاء للأمويين بنفوس الشعب [٤].

لقد حدد زيد عليه السلام أهداف ثورته منذ أن عزم على التحرك لإزاحة الظلم وإقامة العدل في المجتمع فإنّ أول دعوة دعا بها هي دعوة الإصلاح التي دعا بها الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه على يزيد فقد روى عبد الله بن مسلم ابن بابك - قال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة فلما كان نصف الليل واستوت

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، (مطبعة دار الأمين: القاهرة، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٦٢٦.

(٢) بحر العلوم، لمحات من الصراع، ج٢، ٢٣٣.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٢٧.

(٤) أيوب، سعيد، معالم الفتن، ج٢، ص٣٧٩.

الثريا فقال: ياابكي أما ترى هذه الثريا أترى أحداً ينالها؟ قلت لا قال: والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة وأنّ الله أصلح بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم [١].

فها هو يتمنى أن يتقطع إرباً إرباً ويكون ذلك سبباً في إصلاح أُمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسير بها في طريق الهدى وإحقاق الحق وإقامة العدل وإماتة البدع التي ابتدعها بنو أمية.

والدعوة الثانية التي دعا بها زيد عليه السلام هي دعوة القرآن ودعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي دعا بها الإمام الحسين عليه السلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: **{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** [٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم))** [٣].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٢٦. ١٢٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) الكليني، الكافي، ج٥، ص٥٦؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه، تحقيق وتعليق: حسن الموسوي الخرسان، ط٤، (المطبعة خورشيد: طهران، ١٣٦٥هـ)، ج٦، ص١٧٦؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٧م)، ج١٣، ص٩٣؛ الطبرسي، أبو الفضل علي ابن حسن (من أعلام القرن السابع الهجري)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، (المطبعة دار الحديث:١٩٩٧م)، ص١٠٣؛ السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ج٢، ص٤٠١؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٣، ص٦٦.

قال أبو حمزة بعد رواياته لحديث ولادة زيد بن علي عليه السلام من الجارية التي بعث بها المختار بن أبي عبيدة إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام: فوالله ما لبثت إلا برهة حتى رأيت زيداً بالكوفة في دار معاوية بن إسحاق (أي في الكوفة)، فأتيته فسلمت عليه ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

والدعوة الثالثة التي دعا بها زيد عليه السلام هي استياؤه الشديد من الأفعال المنكرة التي قام بها حكام بني أمية وانتهكوا بها حرمة الإسلام والمسلمين فقد روي عنه أنّه قال: إنّما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار[٢].

إنّ سفك دماء الإمام الحسين عليه السلام من قبل بني أمية لم يبق حرمة لدماء المسلمين من أن تسفك وأنّ تجرأهم على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة لم يبق حرمة لأي مدينة أخرى من مدن المسلمين من أن تستباح وتنتهك وأنّ تطاولهم على أشرف مقدسات الإسلام وهو بيت الله الحرام الذي جعل أماناً للناس لم يبق حرمة لأي مكان مقدس من أن تناله يد العابثين بالهدم والإحراق وهذا الاستياء من الأفعال المنكرة التي ابتدعها معاوية وولده الفاجر يزيد مثل قتل حجر بن عدي وأصحابه وإلحاق عبيد الله بن زياد بأبي سفيان وتعيين ولده الفاجر الفاسق يزيد ولياً للعهد استخفافاً منه بالإسلام والمسلمين.

---

(١) ابن طاووس، فرحة الغري، ص١٤٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٤٦؛ التميمي، محمد علي جعفر، مشهد الإمام أو مدينة النجف، (مطبعة دار النشر والتأليف: النجف، ١٩٥٢م)، ص١٤١.

(٢) البغدادي، الفَرق بين الفِرق، ص٣٥. ٣٦.

كانت ثورة زيد بن علي عليه السلام تستسقي من معين ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتهتدي بهداه وتسير في ركابه من العزم على التغيير والتضحية في سبيل الله فهي صرخة من الصرخات التي أطلقها العلويون في وجه الطغاة بعد الصرخة المدوية التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام في وجه طاغية زمانه يزيد ابن معاوية.

لقد صمم زيد على الخروج والثورة ضد طاغية زمانه هشام بن عبد الملك مهما كانت النتائج لما رأى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس هشام من دون وازعٍ منه بمرأى ومسمع من قبل زيد بن علي عليه السلام الذي أنكر ذلك.

فقد روي أنّه ((قال لجابر الجعفي يا جابر لا يسعني أن أسكت وقد خولف كتاب الله وتحوكم إلى الجبت والطاغوت وذلك أني شهدت هشاماً ورجلاً عنده يسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت للساب ويلك يا كافر أما إنّي لو تمكنت منك لاختطفت روحك وعجلتك إلى النار فقال لي هشام مه عن جليسنا يا زيد. فوالله إن لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى))[(١)].

واختار زيد عليه السلام الكوفة قاعدة لانطلاق ثورتهُ تلك المدينة التي رفعت لواء المعارضة للحكم الأموي ذات القاعدة الجماهيرية العرضية الموالية لعلي وأبنائه والتي صارت مصدر قلق وإرباك يهدد العرش الأموي بين فترة وأخرى وكان قدوم زيد عليه السلام للكوفة بعد وفادته إلى هشام بن عبد الملك في الشام الذي أساء إليه وانتقص من قدره وحط من كرماته وعمل على

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٩؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٧، ص١١٧.

الاستهزاء به أمام جلسائه.

وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي دعا زيداً عليه السلام للدخول على هشام فذكر البعض أن زيداً إنّما دخل على هشام طالباً منه قضاء دين وحوائج فلم يلق استجابة من هشام(١)، وذكر آخرون أن خالد بن عبد الله القسري(٢) أودع زيداً وابن داوود ونفراً من قريش مالاً وكتب يوسف بن عمر والي العراق بذلك إلى هشام فأحضرهم هشام من المدينة (٣)، وذكر أن دخوله كان بسبب شكاية منه من سوء سيرة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم والي المدينة (٤)، وذكر أيضاً أن دخوله لوشاية به إلى هشام في أنّه يعتزم الخروج عليه وخلعه (٥).

وهذه الأسباب التي ذكرها المؤرخون لا يمكن التعويل عليها لكونها متضاربة في مضامينها والاختلاف فيما بينها ظاهرٌ والمهم فيما نقله المؤرخون هو الحوار الذي دار بين هشام وزيد عليه السلام.

فقد روي أنّه: ((دخل زيد على هشام وقد احتشد المجلس بأهل الشام فقال: ما يصنع أخوك البقرة. فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه وقال: سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) الباقر وأنت تسمّيه البقرة لشد ما اختلفتما،

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٥١.

(٢) خالد القسري: هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر البجلي القسري، كان رجل سوء يكثر من سب الإمام علي عليه السلام وكان متهماً في دينه كان أميراً على مكة في عهد الوليد بن عبد الملك وأميراً على العراقيين في زمن هشام بن عبد الملك، قتل في سجن الكوفة (١٢٠هـ) على يد يوسف بن عمر. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٢، ص٣٥٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٦٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٤٣. ٤٤٤.

(٥) الجاحظ، البيان والتبين، ج١، ص١٨٦. ١٨٧.

لتخالفه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار. فانقطع هشام عن الجواب وبان عليه العجز ولم يستطع دون أن صاح بغلمانه: أخرجوا هذا الأحمق المائق، فأخذه الغلمان من يده فأقاموه)) (١).

وفي حديث عبد الأعلى الشامي: "...فقال له هشام: بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة. فقال له زيد: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحق، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيّاً وجعله أباً للعرب وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمداً (صلى الله عليه وآله)، وأخرج من إسحق القردة والخنازير وعبدة الطاغوت. فغضب هشام وأمر بضربه ثمانين سوطاً فخرج زيد من المجلس وهو يقول: لن يكره قوم حرّ السيوف إلاّ ذلوا. فحملت كلمته إلى هشام فعرف أنه خارج عليه، فقال: ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا، فلعمري ما انقرض من مثل هذا خلفهم" (٢).

إنّ الذي دعا زيداً للخروج وهو إباء الضيم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا طلب ملك ولا إمارة، وأنّه خرج موطناً نفسه على القتل مع غلبة ظنه بأنه يقتل، فاختار المنية على الدنية، وقتل العز على عيش الذل كما فعل جده الحسين عليه السلام الذي سن الإباء لكل أبي (٣).

ذكر المؤرخون أن زيداً عليه السلام لما خرج من عند هشام توجه نحو

---

(١) ابن قتيبة الدّينَوَريّ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، شرحه وضبطه وعلّق عليه وقدّم له ورتّب فهارسه: يوسف علي طويل، ط٣، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٣م)، ج١، ص٣١٢؛ البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٣٣؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٨١.

(٢) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٨١.

(٣) الأمين، محسن، الشهيد زيد بن علي والزيدية، (دار المرتضى: بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٠٠.

الكوفة عازماً على حث أهلها على الثورة للإطاحة بنظام الحكم الأموي فلما وصل إليها متخفياً شرع بالاتصال بجماهيرها وأخذ البيعة من المناصرين تمهيداً لجهاد أعداء الدين من بني أمية ونصرة آل البيت عليهم السلام.

فأختلف إليه الناس يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة فقط وانتشرت بيعته ودعوته في المدائن، والبصرة، وواسط، وخراسان، والري[١] وجرجان[٢]، والجزيرة حتى قيل إنّ ديوانه أحصى أربعين ألفاً[٣].

وأقبلت الشيعة عليه فبايعه وجهاء أهل الكوفة وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم ونصر أهل البيت أتبايعون على ذلك فإذا قالوا: نعم وضع يده على أيديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال: اللهم اشهد فبايعه خمسة عشر ألفاً وقيل أربعون ألفاً فأمر أصحابه بالاستعداد، فأقبل من يريد أن يفي له ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع أمره في الناس [٤].

---

(١) الري: وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وطولها خمس وثمانون درجة ويقال إنّه، بناها فيروز بن يزدجرد وبينها وبين نيسابور مائة وستين فرسخاً وكانت محطاً للحجاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٦٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٣٢.

(٣) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص٦٣١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٧١ـ ١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٤٦.

هذا هو بيان الثورة وهذا منهجها جهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ولعمري إنّه لمنهج بمثل زيد أن يقود الناس إلى تحقيقه، بعد أن عاد الشعب كله مستضعفاً محروماً وعادت الخيرات كلها تجبى إلى فئة يسيرة جعلت من الشعب عبيداً وخولاً ومن ماله نهباً وغنيمة [(١)].

ووصلت أخبار بيعة أهل الكوفة إلى هشام بن عبد الملك فكتب كتاباً إلى واليه في العراق يوسف بن عمر يسفهه به من غفلته عن تحركات زيد ويطلب منه إعطاءه الأمان أو مقاتلته إذ جاء في الكتاب: أمّا بعد فإنّ رجلاً من بني أمية كتب إلي باجتماع أهل الكوفة على زيد فإذا لم تستطع إخراجه منها فأعطه الأمان فإن لم يقبل فقاتله [(٢)].

فكتب يوسف إلى عامله في الكوفة الحكم بن الصلت بطلب زيد حتى استطاع أن يستبين مكانه فلما علم زيد عليه السلام بذلك تعجلَ بالخروج قبل الأجل الذي كان بينه وبين أهل الأمصار فخرج يوم الأربعاء لسبعٍ بقين من محرم سنة (١٢٢هـ / ٧٣٩م) [(٣)] بدلاً من الاتفاق السابق وهو ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة (١٢٢ هـ / ٧٣٩م) [(٤)] وقيل سنة (١٢١هـ / ٧٣٨م) [(٥)].

فخرج زيد عليه السلام من منزل معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة

---

(١) الأمين، محسن، الشهيد زيد بن علي والزيدية، ص١٦٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٦٠وما بعدها.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٥١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨١؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٣٢؛ الهاروني، الإفادة، ص١٤.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٩؛ أبو العرب، كتاب المحن، ص٢٠.

الأنصاري في الموعد المحدد للثورة في ليلة شديدة البرد فرفعوا الهرادي [١] فيها النيران وأصواتهم تدوي في سماء الكوفة بشعار الثورة يا منصور أمت [٢].

فلما خفقت الرايات على رأس زيد عليه السلام قال: ((الحمد الله الذي أكمل لي ديني والله إنّي كنت استحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أرد عليه الحوض غداً ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر)) [٣].

ولقد حاول زيد السيطرة على الكوفة في تلك الليلة ولكن لم يتم له ذلك بسبب قلة من وافاه من أصحابه إذ لم يحضر عنده ممن بايعه إلا مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً [٤].

فظل يقاتل أهل الشام بما معه من هذا العدد القليل قتالاً شديداً ويرد حملتهم عليه الحملة تلو الأخرى حتى أكثر القتل فيهم واستمر القتال فيما بينه وبين جند الشام ليلة الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة حتى أصيب زيد بسهم في جبهته في آخر نهار الجمعة فقضى زيد نحبه بعد أن انتزع السهم من جبهته فدفنه ولده يحيى [٥] وبعض أصحابه في العباسية إذ حفروا له قبراً قرب نهر صغير ثم أجروا

---

(١) الهُرْدِيّ: قَصَبَاتٌ تُضَمُّ مَلْوِيّة بطاقات الكرم تُحْمَلُ عليها قُضْبانُه. ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ت)، مادة هرد؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة هرد.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨١. ١٨٢.

(٣) أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٥٨؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٢٥٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٠٠؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٥٣؛ ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٦١؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٩١.

(٥) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام خرج بعد مقتل أبيه في خراسان ضد الحكم الأموي سنة (١٢٥هـ) وقتل في نفس السنة وصلب في الجوزجان أربع ←

عليه الماء حتى لا يستبين قبره لأتباع الأمويين ولكن الأمويين استطاعوا أن يعثروا على القبر فأخرجوا جثته واحتز رأسه وبعث به إلى هشام بالشام، وقام يوسف بن عمر بصلب جثته على خشبة في كناسة الكوفة [(١)].

وهكذا انتهت ثورة زيد بن علي عليه السلام باستشهاده واستشهاد كبار قادة ثورته واستطاع يوسف بن عمر القضاء على هذه الثورة على الرغم من العمل الطويل الذي قام به زيد عليه السلام في الاستعداد لانطلاق ثورته وامتداد نشاط دعوته في داخل العراق وخارجه.

وكان السبب الرئيس في سرعة الإجهاز على هذه الثورة من قبل الأمويين هو تخاذل الناس عن نصرة زيد بن علي عليه السلام وتقاعسهم عن الخروج معه في الموعد المحدد للانطلاق الثورة.

فقد روى المؤرخون أن زيداً حينما أصبح تعجب من قلة الحاضرين وقال: ((أين الناس! فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر. ولم يجد بُداً من القتال بمن معه موطناً نفسه على الاستشهاد))[(٢)].

لقد تبرم زيد من ذلك حينما رأى ما أصاب الناس من الخور والضعف والفشل في الوفاء له من النصرة على أعداء آل البيت عليهم السلام حتى أنّه



سنوات. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٢٧-٢٣٠؛ البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٦٠؛ الزرباطي، الجريدة، ج٤، ص٦٨٢؛ حسن، ناجي، ثورة زيد بن علي، (مطبعة الآداب: النجف، ٢٠٠٧م)، ص١٥٠. ١٥٥.

(١) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨٨؛ الجلالي، محمد حسين الحسيني، مزارات أهل البيت عليهم السلام وتاريخها، ط٣، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٩٩٥م)، ص٨٧. ٨٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨٢وما بعدها؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١١.

احتسب ذلك عند الله، وقد حاول زيد وأصحابه فك الحصار عن الناس في المسجد - الذي حصروا فيه من قبل الحكم بن الصلت للحيلولة بينهم وبين نصرة زيد عليه السلام [١] - حتى لا يبقى لهم عذر من مساندته على الرغم من تيقنه بأنهم غدروا به كما غدروا بجده الحسين عليه السلام من قبل.

فقد أشار عليه نصر بن خزيمة بالتوجه نحو المسجد الأعظم لاجتماع الناس فيه. فقال له زيد: إنهم فعلوها حسينية. فقال نصر: أمّا أنا فأضربن معك بسيفي هذا حتى أقتل [٢].

واستطاع زيد التوجه نحو المسجد بعد أن كشف قوات الشام بقيادة عبيد الله ابن العباس الكندي التي حاولت الحيلولة بينه وبين وصوله إلى المسجد وأقبل زيد بأصحابه وانتهى إلى باب الفيل، فأدخل أصحابه راياتهم من فوق الأبواب وهم يقولون: يا أهل المسجد اخرجوا إلى العزّ، اخرجوا إلى الدين والدنيا، فإنكم لستم في دين ولا دنيا [٣].

فأشرف عليهم أهل الشام يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد، ولكن هؤلاء لم يحركوا ساكناً ولم يقوموا بأي فعل ما لفك الحصار عنهم [٤] يبدو أن هؤلاء المحبوسين في المسجد كانوا راضين بهذه الحماية [٥].

وهكذا خاض زيد عليه السلام معركة غير متكافئة فقد صمد للألوف التي

(١) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨٣؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص١٤٣؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٩٢.

(٢) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٥٨.

(٣) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٥٨. ٣٥٩.

(٤) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٥٩.

(٥) فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص١٨٠.

جاءهم من الشام ومن الأمصار الأخرى محققاً عليهم الانتصارات المتتالية ولكنه لم يستطع المحافظة على تلك الانتصارات إذ لا يمكن لبضعة مئات أن تحتفظ بالنصر لمدة طويلة قبال الجيش الشامي [(١)] الذي بلغ اثنا عشر ألفاً [(٢)].

لقد كانت ثورة زيد بن علي عليه السلام امتداداً حقيقياً لثورة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الظلم والفساد والانحراف الأموي، الذي اتخذ من الإسلام غطاءً لوجودهم واستمرارهم في السلطة بالظاهر دون الباطن.

لقد ورد ذكر زيد عليه السلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يستخرج منه مصاديق لثورته، وأنها في طريق الحق ونصرة الحقيقة.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال للحسين عليه السلام: **" يا حسين، يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس، غراً محجلين يدخلون الجنة بلا حساب "** [(٣)].

وروي أنّه قال مشيراً للحسين عليه السلام **" يخرج من ولده رجل يقال له: زيد يقتل بالكوفة ويصلب بالكناسة ويخرج من قبره نبشاً تفتح لروحه أبواب**

---

(١) نجم، مهدي عبد الحسين، ثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الإسلامية، (مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ٢٠٠٢م)، ص١٣٨.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٣٦.

(٣) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي: بيروت، ١٩٨٤م)، ج١، ص٢٢٦؛ الرازي، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي (ت٤٠٠هـ)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، (مطبعة الخيام: قم، ١٩٨٠م)، ص٣٠٨؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج١، ص٢٦٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٠.

السماء يبتهج به أهل السماوات "[١].

لقد حظيت ثورة زيد عليه السلام بتأييد من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد ادخل استشهاده الحزن على قلوبهم وأبكى أعينهم وأثر مصرعه فيهم تأثيراً كبيراً مما يدل على أن ثورة زيد عليه السلام كانت ثورة في المسار الصحيح وكانت تستسقي مشروعيتها من ينبوع ماء صاف عذب طاهر وهو ينبوع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً والذين كانوا بحق يمثلون الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصراطه القويم الذي هو صراط الله المستقيم.

فقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه وقف على موضع صلبه في الكوفة فبكى وأبكى أصحابه فقال له: ما الذي أبكاك؟! قال: إنّ رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع من رضى أن ينظر إلى عورته أكبه الله على وجه في النار[٢].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: " إن أخي زيد بن علي خارج ومقتول وهو على الحق، فالويل لمن خذله والويل لمن حاربه والويل لمن يقتله "[٣].

ولما بلغ قتل زيد عليه السلام إلى الإمام الصادق عليه السلام قال:" إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله احتسب عمي إنّه كان نعم العم إنّ عمي كان

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٢٧.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٤٤هـ)، الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر (عج)، ط٤، (مطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٧٢م)، ص٩٧.

(٣) البلاذري، أنساب الإشراف، ج٣، ص٢٣٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٠٠-١١٥.

رجلاً لدنيانا وآخرتنا مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم" [١].

إنّ زيداً حينما أخذ بالتهيؤ للخروج على طاغية زمانه وأخذ البيعة من الناس لم يدر في خلده أنّه كان يدعو لنفسه وأنّه كان يهيئ ويعد العدة لكي يكون حاكما على المسلمين وإنما كانت دعوته هي دعوة لإمام زمانه وصاحب الحق الشرعي في تبوء منصب الخلافة ذلك المنصب الإلهي الذي استأثر به من استأثر بغياً وظلماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ زيداً عليه السلام كان يدعو إلى الرضا من آل محمد والرضا من آل محمد هو الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "رحم الله عمي زيداً لو ظفر لوفى، إنما دعا إلى الرضا من آل محمد وأنا الرضى" [٢].

وروي عنه عليه السلام بخصوص هذا الشأن أنّه قال: "ولا تقولوا خرج زيد فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد (عليهم السلام) ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه" [٣].

إنّ زيداً حينما خرج كان خروجه بعد استشارة عمه الإمام جعفر بن محمد عليه السلام وأخذ الأذن منه في الخروج وعليه فإنّ خروجه يكون خروجاً شرعياً وأنّ ثورته كانت ثورة تدعو إلى الحق وإقامة أعلام دين الله وإحياء سنة رسول الله

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٢٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٩.

(٣) الكليني، الكافي، ج٨، ص٢٦٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٢.

صلى الله عليه وآله وسلم وترسيخ مبدأ العدل الإلهي في ربوع الأرض.

فقد روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام أنّه قال للمأمون العباسي حدثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليهما السلام يقول: رحم الله عمي زيداً إنّه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم أن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه [(١)].

وخير دليل على أن زيداً لم يكن يدعو إلى نفسه هو اعتقاده بإمامة ابن أخيه جعفر بن محمد عليهما السلام وأنّه هو حجة الله على خلقه وهو الإمام المفترض الطاعة في عصره فقد صرح زيدٌ بذلك إذ روي عنه أنّه قال: ((في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد، لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه)) [(٢)].

وعلى الرغم من السهولة التي رافقت القضاء على ثورة زيد عليه السلام فإنها كانت فاتحة سلسلة طويلة من الحركات الشيعية التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين كما أنها أثرت تأثيراً مباشراً في سير الأحداث وأرست قاعدة الفكر الثوري ومبدأ اللجوء إلى السلاح لدى الشيعة وغيرت كثيراً من ميول الناس واتجاهاتهم وأهدافهم ذلك التغيير الذي أفاد الدعوة العباسية وهيأ له عقول الناس وقلوبهم وعواطفهم وجعلهم يتقلبونها بسرعة وبدون تردد في دعوتهم الرضا من آل محمد[(٣)].

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٢٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٨.

(٣) النجم، مهدي، الثورات العلويين، ص١٤٨.

وقد كانت لثورة زيد بن علي عليه السلام إنجازات معنوية وتعبوية أهمها:

أولاً: ربط الأمة الإسلامية بإمامة أهل البيت عليهم السلام وتعميق الشعور بمظلومتهم.

ثانياً: التوكيد على انحراف السلطة الأموية والدعوة لإسقاطها، واستعادة روح الإسلام الحقة.

ثالثاً: رفد روح الثورة الإسلامية على الطغيان الأموي بدماء جديدة من آل البيت عليهم السلام توصلاً مع دماء الإمام الحسين عليه السلام [١].

ثانياً / ثورة يحيى بن زيد (١٢٥هـ / ٧٤٢م)

استمر أوار نيران الثورة ضد طغاة بني أمية مشتعلاً بعد استشهاد زيد بن علي عليه السلام الذي ثار من أجل إحياء العدل وإماتة الظلم فقد حمل مشعل الثورة هذه المرة فتى شجاعٌ قوي القلب صادق الإيمان قد اشترك في ثورة زيد بن علي عليه السلام ألا وهو ابنه يحيى بن زيد عليه السلام الذي لم يكد أن يتجاوز العشرين عاماً عند استشهاد أبيه إذ أوصاه أبوه حينما أصاب السهم جبهته بقتال الظالمين وأعداء الدين من بني أمية فوفى بالعهد الذي قطعه لأبيه إذ قال حين ذاك: " أقاتلهم والله ولو لم أجد إلا نفسي " [٢].

فحمل بين جنباته روح أبيه التواقة للتضحية والفداء في سبيل الله إذ صمم يحيى على الشهادة لإعلاء كلمة الحق وإزهاق الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) للتفاصيل ينظر: حاتم، نوري، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهم السلام، ط٢، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية: بيروت، ١٩٩٥م)، ص١٥٤. ١٥٨.

(٢) أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٥٨؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ٢٥٧.

المنكر تلك المبادئ الإسلامية العليا.

فلما استشهد أبوه لم يبقَ معه من أهل الكوفة سوى عشرة من أصحابه فقرر الخروج من الكوفة والتوجه نحو كربلاء[١]، وكان يوسف بن عمر والي العراق يجدُّ في طلبه حتى وصل إلى المدائن وكانت آنذاك طريق الناس إلى خراسان فبلغ يوسف بن عمر الثقفي خبره فسرح في طلبه حريث بن أبي الجهم الكلبي وقد نفذ يحيى الطلبة حيث انتقل يحيى إلى الري ولم يتمكن حريث من إلقاء القبض عليه[٢].

وظل يحيى عليه السلام ينتقل بين المدن حتى وصل إلى خراسان فاستقر في مدينة سرخس[٣] وأقام فيها ستة أشهر عند يزيد بن عمر ثم بعد ذلك توجه إلى بلخ[٤] فنزل في دار الحريش بن عمرو بن داوود[٥] [٦].

ولعل سبب توجه يحيى إلى خراسان لكون أهلها من الموالين لأبناء علي بن أبي طالب عليه السلام فلذا تعتبر فيها قاعدة شعبية تمكن من يرُوم الثورة على بني

---

(١) ينظر ملحق رقم (٥) مخطط يبين مسير يحيى بن زيد منذ خروجه من الكوفة وحتى استشهاده في الجوزجان.

(٢) الهاروني، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ص١٦.

(٣) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل.ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

(٤) بَلْخ: مدينة مشهورة بخراسان من أجلها وأشهرها ذكراً وأكثرها خيراً بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً. ويقال لجيحون نهر بلخ. ينظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب المعروف ابن واضح (ت٢٩٢هـ)، كتاب البلدان، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٩٨٨م)، ص٥٥.

(٥) الحريش بن عمرو بن داود: لم أجد له ترجمة.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٢٨؛ الهاروني، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ص١٦؛ الجد، حيدر، مرقد شهيد الجوزجان يحيى بن زيد بن علي، مجلة ينابيع، النجف، العدد الثاني والعشرون، ٢٠٠٨م، ص ٥٦.

أمية من النهوض بهم والاعتماد عليهم خصوصاً أن الشيعة فيها بدأت بالتحرك بعد مقتل زيد عليه السلام وأظهروا ولاءهم لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنكارهم لأفعال بني أمية.

فقد روى الطبري [١] " لما قتل زيد عمد رجل من بني أسد إلى يحيى بن زيد فقال له قد قتل أبوك وأهل خراسان لكم شيعة فالرأي أن تخرج إليها قال وكيف لي بذلك قال تتوارى حتى يكف عنك الطلب ثم تخرج... فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية إلى خراسان ".

وروى اليعقوبي [٢] " ولما قتل زيد، وكان من أمره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من يأتيهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية، وما نالوا من آل رسول الله، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة ورئيت المنامات وتدورست كتب الملاحم، وهرب يحيى بن زيد إلى خراسان، فصار إلى بلخ، فأقام بها متوارياً".

أقام يحيى بن زيد بن علي عليه السلام عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك [٣].

والوليد يدعى خليع بني مروان وقرأ ذات يوم { وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } [٤]، فدعا بالمصحف فنصبه غَرَضاً للنشّابِ، وأقبل يرميه وهو يقول:

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٨٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٢٨؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص١٧٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٤٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ١٥.

أَتوعِـدُ كـلَّ جبـار عنيـدٍ   فهـا أنـا ذاك جبـار عنيـدُ
إذا مـا جئـت ربـك يـوم حَشْرٍ   فقـل يـا رب خَـرَّقني الوليـد [(١)]

وأخبار فسق الوليد وإلحاده وسوء سيرته واستخفافه بأمور المسلمين قد أطبق المؤرخون ونقلت الأخبار على ذكرها في كتبهم.

إنّ طاغية فاسقاً فاجراً مثل هذا حقيقٌ أن يثار عليه ممن يحصرون آلاماً وحمية على الدين ويغضبون لله عندما يرون مقدسات الإسلام يعبث بها ليس له صريحةً في الدين وهذا هو الأمر الذي قام به يحيى بن زيد عليه السلام حينما قرر الثورة في عهد الوليد سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م).

استطاع يوسف بن عمر أنْ يعرف مكان يحيى بن زيد والمنزل الذي نزل فيه وكتب إلى نصر بن سيار [(٢)] حاكم خراسان يخبره أنّه عند الحريش وقال له: **" ابعث إليه وخذوه أشد الأخذ "** [(٣)].

فأخذه (نصر) ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس كان أقبل معه من الكوفة فأتى به نصر بن سيار فحبسه وكتب نصر إلى يوسف بن عمر يخبره

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٥٣ـ ٥٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٣٧؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٧٢؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي عبد الحي العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار إحياء التراث: بيروت، د.ت)، ج١، ص١٦٨.

(٢) نصر بن سيار: بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني، أصبح والي خراسان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة (١٢٠هـ) بقي في مرو إلى أن تغلب أبو مسلم الخراساني على خراسان عندما قويت الدعوة الهاشمية في أيامه فهرب إلى ساوة ومات بها سنة ١٣١هـ. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص٢٥٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٧.

بذلك فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه فدعاه نصر بن سيار فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة (١).

فقال له يحيى: وهل فتنة في أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعظم من فتنتكم التي أنتم فيها من سفك الدماء، والشروع فيما لستم له بأهل فسكت عنه نصر وخلى سبيله (٢).

إنّ في جواب يحيى هذا رداً جهادياً في وجه أعوان الطغاة والظالمين ويعد بحق من أفضل أنواع الجهاد إذ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" (٣).

فخرج يحيى إلى سرخس وقد سرح نصر بن سيار إلى عماله على المدائن أن يزعجوه وأن يسلمه كل عامل إلى العامل الذي يليه يؤمنوا ثورته (٤).

حتى وصل إلى الأبرش (٥) وكان عامل الأمويين عليها عمرو بن زرارة فأمر له بألف درهم ثم أشخصه حتى انتهى إلى بيهق (٦) وفي بيهق أظهر يحيى دعوته

(١) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٢٨.

(٢) الهاروني، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ص١٦.

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٩.

(٤) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٢٨- ٢٣٠؛ الجد، حيدر، مرقد شهيد الجوزجان يحيى بن زيد بن علي، ص٥٨.

(٥) الأَبرشُ: لقب جَذِيمَةَ بن مالك وكان به بَرَص فكنَوْا به عنه، وقيل: سمي الأَبرَش لأَنه أَصابه حَرْق فبقي فيه من أَثر الحرْق نُقَط سُود أَو حُمْر، وقيل: لأَنه أَصابه بَرَص فهابت العرب أَن تقول أَبْرَص فقالت الأَبرَش: الأَرْقَط والأَنْمَر الذي تكون فيه بقعة بيضاء وأُخرى أَيّ لون كان، الذي يكون به نُكَت فوق البَرَش. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أبرش.

(٦) بيهق: ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور تشتمل على ←

واشترى سلاحاً ودواباً استعداداً لخوض المعركة وبايعه سبعون رجلاً وعاد بهم إلى أبرش عازماً على قتال عمر بن زرارة فيها فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار يخبره بذلك فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس والحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة، فهو عليهم، فيقاتلوه فجاءوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة فكانوا عشرة آلاف فأتاهم يحيى بن زيد وليس هو إلا في سبعين رجلاً فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة وأصاب دواباً كثيرةً [١].

وبعد انتهاء المعركة التفت يحيى عليه السلام إلى أصحابه قائلاً: " إنا كنا قد عزمنا على المسير إلى العراق، وكان من أمر هؤلاء ما كان، وهذا حديث عظيم قد أتيناه ولم نجد بداً من ذلك، وليست لنا العراق بعد هذا اليوم بدار، فارجعوا بنا إلى خراسان، فإن متنا متنا كراماً" [٢].

وخرج حتى وصل جوزجان [٣] ونزل قرية من قراها يقال لها (ارغوية) ولحق به جماعة من عساكر خراسان وبايعه وبقي على أمره مدة يسيرة [٤].

فسرح إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز في ثمانية آلاف فارس من أهل الشام وغيرهم فاقتتلوا ثلاثة أيام بلياليها وأشتد قتال، حتى قتل جميع من كان مع يحيى وأصيب، يحيى بنشابة في جبهته فمات في وقته وكانت شهادته وقت العصر سنة

ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين، بين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٣٧

(١) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٢٩.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٢٩٩. ٣٠٠.

(٣) الجوزجان: وهي كورة واسعة من كور بلخ بين مرو الروذ وبلخ دفن فيها يحيى بن زيد بعد قتله وصلبه فيها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٣.

(٤) الهاروني، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ص١٦.

١٢٥هـ /٧٤٢م[(١)].

وبعث برأسه إلى الوليد بن يزيد[(٢)] وصلب على مدينة جوزجان وبقي مصلوباً طرياً إلى أن ظهر أبو مسلم[(٣)] صاحب الدعوة لبني العباس فأنزل جسده فصلى عليه وأظهر أهل خراسان النِّيَاحة سبعة أيام والسلطان في بني أمية، ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود إلا وسمي بيحيى أو بزيد عليهما السلام[(٤)].

وهكذا انتهت ثورة يحيى بن زيد عليه السلام بعد أن نال الشهادة التي سعى إليها بعد استشهاد أبيه مقتفياً أثره في جهاد الظالمين وإبقاء راية الحق خفاقة فوق رؤوس الطغاة تهتز بفعل رفيفها عروشهم في كل آنٍ ومكان.

لا يخفى على الباحث أن سبب القضاء على ثورة يحيى بن زيد هو خوضه معركة غير متكافئة فعلى الرغم من النصر المآزر الذي سجله في المعركة الأولى ضد عمرو بن زرارة إلا أنّه لم يستطع أن يحافظ على هذا الانتصار مع قلة المقاتلين الذين بايعوه على جهاد بني أمية وأعوانهم إذ إنّ أغلب المصادر التاريخية قد ذكرت أن عددهم سبعون فقط وذكر بعضهم أنهم سبعمائة [(٥)].

وعلى الرغم من هذا العدد القليل جداً فإنّ يحيى عليه السلام وأصحابه قاتلوا قتالاً شديداً استمر لثلاثة أيام بلياليها وصمدوا لجند بني أمية صموداً بطولياً

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٩. ١٥٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٥٠؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٢٦٠.

(٣) القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٢، ص٤٥٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٤٩ـ ٥٠؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، (طبع على مطابع هيدلبرغ: بيروت، ١٩٨٤م)، ص١٨٢.

(٥) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٣٣٥.

حتى أنهم قتلوا جميعاً وذلك لأنهم كانوا يقاتلون عن عقيدة راسخة وإيماناً قوي في أن الحق مع علي وأبنائه عليه السلام وأنّ الباطل قد تمثل في علوج بني أمية.

لقد أثار مصرع يحيى بن زيد عليه السلام مشاعر الخراسانيين وألهب حماسهم وأيقظ في نفوسهم الانتصار لآل البيت عليهم السلام وأسهمت دماؤه الزكية بتقويض حكومة الوليد كما أسهمت دماء أبيه في تقويض حكومة هشام هذه الدماء التي جرت في عروقهم من دماء الإمام الحسين عليه السلام رمز التضحية والجهاد التي أسهمت في تقويض حكم آل أبي سفيان.

فقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: "إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي عليه السلام فنزع الله ملكهم وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه وقتل الوليد يحيى بن زيد فنزع الله ملكه على قتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله "[1].

ولقد استفاد العباسيون في إسقاطهم لحكومة بني أمية من مصرع يحيى بن زيد عليه السلام حينما ظهر داعيتهم أبو مسلم الخرساني في خراسان مستغلين بذلك هوى الخراسانيين وميلهم إلى آل علي عليه السلام إذ ابتدؤوا حركتم برفع الشعار الذي رفعه زيد عليه السلام من قبل هو الدعوة الرضا من آل محمد.

قال المستشرق فلهاوزن[2] كان أبو مسلم قد ظهر بمظهر المطالب بثأر يحيى

(١) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، ثواب الأعمال وعقب الأعمال، تحقيق وتقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٢، (مطبعة أمير: قم، ١٩٤٨م)، ص٢٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٨.

(٢) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريده، راجعه الترجمة: حسين مؤنس، ط٢، (دار التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، ١٩٦٨م)، ص٤٧٤.

ابن زيد لما يعلمه من تأثير ذلك في النفوس.

لم يشذ يحيى بن زيد عليه السلام عن خط أبيه عليه السلام في مولاته لأئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل عام ولإمام زمانه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام بشكل خاص فإنّه كان مقراً بإمامة ابن عمه جعفرٍ عليه السلام ونافياً عن أبيه أنه حين خروجه قد خرج مدعياً للإمامة.

فقد جرى حوار بين يحيى بن زيد عليه السلام ورجل شيعي وكان الرجل يستفهم عن موقف زيد عليه السلام من يحيى بن زيد عليه السلام (١) "...قلت: يابن رسول الله أما إن أباك قد ادعى الإمامة، وخرج مجاهداً في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن ادعى الإمامة كاذباً فقال: مه يا عبد الله إن أبي عليه السلام كان أعقل من أن يدعي ما ليس له بحق وإنما قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، عنى بذلك عمي جعفراً قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم " (٢).

وروي في سند الصحيفة السجادية عن عمَيْرُ بْنُ مُتَوَكِّلٍ الثَّقَفِيُّ الْبَلْخِيُّ عَنْ أَبِيه: مُتَوَكِّلِ بْنِ هَارُونَ قَالَ: " لَقِيتُ يَحْيَى بْنَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْه السَّلَامُ - وهُوَ مُتَوَجِّه إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيه فَسَلَّمْتُ عَلَيْه فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ قُلْتُ: مِنَ الْحَجِّ فَسَأَلَنِي عَنْ أَهْلِه وبَنِي عَمِّه بِالْمَدِينَةِ وأَحْفَى السُّؤَالَ عَنْ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْه السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُه بِخَبَرِه وخَبَرِهِمْ وحُزْنِهِمْ عَلَى أَبِيه زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْه السَّلَامُ - فَقَالَ لِي: قَدْ كَانَ عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ - عَلَيْه السَّلَامُ -

(١) مجموعة مؤلفين، أعلام الهداية الإمام جعفر بن محمد عليه السلام الصادق، تصحيح: ابن عاشور، (دار الأميرة: بيروت، ٢٠٠٥م)، ج٨، ص٨٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٩.

أَشَارَ عَلَى أَبِي بِتَرْكِ الْخُرُوجِ وعَرَّفَه إِنْ هُوَ خَرَجَ وفَارَقَ الْمَدِينَةَ مَا يَكُونُ إِلَيْه مَصِيرُ أَمْرِه فَهَلْ لَقِيتَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّد - عَلَيْه السَّلامُ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَه يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِي قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: بِمَ ذَكَرَنِي خَبِّرْنِي، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَقْبِلَكَ بِمَا سَمِعْتُه مِنْه. فَقَالَ: أَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي! هَاتِ مَا سَمِعْتَه، فَقُلْتُ: سَمِعْتُه يَقُولُ: إِنَّكَ تُقْتَلُ وتُصْلَبُ كَمَا قُتِلَ أَبُوكَ وصُلِبَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُه وقَالَ ﴿ يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَه أُمُّ الْكِتابِ ﴾ [(١)] [(٢)].

يستفاد من هذه المحاورة هو اهتمام يحيى بن زيد الشديد في معرفة أحوال ابن عمه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وما ذلك إلا اعتقاده بإمامته وعصمته هذا من جهة ومن جهة أخرى أن يحيى كان شديد الحرص أن يرد فيه حديث عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام لما ورد حديث في أبيه عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام يحدد فيه مصيره لكي يكون على بينة من أن خروجه وتضحيته واستشهاده إنّما كان باهتمام من إمام زمانه حتى يكون خروجه خروجاً شرعياً وهذا هو الكائن بالفعل وذلك لشدة حزن الإمام الصادق عليه السلام على يحيى بن زيد لما وصلت إليه أنباء قتله وترحمهِ عليه والدعوة له بأن يلحقه الله بآبائه وأجداده الصالحين في جنان نعيم.

وقد أثنى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام على ابن عمه يحيى ابن زيد عليه السلام كما أثنى على أبيه من قبل وحزن لمصرعه وفي ذلك دلالة على رضى الإمام الصادق عليه السلام لخروج زيد عليه السلام وثورته على بني أمية قَالَ الْمُتَوَكِّلُ: " فَلَمَّا قُتِلَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ صِرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه -

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٩.

(٢) الإمام علي بن الحسين عليه السلام (ت٩٤هـ)، الصحيفة السجادية، (قم: ١٩٩٧م)، ص١٢.

عَلَيْه السَّلامُ - فَحَدَّثْتُه الْحَدِيثَ عَنْ يَحْيى، فَبَكَى واشْتَدَّ وَجْدُه بِه. وقَالَ: رَحِمَ اللَّه ابْنَ عَمِّي وأَلْحَقَه بِآبَائِه وأَجْدَادِه "[١].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال أيضاً بعد أن بلغه استشهاد يحيى عليه السلام: " لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولوددت أنّ الخارجي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم خرج وعلي نفقة عياله "[٢].

وهذا إن دل على شيء إنّما يدلُ على أن ثورة يحيى بن زيد عليه السلام كثورة أبيه زيد بن علي عليهما السلام من الثورات التي تعتبر امتداداً لثورة الإمام الحسين عليه السلام التي هدفها الإصلاح وإظهار العدل وطمس الباطل والتأكيد على أحقية العلويين في إمامة وخلافة المسلمين دون سواهم.

---

(١) الإمام علي بن الحسين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص١٦.

(٢) ابن إدريس الحلي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٩٨ هـ)، مستطرفات السرائر، ط٢، (مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ١٩٩٠م)، ص٥٦٩.

الفصل الثالث

الثورات العلوية في العصر العباسي الأول

(١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م)

- المبحث الأول: البعد العلوي في الدعوة العباسية
- المبحث الثاني: الثورات الحسنية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام
- المبحث الثالث: الثورات الحسينية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام

المبحث الأول: البعد العلوي في الدعوة العباسية

لم يكن هنالك دورٌ مستقلٌ لبني العباس في خضم الصراع الدائر بين العلويين والأمويين في أيهم أحق بخلافة المسلمين من غيره إذ حمل العلويون عبء مناهضة الدولة الأموية لإنقاذ الجماهير المسلمة من جبروت الأمويين وطغيانهم منذ ثورة الإمام الحسين عليه السلام سنة (٦١هـ / ٦٨٠م) حتى ثورة يحيى بن زيد سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م).

فقد كان جدهم العباس بن عبد المطلب من الثابتين على بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قال له: **"امدد يدك أبايعك...فلا يختلف عليك اثنان "**(١).

وقد تخلف عن بيعة أبي بكر فيمن تخلف لاعتقاده بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وأحقيته بالخلافة.

وكان أبوهم عبد الله بن العباس من السائرين في ركب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والمعتقدين بإمامته وأحقيته أيضاً بالخلافة باعتباره وصي رسول

(١) الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مطبعة الخيام: قم، ١٩٧٩م)، ص٢٠٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٦٠.

الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ثبت على هذا الموقف لما آلت الإمامة للحسن بن علي عليهما السلام وبقى ثابتاً عليه حينما وصل الأمر إلى أخيه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام حتى توفاه الأجل سنة (٦٨هـ / ٦٨٧م) في عصر إمامة علي بن الحسين عليهما السلام، وقد سار أبناؤه على منهجه في انتظار قيام دولة العلويين حتى أنهم لم يشتركوا في الثورات التي فجرها أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يظهر لهم دورٌ يذكر في أي ثورة قامت ضد حكام بني أمية إلا في ثورة عبد الله بن معاوية الهاشمي (سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م) ضد مروان بن الحكم آخر حكام بني أمية.

وقد اتخذ من أصبهان مركزاً لانطلاق ثورته ثم بعث إلى الهاشميين من علويين وعباسين يدعوهم إلى نصرته ومأسهمتهم معه في إدارة البلاد التي يتم السيطرة عليها، إذ قدم عليه من العباسين أبو جعفر المنصور وأخوه عبد الله بن الحارثية " أبو العباس " وعمهما عيسى بن علي وولى عبد الله بن معاوية أبا جعفر المنصور على كوره في خوزستان وأصبهان تدعى (أيزج) وفوضه أمر جباية أموالها [1].

(١) ولقد استمرت الثورات بعد مصرع يحيى بن زيد عليه السلام حتى ظهور عبد الله بن معاوية الذي ابتدأ دعوته برفع شعار (الرضا من آل محمد) إذ اتسع نطاق دعوة ابن معاوية فامتدت إلى معظم مدن العراق والى همدان، وقم، والري وقومس وأصبهان، وفارس وفي سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م اتخذ ابن معاوية من أصفهان مركزاً لدعوته وبعث إلى الهاشمين علويين وعباسيين يدعوهم إليه ليسهموا معه في إدارة البلاد التي يسيطرعليها فقدم عليه عدد كبير منهم. للمزيد عن ذلك ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٥٧- ١٥٨؛ الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ط٢، (دار الجيل: بيروت، ١٩٨٧م) ص٥٥؛ عكله، منال حسن، الثورات العلوية والشيعية في العراق وأثرها في نشوء الفرق الإسلامية حتى عام ٣٣٤هـ، (كلية التربية: جامعة المستنصرية، ٢٠١٠م)، ص٥٧- ٦٦؛ البغدادي، أحمد علاوي مجيد، نشأة التيار العلوي في الكوفة إلى نهاية العصر الأموي (ت١٣٢هـ . ٧٤٩م)، رسالة ←

بدأت حركة عبد الله بن معاوية تدعو إلى إمامة العلويين وأحقيتهم بزعامة المسلمين إذ رفع شعار (الرضا من آل محمد) هذا الشعار الذي رفعه زيد بن علي عليهما السلام من قبل والذي يقصد به إمام العصر من أبناء علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ولم يحلم أي أحد من الأوساط الإسلامية أن يؤول الحكم إلى بني العباس، كما لم يخطر ببال أي أحد منهم أن يكونوا ملوكاً على المسلمين، إذ لم تكن لهم خدمة للقضاء الإسلامي ولم يشتركوا بأي عمل لصالح المسلمين فقد كانوا بمنحى عن الحركات الإصلاحية، والثورات الشعبية المناهضة للحكم الأموي [١].

وجاء بالمصادر التاريخية أن بدء نشاطهم السياسي كان سنة (١٠٠هـ / ٧١٦م) في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز على يد كبيرهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان نشاطاً سرياً إذ بعث دعاته في الآفاق يدعون الناس إلى إمامته فقال لهم: " فانطلقوا أيها النفر، فادعوا الناس في رفق وستر" [٢].

والسبب في ذلك على ما ذكره المؤرخون هو وصية أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية إليه بعد أن دس له السم من قبل سليمان بن عبد الملك سنة (٩٨هـ / ٧١٤م) [٣].

ماجستير، غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة الكوفة، ٢٠٠٧م)، ص٢٠٣ـ ٢١٢؛ حسن، زينب إبراهيم، المعارضة الفكرية والسياسية في العصر الأموي ٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ـ ٧٤٩م، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة الكوفة، ٢٠٠٩م)، ص٦٧ـ ٧٠.

(١) القرشي، باقر شريف، عصر الإمام الصادق، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٩٢م)، ج٧، ص٨٩.

(٢) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٣٣٢.

(٣) للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٢.

وقد ذكر اليعقوبي[١] أنّه لما استقر اللبن في جوفه قال لمن معه: "أنا والله ميت... ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فإنه بأرض الشراة، فأسرعوا السير حتى أتوا محمد بن علي بالحميمة[٢] من أرض الشراة، فلما قدم عليه قال له: يابن عم أنا ميت، وقد صرت إليك، وهذه وصية أبي إلي، وفيها أن الأمر صائر إليك، وإلى ولدك، والوقت الذي يكون ذلك، والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع وروى عن أبيه علي بن أبي طالب عليهما السلام، فاقبضها إليك". ثم أوصاه بالشيعة خيراً وكشف له أسماء الدعاة والأنصار[٣].

واستناداً لذلك يكون بدء نشاط العباسيين السياسي استمراراً للحراك العلوي، وقد استمروا على ذلك طيلة الدعوة العباسية من سنة ١٢٩هـ /٧٤٦م وحتى قيام الدولة ١٣٢هـ /٧٤٩م، ولم يفصحوا عن هوية صاحب الدعوة وظل شعار الرضا من آل محمد أداة التمويه على الشعوب الإسلامية في أن الدعوة لصالح العلويين والطلب بثأرهم والتأكيد على أحقيتهم بالخلافة ولم يكشفوا عن حقيقة موقفهم وانحرافهم بالدعوة لصالحهم حتى إعلان الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م وصوروا للناس أنهم من آل البيت، لأنّ نسبهم يرجع إلى هاشم الجد الأكبر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٨.

(٢) الحميمة: بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام كان منزل بني العباس.ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٧.

(٣) بشان النقباء والدعاة ينظر: المجمعي، مثنى عباس عواد، دعاة الثورة العباسية ودورهم السياسي والعسكري، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية التربية: جامعة بغداد، ٢٠٠٦م) ص ٢٥ومابعدها.

وبناءً على صحة هذه الوصية فيكون الحق بالخلافة انتقل من العلويين إلى العباسين بتنازل أبي هاشم عن ذلك إلى محمد بن علي العباسي، وعلى الرغم من ورود هذه الوصية في أغلب المصادر التاريخية القديمة فقد شكك البعض في صحتها وتأولها آخرون.

فلقد ذكر فلهاوزن[١] "أن العباسيين بنوا شرعيتهم في الخلافة على أساس الادعاء أن ابن الحنفية ووريثه، وهو أبا هاشم، قد تنازل عن حقه للعباسين ".

وذكر فلهاوزن [٢] في كتابه الدولة العربية أن رواية التنازل على الأرجح مخترعة ولكن اختراعها منذ زمن مبكر، لأن لها شواهد قوية، ولولا ذلك لحذر العباسيون فيما بعد من أن يقيموا حقهم على مثل هذا الأساس.

وقد ذكر المؤرخ تسترشتين [٣] أن هذه الرواية وأنّ وردت في أقدم تواريخ العرب، فإنّ المحققين الآخرين يشكون في صحتها شكاً كبيراً، ويعزونها إلى اختراع شيعة العباسيين الذين أرادوا أن يبرهنوا بهذه الصورة على حق العباسين في الخلافة.

وقد أولت سميرة الليثي [٤] هذا التنازل بقولها: وفي رأينا أن هذا التنازل، لم يكن بترتيب سابق أو حسب خطة موضوعة بل هو وليد الأحداث، ونتيجة حتمية للظروف السياسية حينئذ، فقد خرج أبو هاشم من دمشق عائداً إلى

---

(١) الخوارج والشيعة، ص١٧٣.

(٢) تاريخ الدولة العربية، ص٤٧٦.

(٣) تسترشتين، دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، (د.ط: مصر، ١٩٣٣م)، ج١، ص٤١٥.

(٤) جهاد الشيعة، ص٤٢.

موطنه، ولم يعرج إلى الحميمة إلا بعد أن شعر أن السم الذي دسه له أحد أتباع الخليفة سليمان بن عبد الملك قد سرى في جسده وأنّه موشك على الموت، وأدرك حقيقة تلك المؤامرة التي دبرها له الخليفة الأموي، ورأى أن تستمر الدعوة التي حمل لواءها زهاء خمس عشرة سنة، لتصحيح مسار الدولة الإسلامية والثأر من الأمويين، وكان قريباً حينئذ من (الحميمة) مركز العباسين، فرأى أن يعهد بالدعوة إلى محمد بن علي العباسي.

وهذا التأويل مقبول نوعاً ما لأنّ أبا هاشم لما أحس بقرب اجله لم يجد في ذلك المكان من هو اقرب إليه نسبا من محمد بن علي خصوصاً أنّه قد انتهى إليه علمٌ عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وبطريق أخويه الحسن والحسين عليهما السلام في ظهور الرايات السوداء من خراسان ومصير الأمر إلى بني العباس بعد زوال سلطان بني أمية إذ دفع أبو هاشم إلى محمد بن علي الصحيفة الصفراء التي كانت لعلي بن أبي طالب عليهما السلام فأخذها محمد ابن الحنفية من أخويه الحسن والحسين عليهما السلام وفيها ((علم رايات خراسان السود، متى تكون، وكيف تكون، ومتى تقوم، ومتى زمانها وعلامتها وآياتها، وأي أحياء العرب أنصارهم، وأسماء رجال يقومون بذلك، وكيف صفتهم، وصفة رجالهم وأتباعهم)) (١).

ومع التغاضي عن صحة هذه الوصية من عدمها وتنازل أبي هاشم بالحق لبني العباس فإنّها لا تكون مستنداً شرعياً على أحقية بني العباس بخلافة المسلمين

---

(١) مؤلف مجهول (من أعلام القرن الثالث الهجري)، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، (دار الطليعة للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٩٧م)، ص١٨٥.

وذلك لكونها قد اعتمدت على أساس باطل وهو على ما ذكره المؤرخون وأصحاب المذاهب والفرق مما تذهب إليه الفرقة الكيسانية [(١)] القائلة بإمامة محمد ابن الحنفية ووصيته لابنه أبو هاشم بالإمامة من بعده وانتهاء الأمر إلى محمد بن علي العباسي.

ومن المعلوم أن محمد ابن الحنفية لم يعرف عنه أنّه ادعى الإمامة وأنّه كان مقراً بإمامة أخويه الحسن والحسين عليهما السلام وإمامة ابن أخيه علي بن الحسين عليهما السلام ولقد نقلنا فيما سبق حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام ينص فيه ابن الحنفية على إمامة ابن أخيه علي بن الحسين عليهما السلام.

والذي يؤيد ذلك أنّه (أي ابن الحنفية) لم تشاهد دعوة إلى نفسه، بإلقاء الخطابة والمحاضرة، أو بعث الرسل إلى الأطراف والأكناف، أو تصدي أمر، يعد من شؤون الحكومة، ولو كان كذلك لكان له أنصار وأعوان ولما ألقى عليه القبض، ابن الزبير لغاية أخذ البيعة والتهديد بالإحراق عند رفضها كما أنّه كان

(١) الكيسانيّة: هم القائلون بالإمامة إلى الحسين عليه السلام، ثمّ محمّد ابن الحنفية، وأنّه حيّ غاب في جبل رضوى، وربما يجتمعون في ليالي الجمعة في الجبل ويشتغلون بالعبادة على ما سمعت. ينظر: الأشعري، سعد بن عبد الله أبي خلف (ت٣٠١هـ)، كتاب المقالات والفرق، صححه وقدم له وعلق عليه: محمد جواد مشكور، (مطبعة حيدري: طهران، ١٩٦٣م)، ص٢١-٢٢؛ النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري)، فرق الشيعة، علق عليه: محمد صادق بحر العلوم، ط٤، (المطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٦٩م)، ص٤١-٤٢؛ الشيخ الطوسي، رجال الكشي، ج٢، ص٢٠٩؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٤٧؛ المازندراني، محمد بن إسماعيل (ت١٢١٦هـ)، منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، (المطبعة ستاره: قم، ١٩٩٥م)، ج٧، ص٤٣٣؛ البهبهاني، محمد باقر الوحيد (ت ١٢٠٥هـ)، تعليقة على منهج المقال، (د.ط: د.ت)، ص٤٠٠؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١٠٣.

يتعاطف مع عبد الله الملك بن مروان - عملاً بواجبه - حتى أدركته المنية عام ثمانين أو واحد وثمانين [١].

فلو صح ادعاء ابنه أبي هاشم بأنه وصي أبيه والإمام من بعده فيكون تنازله لبني العباس تنازلاً عن شيء ليس من حقه، لان حق الخلافة إنّما هو محصور في علي وأبنائه عليهم السلام وبالخصوص من كان من نسل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وعليه تكون أحقية بني العباس بالخلافة نتيجة لوصية أبي هاشم لكبيرهم محمد بن علي فاقدة للشرعية.

وإنّ المختار حينما دعا إلى إمامة محمد ابن الحنفية وابن أخيه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، إنما هي بدلالتها اللغوية - أي مقدم الدعوة أو صاحبها - وليس بدلالتها الاصطلاحية بمعنى الإمام صاحب الشرعية والعصمة، وعليه لا أساس لإمامة محمد ابن الحنفية وابنه أبي هاشم من ثم فلو صح خبر الوصية يكون أبو هاشم قد تنازل عن شيء ليس من حقه وعليه تكون أحقية بني العباس بالخلافة فاقدة للشرعية.

تسلم محمد بن علي قيادة الدعوة وكان عمره حينئذ ثمانية وثلاثين عاماً، فجمع أعوانه ورؤساء الدعاة من أصحاب سلفه أبي هاشم وخطب فيهم، وأمرهم بجباية خمس الأموال من الشيعة، وإعطائها إلى صاحب الكوفة ليحملها إليه في الحميمة، فإن لم يستطع ففي مكة عند كل موسم حج، ليتصرف في إنفاقها على بث الدعوة واشترطوا أن يبقى اسمه مجهولاً إلا عند خاصته، وأن تبقى الدعوة باسم رجل من آل البيت، لتكون أكثر قبولاً عند الناس فكان في عمله

---

(١) السبحاني، جعفر، الزيدية في موكب التاريخ، (دار الأضواء: بيروت، ١٩٩٧م)، ص٣٥.

هذا أشبه برئيس جمعية سرية، تهيئ أسباب الثورة [١].

وقد رفع العباسيون شعار العلويين وهو (الرضا من آل محمد) في بدء دعوتهم وذلك لكي يستفيدوا من تعاطف الناس مع العلويين ويستغلون شعبيتهم دعماً لدعوتهم فكانوا بذلك يتظاهرون بالدعوة إلى أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصورون للناس أن دعاتهم ومبلغيهم إنّما يدعون إلى أحد أولاد علي بن أبي طالب عليهما السلام مكراً ودهاءً منهم بعد أن طلب محمد بن علي العباسي من الدعاة في إبقاء اسمه طي الكتمان فهم بذلك قد اتخذوا من القاعدة الشعبية الموالية لأبناء علي عليهم السلام سلماً يتسلقون عليه للوصول إلى تحقيق طموحهم لنيل السلطة.

توفي محمد بن علي العباسي سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) وكان قد أوصى لابنه إبراهيم [٢] بزعامة الدعوة [٣] وتسمى بالإمام.

وكان من أبرز ما قام به إبراهيم بادئ ذي بدء هو اختيار اللون الأسود شعاراً للعباسيين وذلك، لأنّ راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت سوداء أثناء فتح مكة وكانت راية علي بن أبي طالب عليهما السلام في بعض حروبه سوداء أيضاً كما وأنّ اختيار اللون الأسود كان اختياراً موفقاً، لأنه يوافق اللون الذي تذكره الملاحم والنبوءات على أنّه لون الرايات القادمة من المشرق

---

(١) نقلا عن: الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة، ص٤٥.

(٢) إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وهو الرأس المدبر للثورة العباسية، قتل في سجن الخليفة الأموي مروان بن محمد في مدينة حران. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٧٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤٥٥.

للقضاء على جور الأمويين وإزالة دولتهم [(١)].

وأرسل بكير بن ماهان إلى خراسان يخبرهم بنبأ وفاة محمد بن علي ويدعوهم إلى مبايعته فعاد بكير بن ماهان بصحبته بعض أنصار الدعوة العباسية فالتقوا بإبراهيم الإمام في مكة وحرضه بعضهم على التعجيل بإعلان أمر الثورة قائلاً: ((حتى متى تأكل الطير لحوم أهل بيتك وتسفك دماؤهم! تركنا زيداً مصلوبا بالكناسة وابنه مطرداً في البلاد، وقد شملكم الخوف وطالت عليكم مدة أهل بيت السوء)) [(٢)].

وفي هذه الأثناء اجتمع الهاشميون في مكة وتداولوا أمر الدعوة وناقشوا الوضع السياسي المتدهور الذي آلت إليه الدولة الأموية وقرروا عقد مؤتمرٍ يتفقون فيه على شخصية يبايعونها بأمر الخلافة بعد أن أصبح تطور الأحداث ينبأ بقرب زوال ملك الأمويين ولقد أشارت بعض الروايات " أن عبد الله بن الحسن هو الذي دعا إلى هذا الاجتماع لكي يبايعوا ابنه محمداً بالخلافة " [(٣)].

وقد تم الاجتماع بالفعل وحضره من الجانب العلوي عبد الله بن الحسن[(٤)]

(١) فوزي، فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية ٩٨هـ - ١٣٢هـ /٧١٦م - ٧٤٩م دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها، (مطبعة الشعب: بغداد، ١٩٨٧م)، ص١٦١.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٤٠- ٢٤١.

(٣) للتفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٣٩٣ومابعدها.

(٤) عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، يكنى بأبي محمد، الملقب بعبد الله المحض، وكان عبد الله شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً، وكان فخوراً بنسبه تولى صدقات أمير المؤمنين بعد وفاة أبيه الحسن استشهد في سجن المنصور الدوانيقي بالهاشمية في العراق يوم الأضحى سنة ١٤٥هـ. ينظر: أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٦؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٣، ص٤٤٨-٤٤٩؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ١١٩؛
←

وابناه محمد [١] وإبراهيم [٢] ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان [٣] ومن الجانب العباسي إبراهيم الإمام وأبو جعفر المنصور وأبو العباس السفاح وعمهما صالح بن علي [٤].

الشبلنجي، نور الإبصار في مناقب آل النبي المختار، ج٢، ص٢٥٠؛ حرز الدين، محمد، مراقد المعارف، علق عليه وحققه: محمد حسين حرز الدين، (مطبعة الآداب: النجف، ١٩٧١م)، ج٢، ص١٥.

(١) محمد بن عبد الله: بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا القاسم، كان يلقب أبوه بالمحض لأن أباه الحسن بن الحسن السبط عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام خرج بالحجاز وتلقب بالمهدي توفي في رمضان سنة ١٤٥هـ. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٠٦ وما بعدها؛الهاروني، الإفادة، ص١٨؛ العمري، المجدي، ص٣٧ومابعدها؛ البخاري، سر السلسلة، ص٦٥ وما بعدها؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٦، ص٣٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٧، ص٣٦٣؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، د.ت)، ص٢٠٠؛ الشاهرورديّ، علي نمازي (ت ١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، (مطبعة حيدري: طهران، د.ت)، ج٥، ص١٨٢؛ الزر كلي، الأعلام، ج ٦، ص٢٢٠.

(٢) إبراهيم بن عبد الله: بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام خرج بالبصرة سنة ١٤٥هـ. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٧٢.

(٣) محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الأموي، من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف بالديباج لحسن وجهه وهو أخو القاسم بن عبد الله يقال إنّ محمداً هذا أقدم على المنصور في بغداد وقيل كان محبوساً في الهاشمية في أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن المحض. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٣. ٥.

(٤) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، أول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين، الذي تعقب مروان هو عبد الله بن علي، وكانت وفاته بقنسرين سنة ١٥١هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٩٢.

وقد اختلفت الروايات في القرار الذي اتخذه هذا الاجتماع فقد أشار بعضها إلى مبايعة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية من قبل العلويين والعباسيين وأشارت روايات أخرى إلى أن الاجتماع قد انفضَ من دون أن يبايع لأحد منهم.

فقد روى أبو الفرج الأصفهاني (١) " فقال لهم صالح بن علي: إنكم القوم الذين تمتد أعين الناس إليهم، فقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعة أحدكم، فتفرقوا في الآفاق، وادعوا الله، لعل الله أن يفتح عليكم وينصركم. فقال أبو جعفر: لأي شيء تخدعون أنفسكم، والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يعني محمد بن عبد الله -. قالوا: قد والله صدقت، وإنا لنعلم هذا. فبايعوا جميعاً محمداً، وبايعه إبراهيم الإمام، والسفاح، والمنصور، وسائر من حضر".

وفي رواية أخرى أن عبد الله بن الحسن هو الذي رشح ابنه محمداً ولكن المجتمعين لم يستجيبوا إلى طلب عبد الله بن الحسن حينما دعاهم بالبيعة لابنه فانفض الاجتماع دون اتخاذ قرار معين (٢).

وقد نقلت المصادر التاريخية أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قد حضر هذا الاجتماع بعد إن أُرسل إليه فلما حضر الاجتماع وسألهم عن أمرهم قال له عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله. فقال جعفر عليه السلام: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأتِ بعد إن كنت ترى - مخاطباً عبد الله بن الحسن - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع

(١) مقاتل الطالبيين، ص٢٢٦. ٢٢٧.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٣٩٣. ٣٩٤.

ابنك. فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول والله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني. فقال: والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم. وإن ابنيك لمقتولان. ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري. فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر -؟ قال: نعم قال فإنّا والله نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة. قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلهما. قال: فلما قال جعفر ذلك انفض القوم. وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: نعم أقوله والله وأعلمه[1].

إنّ ما أخبر به الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو إخبارٌ عن الغيب وذلك، لأنه انتهى إليه علمُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإخباره بالحوادث الكائنة إلى قيام الساعة عن طريق جده علي بن أبي طالب عليه السلام وآبائه الحسين بن علي عليهما السلام وعلي بن الحسين عليهما السلام ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام.

فلقد علق الحافظ ابن حجر الهيثمي[2] على هذا الاجتماع وما ورد فيه من قراءة للغيب وأخبر عنه بقوله: "وسبق جعفراً إلى ذلك والده الباقر... هذا ما عهد إلي أبي".

والحق الثابت الصحيح الذي ليس من حقٍ غيره ولا من صحيح سواه ما

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٨٦.

(٢) الصواعق المحرقة، ص٢٠٢. ٢٠٣.

ذكره الإمام الصادق عليه السلام في تلك الجلسة إنّما هو أخبار بالغيب قطعاً وبلا مواربة أو تردد، وليس في ذلك ما يثير الغرابة والعجب أو ينطوي على المبالغة والمغالاة، لأنّ الغيب المأثور عن أصدق الواقفين عليه والمخبرين به، وهو نبي الله الأعظم ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد دونه كما سمعهُ منه أخوه الصادق المصدق علي بن أبي طالب عليهما السلام، ثم تداول ذلك المدون أولاده الأئمة الثقاة الصادقون عليهم السلام [١].

قال أحد الباحثين [٢] والذي يبدو لي أن البيعة لمحمد ذي النفس الزكية، لم يكن لها أساس أو سند يؤيد وقوعها، وإنما كانت مجرد ادعاء، لتبرير الثورة فيما بعد ويؤيد هذا الرأي أمران:

أولهما: أن الدعوة العباسية قطعت شوطاً بعيداً تخطيطاً وأعداداً وتنظيماً، حيث مضى عليها، لحين وقوع الاجتماع، أكثر من ستة وعشرين عاماً فمن غير المعقول، أن يبايع أفراد البيت العباسي، لمحمد ذي النفس الزكية أو لغيره، وهم يعلمون أن دعوتهم قد قاربت من إعطاء ثمارها.

ثانيهما: لو كانت البيعة لمحمد قد تمت فعلاً، لأشار إليها في خطبه أو رسائله المتبادلة مع الخليفة المنصور، ولاتخذها حجة قوية في دعم وجهة نظره، حين طالب بالخلافة لنفسه، ولكن لم يحصل شيء من هذا القبيل فجاءت رسائله خالية من أية إشارة من هذا النوع، وهذا يثبت عدم صحة بيعته بالخلافة.

---

(١) آل ياسين، محمد حسن، الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ط٤، (دار النرجس: بغداد، ٢٠١١م)، ص٦٨.

(٢) العاني، حسن فاضل زعيز، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، (دار الرشيد للنشر: بغداد، ١٩٨١م)، ص ٢٥٧. ٢٥٨.

ولكن خبر هذا الاجتماع ومبايعة محمد ذي النفس الزكية من قبل العباسيين قد اشتهر ذكره في أغلب المصادر التاريخية القديمة فلا سبيل لإنكاره ويبطل هذا القول إنّ محمداً ذا النفس الزكية كان يخبر أن أبا جعفر المنصور قد بايع له ضمن المبايعين في ذلك المؤتمر كما رواه الطبري بقوله: " **وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أن أبا جعفر ممن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني مروان مع سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك**"[١].

وإثر هذا الاجتماع رجع العباسيون إلى مركز أقامتهم في الحميمة وأخذوا يهيؤون أنفسهم ويبعثون بدعاتهم إلى الأقطار الإسلامية ويدعون إلى أنفسهم بصورة خاصة وأخذ البيعة لإبراهيم الإمام.

ثم عهد بكير بن ماهان حين وفاته بأمر الدعوة إلى أبي سلمة الخلال وقد لعب الأخير دوراً بارزاً في نجاح الدعوة العباسية وقد كان حلقة الوصل بين زعيم الدعوة إبراهيم الإمام ومسرح الثورة في خراسان إذ أخذ بالتنقل المستمر بين الكوفة وخراسان لأخذ البيعة لإبراهيم في حياة بكير بن ماهان وبعد وفاته.

فقد أرسله بكير في حياته إلى خراسان وأعطاه ثلاث رايات سود " وأمره أن يدفع واحدة إلى من بمرو من الشيعة، ويدفع واحدة إلى من بجرجان من الشيعة، ويبعث بواحدة إلى ما وراء النهر"[٢].

فلما وصل أبو سلمة إلى خراسان دفع تلك الرايات إلى أصحابها وأقام بمرو

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥١٧.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٤٥.

فلما اضطرب الأمر في خراسان بعد مقتل الوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦هـ) ((...تمكن أبو سلمة في تلك الأيام مما أراد واستثارت الدعوة وقوي أهلها، وبث دعاته ورسله وانصرف... وكانت إقامة أبي سلمة هناك أربعة أشهر)) [١].

واستمر نشاطه السياسي وإنفاقه كثيراً من أمواله الخاصة لنشر الدعوة العباسية بعد وفاة بكير بن ماهان وتزعمه أمر الدعوة حتى سنة (١٢٨هـ / ٧٤٥م) إذ سلم الأمر في خراسان إلى أبي مسلم الخراساني بناءً على أمر زعيم الدعوة إبراهيم الإمام [٢] وعاد ليمارس دوره في الكوفة.

قال الطبري [٣] فوقع الاختيار على أبي مسلم الخراساني لكي يكون قائداً للحركة للتغيير وكتب إبراهيم إلى الشيعة في خراسان أني قد أمرت أبا مسلم بأمري فاسمعوا له وأطيعوا وقد أمرتهُ على خراسان وما غلب عليه.

فتوجه أبو مسلم من فوره إلى خراسان ليقود الجماهير الثائرة وحينما وصل إليها التقى بالدعاة وخطب فيهم قائلاً: ((أشعروا قلوبكم الجرأة عليهم فإنها أسباب الظَّفر، وأكثروا من ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب)) [٤].

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٤٨.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٣٩٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٥٧.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢١٨؛ القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري (ت٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، (دار الجبل: بيروت، ١٩٧٢م)، ج٤، ص١٠٩٥؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، (المطبعة مطابع كوستاتسوماس وشركاه: القاهرة، د.ت)، ج٦، ص١٧١.

واستفاد أبو مسلم الخراساني بوجه خاص من العصبية القبلية التي وقعت بين اليمانية والنزارية في خراسان ((وذلك أن نصر بن سيار تحامل على اليمن وربيعة، وقدم المضرية، فوثب به جديع بن علي الكرماني الأزدي، وكان رئيس الأزد يومئذ ورجلهم، وقال له: لا ندعك وفعلك، ومالت معه اليمانية وربيعة...، فلما علم جديع أن اليمن وربيعة قد اجتمع رأيهما معه على نصر بن سيار، وثب به فحاربه، وكان له العلو على نصر، فمال أبو مسلم إلى الكرماني، فقال له: أدع إلى آل محمد! وجعل يمايل أصحابه، ويدعوهم إلى ذلك، حتى أظهروا دعوة بني هاشم بخراسان)) [١].

وقد استفاد بنو العباس بوجه عام في نشر دعوتهم واستقطاب الأنصار لها من الاضطراب الحاصل في ملك بني أمية وقد دب الضعف في سلطانهم بعد مقتل الوليد بن يزيد عبد الملك سنة (١٢٦هـ / ٧٤٣م) على يد ولده يزيد بن الوليد الذي بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه " وكانت ولايته خمسة أشهر، والفتنة في جميع الدنيا عامة، حتى قتل أهل مصر أميرهم حفص بن الوليد الحضرمي، وقتل أهل حمص عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي، وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز" [٢].

فجاء من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد بن يزيد عبد الملك وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط، واختلاف الكلمة، وسقوط الهيبة[٣].

ولم يثبت له الأمر فكان في جمعة يسلم عليه بالخلافة وفي جمعة ثانية يسلم

---

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٢. ٢٣٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٥٢.

عليه بالإمارة وفي جمعة ثالثة لا يسلم عليه بالخلافة ولا بالإمارة وكانت أمور الدولة في عهده مضطربة كأشد ما يكون الاضطراب وكانت مدة حكمه شهرين وعشرة أيام وقتله مروان بن محمد [١].

ثم ملك من بعده مروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ولقب بمروان الحمار" لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويقال في المثل فلان أصبر من حمار في الحروب فلذلك لقب به وقيل لأن العرب تسمي كل مائة سنة حماراً فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك " [٢].

استطاعت الدعوة العباسية بقيادة أبي مسلم الخراساني من تحقيق انتصارات هائلة في خراسان بعد أن بدأت المدن الفارسية تتساقط واحدة تلو الأخرى في أيدي الجيوش الزاحفة نحو العراق ولم تفلح مناشدات حاكم خراسان نصر بن سيار المستمرة في طلب المعونة من مروان بن محمد في الشام في تحصيل نتيجة تذكر لإغاثته من تنامي نفوذ الدعوة العباسية وكثرة أنصارها وذلك لانشغال مروان بإخماد التحركات الثائرة ضد سلطانه في الشام [٣].

فلما يئس نصر من مروان كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العامل على العراق يسأله المعونة والنصر فلم يجبه على كتابه، وتشاغل بدفع فتن العراق [٤].

---

(١) الجاحظ حياة الحيوان، ج١، ص٧٣؛ القرشي، عصر الإمام الصادق، ص٦٥.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٤. ٢٥٥.

(٣) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٢.

حتى تمت السيطرة على مدينة مرو وقوي أمر أبي مسلم، وغلب على أكثر خراسان، وضعف أمر نصر بن سيار من عدم النجدة، فخرج عن خراسان حتى أتى الري، وخرج عنها، فنزل ساوة [١] بين بلاد همذان والري، فمات بها كمداً سنة (١٣١هـ / ٧٤٨م) [٢].

وبعد سقوط مرو عيّن إبراهيم الإمام حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي[٣] قائداً عاماً للجيش الخراساني المتقدم نحو العراق والشام فقاد هذه الجيوش حتى وصل بها إلى مشارف العراق.

وقد كانت هناك مراسلات بين أبي مسلم الخراساني وإبراهيم الإمام في الحميمة فأُلقي القبض من قبل بعض المسالح التي وضعها مروان بن محمد في أطراف الشام على رسول يحمل رسالة من أبي مسلم إلى إبراهيم فانكشف له اسم شخص قائد الدعوة فألقى القبض على إبراهيم الإمام في الحميمة وأودع السجن في حران [٤]، ثم ما لبث حتى قتله فيه سنة (١٣١هـ /٧٤٨م) [٥].

---

(١) ساوه: مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٢-٨٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٩٩.

(٣) حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي: أمير، من القادة الشجعان. ولي إمرة مصر سنة ١٤٣ هـ، ثم إمرة الجزيرة. ووجه لغزو أرمينية سنة ١٤٨ هـ، ولغزو كابل سنة١٥٢هـ، ثم جعل أميراً على خراسان فأقام إلى أن مات فيها. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٩، ص٣٥٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٨٣.

(٤) حَرّان: مدينة عظيمة مشهورة قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، قيل: هي أول مدينة بنيت بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة الحرانين الذين يذكرهم مصنفو الملل والنحل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ٢٣٥.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، ج٢، ص١٤٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ←

وقد عهد إبراهيم وهو في السجن بأمر الدعوة وقيادها إلى أخيه أبي العباس السفاح فلما آلت قيادة الدعوة لأبي العباس السفاح خرج هو وآل بيته هاربين من الحميمة نحو الكوفة فأنزلهم أبو سلمة جميعاً دار الوليد بن سعد في بني أَوْدٍ حي من اليمن وأخفى أبو سَلَمة أمر أبي العباس ومن معه، ووكل بهم وكيلاً[1]، وذكرت بعض المصادر أنّه خبأهم أربعين ليلة [2].

وفي هذه الأثناء وبعد أن علم أبو سلمة الخلال بمقتل إبراهيم الإمام قام بمحاولة نقل الخلافة إلى العلويين إذ أرسل محمد بن عبد الرحمن إلى المدينة ومعه كتابين إلى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وإلى عبد الله بن المحض يدعوهم فيهما إلى المصير إليه لصرف الدعوة إليهم وذكرت بعض المصادر أنّه أرسل كتاباً ثالثاً بنفس المضمون إلى عمر الأشرف [3] بن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

وقد طلب من الرسول بالذهاب أولاً إلى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فإن أجابه أبطل الكتابين وإن لم يجب ذهب من بعد ذلك إلى عبد الله بن

→

ص١٢٨؛ عطوان، حسين، الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ط٢، (دار الجيل: بيروت، ١٩٩٥م)، ص٣٢٢ـ ٣٢٣.

(١) الجهشياري، أبو عبد الله محمد عبدوس (ت ٣٣١هـ)، كتاب الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وآخرون، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ١٩٣٨م)، ص٨٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٦ـ ٩٧؛ مؤلف مجهول (من أعلام القرن الحادي عشر)، نبذة من كتاب التاريخ، عنى بنشرها وترجمتها وتعليقها: بطرس غريا زنتيويج، (مطبعة موسكو: ١٩٦٠م)، ص ١١٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص١٣٩.

(٣) عمر الأشرف بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو أخو زيد الشهيد وأسن منه، ويكنى أبا علي. ينظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٣٠٥.

الحسن فإن أجابه أبطل الكتاب الثالث وإن لم يجب ذهب إلى عمر الأشرف.

يبدو من هذه المحاولة التي قام بها أبو سلمة الخلال أنّه كان ذا ميول علوية وأنّه كان من الموالين لهم وكان يرى أنّهم أحق بالخلافة من بني العباس فقد أشارت بعض المصادر إلى أنّه (كان أيضاً من كبار الشيعة)(١)، وأشارت مصادر أخرى أن أبا سلمة الخلال كان هواه مع جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ولكنه أخفى ذلك (٢).

فالكوفة علوية والخلال يميل لبني علي ثم إنّ المجال مفسوح أمامه ليحقق ما كان يميل إليه خاصة وأن المدعو له لم يكن معروفاً عند الجمهور (٣).

ولكن الحق خلاف ذلك فإنّ أبا سلمة لما رأى تعاظم شأن القادة الخراسانيين وعلى وجه الخصوص أبو مسلم الخراساني حاول أن يصرف أمر الدعوة إلى أحد أبناء علي للحفاظ على مكانته وطموحاته الشخصية في بقائه الزعيم الأوحد الذي يدان له بالفضل في انتصار الثورة والإطاحة بملك بني أمية.

أراد أبو سلمة ضرب عصفورين بحجر واحد للحفاظ على مكانته ومكاسبه التي حصل عليها والتي أصبحت معرضة إلى مصير مجهول لاسيما بعد مقتل إبراهيم الإمام وتولي أخيه أبي العباس أمر الدعوة من بعده وضمان الحصول على مكاسب أكبر فيما لو نقل الخلافة لأحد من العلويين (٤).

---

(١) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٣٣٤.

(٢) مؤلف مجهول (من أعلام القرن الثالث الهجري)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، (مكتبة المثنى: بغداد، د.ت)، ج٣، ص١٨١.

(٣) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، (د.ط: بيروت، ٢٠٠٦م)، ص٦٣.

(٤) العريس، محمد، موسوعة العصر العباسي تاريخ الإسلام، (دار اليوسف للطباعة: بيروت، ←

فلذلك لم تلقَ هذه الدعوة من قبل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام رداً إيجابياً إذ لم يكن خافياً عليه أن الدعوة من بدئها كانت دعوة عباسية محضة وأنّ الدعاة لم يكونوا من الموالين لآل علي عليه السلام وأنهم اتخذوا شعار الثوار العلويين (الرضا من آل محمد) وسيلة لتحقيق النزعات الذاتية في الحكم والإمارة.

فقد روى المسعودي [(١)] قدم محمد بن عبد الرحمن المدينة علي أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلًا، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سَلَمة، ودفع إليه كتابه، فقال له أبو عبد الله: وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعة لغيري، قال: إنّي رسول، فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت، فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرف صاحبك بما رأيت، ثم أنشأ يقول متمثلًا بقول الكميت بن زيد [(٢)] :

فيا مُوقِداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب [(٣)]

٢٠٠٦م)، ص٣٩؛ السماوي، زهراء محسن حسن محسن، آل الحسن ودورهم السياسي والعسكري حتى سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية التربية: جامعة القادسية، ٢٠٠٨م)، ص ٥٤. ٥٥.

(١) مروج الذهب، ج٤، ص٩٧.

(٢) الكميت بن زيد بن خنيس بن المجالد بن ربيعة بن قيس الاسدي، شاعر كبير عارف بآداب العرب ولغاتها وإخبارها وأنسابها خطيب بني أسد وفقيه الشيعة توفى سنة ١٢٦هـ. ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٨٨؛ الزركلي، الإعلام، ج٥، ص٢٣٣.

(٣) الكميت بن زيد، بن خنيس بن المجالد بن ربيعة بن قيس الاسدي (ت١٢٦هـ)، القصائد الهاشميات، اعتني بتصحيحها وضبطها: محمد شاكر الخياط النابلسي الأزهري، (المطبعة الموسوعات: مصر، ١٩٠٣م)، ص٢٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٧.

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج به، ثم ذهب عبد الله في صبيحة اليوم الثاني إلى دار جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يبشره بالأمر فلما دخل عليه فقال له: يا أبا محمد أمر ما أتى بك، قال: نعم وهو أجل من أن يوصف، فقال: وما هو يا أبا محمد؟ قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان، فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ وأنت أمرته بلبس السواد؟وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وَجَّهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام، إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهديٌّ هذه الأمة، فقال أبو عبد الله جعفر: والله ما هو مهدي هذه الأمة، ولئن شهر سيفه ليقتلن، فنازعه عبد الله القول، حتى قال له: والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد، فقال أبو عبد الله: والله ما هذا إلا نصح مني لك... فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضباً [١].

وقد ذكرت بعض المصادر وقصد الرسول الزعيم العلوي الثالث عمر بن زين العابدين عليهما السلام فرد الكتاب وقال: أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه[٢].

وعلى آيةٍ حال فلقد كان رفض الإمام عليه السلام لدعوة أبي سلمة يحمل جانباً كبيراً من الأصالة والعمق في مجريات الأحداث فإنّ دعوة أبي سلمة إن كان

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٧. ٩٨؛ القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل صلوات الله عليهم وسلم، تعريب: هاشم الميلاني، (مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ١٩٩٤م)، ج١، ص٤٩٩.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري، ص١٥٥.

جاداً فيها فهي ليس بداعي الإيمان بحق العلويين في الخلافة وإنما كانت ناشئة من دواعٍ أخرى من ضياع مصالحه وأغراضه الشخصية فلماذا لم يراسلهم قبل هذا الوقت الذي تم فيه الأمر لبني العباس مضافاً إلى أن الجيوش العباسية بقادتها لم تكن شيعة للعلويين وإنما هي شيعة لبني العباس فكيف يستجيب الإمام الصادق عليه السلام لدعوة أبي سلمة مع هذه التيارات المحفوفة بالأخطار [١].

وهكذا فشلت محاولة أبي سلمة في تغيير مسار الأحداث وبقيت على مسارها في تحقيق الانتصارات على الجيش الأموي وظلت الدعوة قائمة في بني العباس خصوصاً أن رسول أبي سلمة لم يرجع إليه بشيء إلى أن بويع لأبي العباس السفاح مما اضطر أبو سلمة للخضوع إلى سلطة الأمر الواقع ومبايعة أبي العباس السفاح بعد أن اكتشف القادة الخراسانيون الذين دخلوا الكوفة مكانه حفاظاً على نفسه من الهلاك وقد كانت هذه المحاولة هي السبب الرئيس في مقتل أبي سلمة بعد أن استتبت الأمور لأبي العباس السفاح فيما بعد هو وأخيه وجماعة من عمومته وأهل بيته.

إذ استطاع أبو حميد الطوسي بواسطة سابق الخوارزمي وهو أحد القادة الخراسانيين من معرفة مكان أبي العباس السفاح "... فمضيا حتى دخلا على أبي العباس ومن معه فقال: أيكم الإمام؟ فأشار داود بن علي إلى أبي العباس، وقال: هذا خليفتكم، فأكبَّ على أطرافه يقبلها، وسلم عليه بالخلافة، وأبو سلمة لا يعلم بذلك، وأتاه وجوه القواد فبايعوه، وعلم أبو سلمة بذلك فبايعه، ودخلوا إلى الكوفة في أحسن زي، وضربوا له مصافاً، وقُدِّمت الخيول، فركب أبو العباس

---

(١) القرشي، باقر، عصر الإمام الصادق عليه السلام، ج٧، ص٩٦.

ومن معه حتى أتوا قصر الإمارة، وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرَةَ ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة " [١].

وكان هذا بداية قيام الدولة العباسية وبداية حقبة جديدة من التاريخ الإسلامي وأول عمل قام به حينما بويع بالخلافة هو إرسال عمه عبد الله بن علي لمقاتلة مروان بن محمد فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع إلى الشام فتبعه عبد الله ففر مروان إلى مصر فتبعه صالح أخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير[٢] فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة (أي سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م) [٣].

ولما أتي أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رَهْطِك، والحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك، ثم قال: ما أبالي متى طرقني الموت، قد قتلتُ بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي إبراهيم [٤].

وهكذا أسدل الستار على سلطان بني أمية الذي تلعب بمقدرات المسلمين لمدة قرن من الزمان بعد أن امتلأت قلوب المسلمين عليهم بالكراهية والضغينة لما

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٩.

(٢) بوصير: قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر، إليها انهزم مروان بن محمد بن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فقتله عامر بن إسماعيل من أهل خراسان سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان قال حين وصل إلى بوصير: نحن ببوصير والى الله المصير. وكان صالح بن علي دخل في طلب مروان ومعه عامر بن إسماعيل المذحجي فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فهجموا على عسكره وضربوا الطبول وكبروا ونادوا: يا ثارات إبراهيم، فظن من في عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسودة فقتل مروان. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص١١٧.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٠١.

أنزلوا أنواع الظلم والجور وأذاقوهم أصناف العذاب وأشاعوا فيهم ضروب الفساد ولوثوا الرسالة المحمدية بكثير من البدع والانحرافات نتيجة لعدم إيمانهم بما جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من الحق من عند الله سبحانه وتعالى فكانوا بذلك أئمة يدعون إلى الفسق والفجور ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف حتى قصم الله ظهورهم وأكذب أحدوثتهم ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [1].

(١) سورة البقرة، آية: ٩٠.

المبحث الثاني: الثورات الحسنية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام

أولاً / ثورة محمد ذي النفس الزكية في الحجاز وأخيه إبراهيم في البصرة (١٤٥هـ / ٧٦٢م)

رفع العباسيون منذ بدء دعوتهم شعارات تمني الناس بالقضاء على الظلم والجور وإحياء العمل بكتاب الله وسنة نبيه وإفشاء العدل وحسن السيرة بين عموم المسلمين بالإضافة إلى دعوتهم للرضا من آل البيت ثم الثأر من أعدائهم من الأمويين الذين أذاقوهم أصناف العذاب والتنكيل حيث طال بطشهم وفشت أفعالهم لتشمل الجميع فجاءت دعوتهم لكي تطوي صفحة بني أمية السوداء وتفتح صفحة بيضاء يأمن فيها الناس ويهنئون بعيش رغيد ولكن سرعان ما تنكر العباسيون لهذه الشعارات حينما استتبت الأمور لسلطانهم فخلعوا رداء التدين والعدل ولبسوا لباس اللامبالاة بالدين والظلم والقسوة وأظهروا الفسق والفجور وحكموا الناس بالقوة والبطش شأنهم في ذلك شأن بني أمية إن لم يكونوا قد ازدادوا عليهم بطشاً وتنكيلاً.

وعلى أي حال فإنّ الحكم العباسي الجديد لم يختلف بروحه ومفهومه عن الحكم الأموي فسقوط الدولة الأموية وتسلم العباسيين لمقاليد الحكم لم يعدو كونه

انقلاباً عسكرياً نقل الحكم من بني أمية إلى بني العباس ونقل العاصمة من الشام إلى العراق وأدى ذلك إلى استبدال نفوذ بنفوذ فلم تختلف النظم الإدارية ولا المالية في كلا العصرين بل من المؤكد أن الحكم العباسي كان أقسى وأعنف بكثير من الحكم الأموي [١].

فلقد أصبح المسلمون أيام العباسيين إزاء حكمٍ استبدادي كأشد ما يكون الاستبداد حكمٍ لا يحسب فيه حساب للرعية، فهي أدوات مسخرة للحاكم، وليس لها من الأمر أي شيء، ففي يده كل الأمر وكان السلطان يولي الولاة والقضاة والوزراء والقواد وأصحاب الشرطة والمحتسبين الذين يراقبون الأسواق، ويعزلهم جميعاً حسب مشيئتهِ وهواه [٢].

فما أن بويع أبو العباس السفاح بالخلافة في الكوفة ثالث من ربيع الأول سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) صلى بالناس الجمعة وقال في خطبته: " الحمد الله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فشرفه، وكرمه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه، والقوام به والذابين عنه... إلى أن قال فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب وبنو مروان فجاروا واستأثروا فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه فانتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا ليمنَّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله"[٣].

---

(١) القرشي، باقر شريف، عصر الإمام الصادق عليه السلام، ج٧، ص٩٠.

(٢) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ط٤، (دار المعارف: القاهرة، ١٩٧٢م)، ص٢١.

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٤٧هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة: القاهرة، ١٩٦٣م)، ج١، ص٣٢٠.

وصعد داود بن علي[1] وقال في خطبته: " أيها الناس إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً ولا نحفر نهراً ولا نبني قصراً وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبنى عمنا "[2].

الملاحظ في هاتين الخطبتين أن العباسيين يؤكدون على أحقيتهم بالخلافة باعتبار أنهم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم جاءوا لنصرة المستضعفين واسترداد حقوقهم التي ابتزها منهم بنو أمية وأنهم سوف يحكمون وفقاً لكتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما خرجوا للثأر لأبناء عمهم من العلويين وأنّ حكومتهم هي امتداد لحكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ولكن الواقع كان خلاف ذلك فلم يكن أبو العباس السفاح صاحب رحمة وتحنن على المسلمين بل أوغل في سفك الدماء وتبعه ولاته على ذلك وفتك بكبار رجالات الدعوة كأبي سلمة الخلال الذي لقبه بوزير آل محمد ولم يكن صاحب عهد ووفاء إذ قتل تسعين أموياً بعد أن أمنهم وبسط موائد الطعام يسمع أنينهم[3]، وهذا أن دل على شيء وإنّما يدلُ على الغدر وقسوة القلب.

قالوا وكان السفاح سريعاً إلى سفك الدماء فاتبعه في ذلك عماله

---

(١) داود بن علي بن عبد الله عباس بن عبد المطلب، يكنى بابي سليمان، عم السفاح والمنصور، كان خطيباً فصيحاً، توفي سنة١٣٣هـ.ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص٢٣؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٣٦١؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٣٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٢٦. ٤٢٨.

(٣) ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٠.٢٥١ الازدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت٣٣٤هـ)، تاريخ الموصل، تحقيق: علي جيبه، (القاهرة: ١٩٦٧م)، ص١٤٤. ١٤٥؛ السماوي، زهراء محسن حسن محسن، آل الحسن ودورهم السياسي والعسكري، ص٦٩. ٧٠.

بالمشرق[١]، وقيل: إنما لقب بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين [٢].

ولقد تنكر أبو العباس السفاح وخلفهُ أبو جعفر الدوانيقي لبني عمومتهم من العلويين بعد أن كان أصل دعوتهم قائماً على أساس إرجاع الحق لهم ورفع الحيف عنهم إذ ساروا معهم على نفس الطريقة التي سار بها حكام بني أمية من القتل والتشريد بل إنّهم فاقوا الأمويين في ذلك، وأما العباسيون فقد طال بطشهم بمن خرج عليهم ومن لم يخرج، فنكلوا بهم أشد التنكيل وملؤوا بهم ظلمات السجون وقتلوهم بأبشع طرق القتل ولم ينجُ منهم إلا من تشرد في البلاد وعاش مستخفياً حتى مات، والسبب في ذلك أن العباسيين كانوا يعتقدون بأنّ العلويين أحق منهم بالخلافة لكونهم أبناء علي بن أبي طالب عليهما السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته من بعده، فهم بذلك يشكلون الخطر الأكبر على سلطانهم لذلك حاولوا أن يظهروا للناس بأنهم أحق بخلافة المسلمين لكونهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينفون عن العلويين ذلك لكونهن أبناء بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ذكر البراق [٣] ((إن أصل الدعوة كان لآل علي، لأن أهل خراسان كان هواهم في آل علي لا آل العباس، لذلك كان السفاح ومن جاء بعده مفتحة عيونهم لأهل خراسان حتى لا يتفشى فيهم التشيع لآل علي... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدمون لهم الجوائز، وكان الشعراء يعرضون بأبناء علي

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٩٨.

(٣) نقلاً عن: مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، ط٧، (دار جواد: بيروت، ١٩٩٢م)، ص١٣٩.

وينفون عنهم حق الخلافة، لأنهم ينتسبون إلى النبي عن طريق ابنته فاطمة، أما بنو العباس فإنهم أبناء عمومة)).

قاد العلويون الكفاح المسلح ضد بني العباس كما قادوه ضد بني أمية وتزعم بنو الحسن هذا الكفاح حينما امتنع محمد وأخوه إبراهيم من الاعتراف ببيعة أبي العباس السفاح وذلك، لأنّ محمد بن الحسن كان يرى نفسه أحق بالخلافة لمبايعة من قبل العباسيين والعلويين في مؤتمر الأبواء[(١)] ومنهم أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور " فلما ظهرت الدعوة لبني العباس وملكوا حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم لما في أعناقهم من البيعة لمحمد "[(٢)].

لذلك لم يفد هو وأخوه إبراهيم في ضمن الوفد الذي قدم على أبي العباس السفاح من بني الحسن بزعامة عبد الله بن الحسن للتهنئة بالخلافة، وبقي هو وأخوه مستخفيين بالمدينة يدعوان الناس سراً للبيعة ممهدين بذلك العزم على الثورة ضد طغاة بني العباس وكان أبو العباس على علم بذلك لذا حرص كل الحرص على معرفة مكانهما وعلى حضورهما لديه للمبايعة علناً.

فسأل السفاح عبد الله بن الحسن عنهما إذ قال: ما خلفهما ومنعهما أن يفدا إلى أمير المؤمنين مع أهل بيتهما؟ فأجابه عبد الله: ما كان تخلفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين[(٣)].

وكان كثيراً ما يسأل عنهما وعبد الله وأخوه الحسن يقدمان الأعذار عن

---

(١) ألابواء: وهي قرية تبعد عن المدينة ثلاثة وعشرين ميلا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٧٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٠٧.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٦٢.

تخلفهما ويهدآن من روع أبي العباس أن لا خطر منهما عليه. وفي إحدى الليالي قدم السفاح كتاباً إلى عبد الله بن الحسن وأمره بقرائته فقال عبد الله: فقرأت فإذا كتاب من محمد إلى هشام بن عمرو بن البسطام التغلبي [١] يدعوه إلى نفسه. فلما قرأته قلت: يا أمير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا [٢].

وروى اليعقوبي [٣] لما حانت لحظة الوداع، فذكر أبو العباس عبد الله أن ابنيه لم يبايعا بعد له بالخلافة، وأنّه أصبح يشك في أمرهما ويتوجس خيفة، فقال: عبد الله: يا أمير المؤمنين، ما عليك من ابني شيء تكره. فقال أبو العباس: وبك أثق وعلى الله أتوكل.

وهكذا بقيت العلاقة بين العلويين والعباسيين تسير في هدوء وسكينة طوال فترة حكم أبي العباس السفاح ولم يتعرض أحدهما للآخر بسوء مع كون كل منهما يتوجس من الآخر خيفة ورغم أن أبا العباس السفاح قد قمع كثيراً من الحركات المعارضة بالقوة والبطش إلا أنّه لم يتعرض للعلويين بشيء وسلك معهم مسلك الموادعة والمهادنة وأظهر لهم الود والعطف لكون الدولة العباسية كانت وليدة العهد وكانت تواجه كثيراً من الأخطار فلم يشأ أن يفتح جبهته المواجهة معهم

(١) هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي الوائلي: أمير، عرفه ابن حزم بصاحب السند، ولاه عليها المنصور العباسي سنة ١٥١ هـ، ولما بلغها وجه الغزاة إلى نواحي الهند، فافتتح كشمير، والملتان، والقندهار، وبنى في هذه مسجداً، وأخصبت البلاد في ولايته، واستمرت ست سنوات، وعاد إلى بغداد سنة ١٥٧ هـ معزولاً. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٠٦؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٨٧.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٦٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٢.

خوفاً من انقلاب الأمر عليه خصوصاً أن دعوهم كانت استثمرت تعاطف الناس مع العلويين لصالحهم فلذلك لم يستمع لقول أخيه أبي جعفر المنصور الذي كان يحثه على الإيقاع بمحمد " إن هؤلاء شنؤنا فآنستهم بالإحسان فإن استوحشوا فالشر يصلح ما عجز عنه الخير ولا تدع محمداً يمرح في أعنة العقوق فقال له السفاح من شدد نفر ومن لان تألف والتغافل من سجايا الكرام" [١].

ولكن فترة الموادعة بين الطرفين سرعان ما تبدلت إلى التنافر والتباغض بينهما حينما تولى أبو جعفر المنصور مقاليد الأمور بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م الذي سعى سعياً حثيثاً وشمر عن ساعد الجد للكشف عن مكان محمد وأخيه إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن.

وكان أبو جعفر الدوانيقي ظلوماً غشوماً شديد الاستبداد غير متورع في سفك الدماء. فتاكاً شديد الفتك وغادراً سادراً في غيه حيث لم ينجُ من بطشه أحدٌ من القواد ورجالات الدولة والفقهاء وعامة الشعب سواء من عارضه في حكمه أم من لم يعارض وكان بخيلاً شديد البخل محباً لجمع المال وخزنه في خزائنه وحرمان طبقات المجتمع منه وكان نهماً كثير الأكل همه مايدخل في بطنه من أصناف الطعام[٢].

فقد نعتته المصادر التاريخية بما نصه: ((وكان من أفراد الدهر حزماً ودهاءً وجبروتاً حريصاً على جمع المال وكان يلقب أبا الدوانيق لمحاسبته الكتاب والعمال على الدوانيق)) [٣].

---

(١) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ص١٩٥.

(٢) للمزيد ينظر: حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي، ط١٤، (مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٣٦.

(٣) الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: علي ←

وقد وصفه ابن هبيرة بقوله: ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور [(١)].

وقد صب جام غضبه على بني الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بعد أن ألقى القبض عليهم وكبلهم بالأغلال والقيود وأودعهم في طوامير السجون المظلمة وذلك لكونه كان يتخوف على ملكه وسلطانه من أن يثبوا عليه لإدراكه بأنهم أولى منه بخلافة المسلمين في نظر عامة الشعب، بعد أن أشاع محمد بن عبد الله ابن الحسن أن أبا جعفر المنصور قد بايعه بالخلافة في زمن مروان بن محمد.

قال ابن الأثير[(٢)] ((وذكر أن محمد بن عبد الله كان يزعم أن المنصور ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر مروان ابن محمد)).

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني [(٣)] عن عبد الله بن سعد الجهني قال: بايع أبو جعفر محمداً مرتين، أنا حاضر إحداهما بمكة في المسجد الحرام فلما خرج أمسك له بالركاب. ثم قال: أما إنه إن أفضى إليكما الأمر نسيت لي هذا الموقف.

وقد بدأ بالاستعلام عن شأنهما في أواخر خلافة أخيه أبي العباس السفاح سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م في موسم الحج وأثناء مروره بالمدينة حينما تخلفا عن الحضور عنده مع من حضر من بني هاشم فسأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله ما يهمك

محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١، ص٥٦٨.

(١) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٦٠.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٣٧.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص١٨٧. ١٨٨.

من أمرهما أنا آتيك بهما [١].

فلما جاءته الخلافة اهتم اهتماماً شديداً في العثور على محمد وألح في المسألة عليه وشرع في إرسال العيون والجواسيس يتحرون موضعه حتى أنّه عزل كل من زياد بن عبيد الله الحارثي ومحمد بن خالد بن عبد الله القسري واليا المدينة لفشلهما في القبض على محمد بن الحسن.

قال الطبري [٢] " لما استخلف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً كلهم يخليه فيسألهم عنه فيقولون يا أمير المؤمنين قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية وما أشبه هذه المقالة. إلا حسن بن زيد فإنه أخبره خبره وقال والله ما آمن وثوبه عليك فإنه للذي لا ينام عنك فر رأيك قال ابن أبي عبيدة فأيقظ من لا ينام".

وقد حدثت لقاءات متعددة بين عبد الله بن الحسن وأبي جعفر الدوانيقي في كل مرة منها يلح الدوانيقي على عبد الله في السؤال عن أمر ولده محمد وأخيه إبراهيم وعبد الله ينكر أن يكون له علم بهما حتى أنهما في إحدى اللقاءات اشتد الخصام بينهما وأغلظ أحدهما في القول للآخر وأسمع المنصور عبد الله كلاماً فاحشاً وهذا يدل على سوء خلقه وقلة أدبه وخبث سريرته وعدم إيمانه.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: " لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذئ " [٣].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٠.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥١٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٤٤.

(٣) ابن أبي عاصم، أبو بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني (ت٢٧٨هـ)، الآحاد والمثاني، ←

وكاد عبد الله أن يقتل لولا شفاعة زياد بن عبيد الله والي المدينة آنذاك إذ حج المنصور سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م ((فقسم أموالاً عظيمة في آل أبي طالب فلم يظهر محمد، وإبراهيم فسأل أباهما عبد الله عنهما فقال: لا علم لي بهما فتغالظا... فقال المسيب بن زهير: يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال: هبه لي يا أمير المؤمنين فأستخرج لك ابنيه، فتخلصه منه)) (١).

والتقى الدوانيقي مرة أخرى في هذه السنة بعبد الله بن الحسن ونتيجة لهذا ألقاء أمر بإيداعه السجن: إذ قال له المنصور. أين ابنك؟ قال. لا أدري قال لتأتيني به. قال. لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه قال. يا ربيع قم به إلى الحبس (٢).

فبقي عبد الله مسجوناً في المدينة في دار مروان(٣) حتى ولى رياح بن عثمان بن حيان(٤) سنة (١٤٤هـ / ٧٦١م) على المدينة بمشورة يزيد بن أسيد السلمي وكان رياح فظا غليظ القلب شديد القسوة على أهل المدينة فما أن قدم عليهم حتى خطب فيهم خطبة ذكرهم فيها بما فعله مسلم بن عقبة فيهم من القتل وانتهاك الأعراض وسلب الأموال حينما أباح المدينة ثلاثة أيام لجند الشام بعد

تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، (دار الدراية للطباعة: ١٩٩١م)، ج١، ص١٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥، ص١٠٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٩٦.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٤٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٩٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٩٣.

(٤) رياح بن عثمان بن حيان ابن عم مسلم بن عقبة المري، الذي نكل بأهل المدينة في واقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٢م حيث قتل ٣٠٦رجال من الأنصار والمهاجرين. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ١١٥؛ ابن الجوزي المنتظم، ج٨، ص٤٦.

القضاء على ثورة المدينة في عهد يزيد بن معاوية سنة (٦٣هـ / ٦٨٢م) [(١)].

وقد تتبع هذا أمر محمد واستعمل وسائل متعددة محاولاً القبض عليه حتى كاد في إحدى المرات الوصول إليه لما عرف موضع أقامته في جبل جهينة [(٢)] ولكن محاولته هذه باءت بالفشل بعد نجاح محمد ومن معه في الفرار منه [(٣)].

ولما عجز المنصور عن إلقاء القبض على محمد أمر رياحاً في أخذ بني الحسن وإيداعهم السجن مع عبد الله بن الحسن فحبس رياح منهم ثلاثة عشر رجلاً [(٤)] وحبس معهم أبا جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا علي[(٥)].

فلم يزل بنو الحسن محبوسين عند رياح حتى حج أبو جعفر سنة (١٤٤هـ / ٧٦١م) [(٦)] فأقام أبو جعفر في الربذة [(٧)] ولم يدخل المدينة وأمر رياح بإشخاص بني الحسن إليه وبإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو بني الحسن لأمهم[(٨)].

فلما حمل بنو الحسن إلى المنصور عزم محمد وإبراهيم على الخروج وإعلان

---

(١) للمزيد ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٢.

(٢) جهينة: من قبائل الحجاز العظيمة تمتد منازلها على الساحل من جنوبي ديربلي حتى ينبع. تنقسم إلى بطنين كبيرين: مالك، وموسى. ينظر: كحاله، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، (دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٦٨م)، ج١، ص٢١٤.

(٣) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٥٢٤ وما بعدها.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٠١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤٠.

(٦) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤٠وما بعدها.

(٧) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام منها وهي منازل الحاج وفيها قبر أبي ذر، وهي التي جعلها الخليفة عمر حمىً لإبل الصدقة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤١.

الثورة لتخليص بني الحسن وأهالي المدينة وعموم المسلمين في الأمصار الإسلامية من شر سياسة المنصور التي أذاقتهم مرارة العيش وأصابتهم بالويل والثبور ولكن أباهما لم يأذن لهما في ذلك.

فقد روى الطبري [١] " لما حمل بنو حسن، كان محمد وإبراهيم يأتيان معتمين كهيئة الأعراب، فيسايران أباهما ويسائلانه ويستأذنانه في الخروج؛ فيقول: لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك؛ ويقول: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين؛ فلا يمنعكما أن تموتا كريمين ".

ودخل بنو الحسن على أبي جعفر المنصور في الربذة فأساء معاملتهم وشدد النكير عليهم وأسمعهم كلاماً بذيئاً حتى أنّه أمر بجلد محمد بن عبد الله بن عثمان بالسياط وهو مجرد من ثيابه" فأخرج كأنه زنجي قد غيرت السياط لونه وأسالت دمه وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت " [٢].

فلما خرج أبو جعفر ومر بأبناء الحسن " فناداه عبد الله يا أبا جعفر؛ والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر! قال: فأخسأه أبو جعفر؛ وتفل عليه، ومضى ولم يعرج"[٣]. لقد تنكرت الأسرة العباسية لكل معروف أسداه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على جدهم العباس، فقابلوا أبناءه بهذا اللون من الظلم، والتنكيل وأشاح المنصور بوجهه القبيح عن عبد الله، وقد لذعه قوله وأمر بحمل العلويين إلى العراق[٤].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطلبيين، ص١٩٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤٢. ٥٤٣.

(٤) القرشي، باقر شريف، عصر الإمام الصادق عليه السلام، ج٧، ص١٣٠.

فحينما وصلوا إلى العراق واستقر بهم المقام عند المنصور أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبس بني حسن بالهاشمي [١].

قال الطبري [٢] " أتى بهم أبو جعفر، فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن، فقال أنت الديباج الأصفر؟ قال: نعم، قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت، ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حي".

ثم أمر بهم وسجنوا في قصر ابن هبيرة [٣] في شرقي الكوفة " وحبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل" [٤].

قام أبو جعفر المنصور بقتل محمد بن عبد الله بن عمر وأرسل رأسه إلى خراسان على أنّه رأس محمد بن عبد الله تثبيطاً لأهالي خراسان من العزم على مساندة محمد ذي النفس الزكية في إعلان ثورته بعد أن تقاعسوا عن نصرة واليه أبي عون[٥]، وقد مات منهم بالسجن إبراهيم بن الحسن ثم عبد الله بن الحسن[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤٦.

(٣) قصر ابن هبيرة: ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض ابن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان لما ولي العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بنى على فرات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمها حتى كتب إليه مروان بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى قصره المعروف به بالقرب من جسر سورا، فلما ملك السفاح نزله واستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه الهاشمية، وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنه، فرفضه وبنى حياله مدينة ونزلها.ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٥.

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٥١.

(٥) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٤٧وما بعدها.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥١.

وبما فعله المنصور بأبناء الحسن من التنكيل وقسوة المعاملة ومعاناتهم في فترة ولايته شتى ضروب المحن وأصناف العذاب يكون على ما ذكره المؤرخون " أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل شيئاً واحداً" [١].

ولقد علق المقريزي[٢] على ما لقيه العلويون من ويلات أبي جعفر بقوله: فأين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدى؟ وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من النبوة؟. وتالله ما هذا من الدين في شيء، بل هو من باب قول الله سبحانه: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } [٣].

وهكذا توفرت أسباب متعددة لإعلان محمد ذي النفس الزكية ثورته على طغيان أبي جعفر المنصور، منها:

أولاً: اعتقاد محمد بأنه أولى بالخلافة من أبي جعفر المنصور خصوصاً انه قد بايعه مع الكثير من بني هاشم بالخلافة كما نقلنا روايات دلت على ذلك.

وقد أكد محمد على أن العلويين أحق بالخلافة من العباسيين في جوابه على الرسالةِ التي بعثها إليه أبو جعفر المنصور بعد سيطرته على المدينة إذ ورد فيها: "فإنّ الحق حقنا؛ وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا؛ وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام؛ فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء!"[٤].

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٦١.

(٢) النزاع والتخاصم، ص٨٨. ٨٩.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٢. ٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٦٧.

وثانياً: الظلم الذي اصطبغت به سياسة أبي جعفر المنصور في عموم المسلمين وقد أكد أيضاً محمد النفس الزكية على ذلك " لقد كنّا نقمنا على بني أميّة ما نقمنا، فما بنو العبّاس إلّا أقلّ خوفاً للّه منهم، وإنّ الحجّة على بني العبّاس لأوجب منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر "(١).

وثالثاً: ما لحق بني الحسن من الاضطهاد والقمع على يد المنصور فقد روى الفخري (٢)" وما زال (أي محمد) متغرباً منذ أفضت الدولة لبني العباس خوفاً منهم على نفسه فلما علم ما جرى لوالده ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ".

رابعاً: شدة طلب رياح بن عمرو بن عثمان والي المدينة لمحمد بن عبد الله " لما انحدر أبو جعفر ببني حسن، رجع رياح إلى المدينة، فألح في الطلب، وأخرج محمداً حتى عزم على الظهور"(٣).

وخامساً: إلحاح بعض أنصار محمد عليه في إعلان الثورة والخروج فقد روى الطبري (٤) أن جماعة من أنصار النفس الزكية دخلوا عليه فقالوا له: ما ننتظر بالخروج! والله ما تجد في هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك ما يمنعك أن تخرج وحدك!

وهذه الأسباب تعتبر أسباباً موضوعية للتحرك وإعلان الثورة ولكن السبب الرئيس المباشر الذي نرجحه في قيام محمد بإعلان ثورته هو ما لحق بني الحسن من

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص٢٠١؛ الصفدي، الوافي بالوافيات، ج١٧، ص٢٠٠.

(٢) ابن الطقطقي، ص١٦٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٣.

التعذيب والقتل في سجون المنصور حيث لم يدعَ أبو جعفر بفعلته الشنيعة هذه مبرراً لمحمد وأخيه إبراهيم في بقائهما مستترين ومتخفيين عنه لذلك قال المنصور بعد أن علم بخروج محمد " أنا أبو جعفر؛ استخرجت الثعلب من جحره" (١).

فأعلن محمد ثورته في المدينة سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) (٢) في مائة وخمسين رجلاً (٣) فاقتحم على رياح دار مروان وألقى القبض عليه وأطلق سراح من كان في السجن ومنهم محمد بن خالد القسري والي المدينة السابق واستولى على بيت المال وأودع رياحاً وبعض حاشيته السجن مكانه (٤).

وفي اليوم الثاني أمر أن يكتب كتاباً يدعو الناس فيه إلى نصرته ومساندته ويعد هذا الكتاب بمنزلة البيان الرسمي للثورة الذي حدد أهدافها ورسم منهجها في العمل وقد ورد فيه: ((ونحن ندعوكم أيها الناس إلى الحكم بكتاب الله وإلى العمل بما فيه وإلى إنكار المنكر وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونستعينكم على ما أمر به في كتابه من المعاونة على البر والتقوى)) (٥).

فلما أقبل أهل المدينة لبيعته وتم له ذلك صعد المنبر قائلاً: " يا أهل المدينة إني والله ما خرجت فيكم للتعزز بكم ولغيركم أعز منكم وما أنتم بأهل قوة ولا شوكة ولكنكم أهلي وأنصار جدي فحبوتكم بنفسي والله ما من مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذت لي دعاتي فيه بيعة أهله، ولولا ما انتهك مني ووترت به ما

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٦٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٤٨وما بعدها.

(٥) المحلي، حميد بن أحمد محمد (ت٦٥٢هـ)، الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، ط٢، (مركز بدر للطباعة: ٢٠٠٢م)، ج١، ص٨.

خرجت!!! "[١].

لقد بين محمد في هذه الخطبة السبب الذي دعاه لاختيار المدينة لكي تكون مركزاً لانطلاق ثورته - مع ما عرفت به من قلة الأعوان والأنصار لآل علي - إلا وهو كونهم أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفاؤلاً منه بهم، كما وضح السبب المباشر الذي دفع به للخروج وهو انتهاك حرمته بانتهاك حرمة آل بيته من بني الحسن نتيجة اعتقالهم من قبل أبي جعفر المنصور وقتل من قتل منهم في ظلمات سجونه وهذا هو السبب الرئيس الذي رجحته سابقاً.

ولقد بايع محمد أغلب أولاد المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقطنون المدينة وتفرق إخوته في البلدان يدعون الناس إلى بيعته فقد ذكر أنّه كان معه "ولد علي وولد جعفر وعَقِيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير بن العوام وسائر قريش وأولاد الأنصار"[٢].

وقد توجه ابنه علي[٣] إلى مصر، وابنه عبد الله إلى خراسان وابنه الحسن إلى اليمن، وأخوه موسى إلى الجزيرة، وأخوه يحيى[٤] إلى الري ثم إلى طبرستان، وأخوه

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٩٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٤٥- ١٤٦.

(٣) علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن وهو أول علوي قدم إلى مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، صححه: رقن كست، (مطبعة الفاروق الحديثة: القاهرة، د.ت)، ص ١١١ وما بعدها.

(٤) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا الحسن وأمه قريبة بنت عبد الله وهو ذبيح بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وكان على الهدى، مقدماً في أهل بيته. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٣٨٨- ٣٨٩.

إدريس بن عبد الله [١] إلى المغرب [٢].

وكان قد بعث أخاه إبراهيم إلى البصرة على أن يخرجا في يوم واحد [٣] كما سنتحدث عن ثورته لاحقاً.

فلما بلغت أخبار ظهوره المنصور أعد جيشاً قوامه أربعة آلآلف بقيادة ولي عهده عيسى بن موسى ثم أردفه بجيش آخر قوامه خمسة آلآلف بقيادة حميد بن قحطبة الطائي وزودهم بالخيل والبغال والسلاح والمؤن ووجه بهم صوب محمد في المدينة [٤].

وتمركز أبو جعفر المنصور في الكوفة وضبط طرقها حتى لا يخرج منها أحد لنصرة محمد لما عرف عنهم من كونهم شيعة آل علي عليهم السلام عملاً باستشارة عمه عبد الله بن علي وهو في سجنه[٥]، فسار عيسى بن موسى[٦] بالجيش حتى وافى المدينة وكان محمد قد حفر خندقاً حول المدينة تأسياً بجده رسول

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٤٧.

(٤) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٧٧وما بعدها.

(٥) للتفصيل ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٣٤وما بعدها.

(٦) عيسى بن موسى: بن محمد العباسي أمير من الولاة القادة وهو ابن أخ السفاح كان يلقب بشيخ الدولة وكان من ذوي النجدة وأهل الرأي ولاه عمه الكوفة وسوادها سنة (١٣٢هـ) وجعله ولي عهد المنصور فلما أصبح المنصور خليفة استنزله عن ولاية عهده سنة (١٤٧هـ) وعزله عن الكوفة توفي سنة (١٦٧هـ). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص ٢٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٣٤. ٤٣٥؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص١١٠.

الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمايتها من الغزاة في غزوة الأحزاب سنة (٥هـ / ٦٢٣م) فبدأ هو فحفر بيده فأخرج لبنة من خندق النبي صلى الله عليه وسلم، فكبر وكبر الناس معه وقالوا: أبشر بالنصر هذا خندق جدك رسول الله [1].

واستطاعت قوات المنصور بقيادة حميد بن قحطبة من اجتياز الخندق واستمر القتال بين الطرفين في أزقة المدينة وأبلى محمد في القتال بلاءً حسناً حتى أنّه قتل بيده سبعين رجلاً وكان محمد متقلداً سيف ذا الفقار [2].

وكان شعاره (أحد أحد) وهو شعار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين [3] ولما مالت الكفة لجند المنصور على جند محمد رفض الاستجابة لطلب بعض أصحابه بالانسحاب من المعركة وأصر على القتال حيث قال: " لو خرجت من المدينة وفقدوني لقتلوا أهل المدينة كقتل أهل الحرة " [4].

وحاصرتهم القوات العباسية مع ثلة من أصحابه المخلصين من بني شجاع من كل جانب فضرب رجلٌ منهم محمداً بسيف دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبتيه واجتمع عليه كلية الجند العباسي فصاح حميد بن قحطبة فيهم أن يتوقفوا عن قتله وتقدم هو واحتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى وكان قتله عصر يوم

---

(١) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٥٦. ١٥٧.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٩٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٥٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٧م)، ج٣، ص٤٠٩.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٣٧.

الإثنين ١٤ رمضان سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) [(١)].

وبمقتل محمد ذي النفس الزكية فشلت ثورته في تحقيق أهدافها من القضاء على سلطان بني العباس وإقامة الخلافة العلوية بزعامته على الرغم من كونه كان يعد العدة للوصول إلى هذا الهدف منذ مبايعة أبي العباس السفاح سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م حتى استشهاده سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) في خلافة المنصور الدوانيقي.

الأسباب التي أدت إلى فشل الثورة

بحسب وجهة نظرنا نلخصها بما يأتي:

أولاً: انخداع محمد ذي النفس الزكية بأساليب المكر والدهاء التي اتبعها أبو جعفر المنصور لحثه على الخروج والتعجيل بإعلان الثورة قبل استكمال الاستعدادات العسكرية والتنظيمية لنجاحها إذ استطاع المنصور أن يوهم محمداً بأنّ البيعة قد استتمت له في بعض الأقاليم خصوصاً إقليم خراسان كما أنّه أوهمه بأنّ قواد جيشه سوف يلتحقون به عند لقاء جيشه بجيش محمد حيث روى المؤرخون.

وكان المنصور يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه وكان محمد يقول: **" لو التقينا مال إلي القواد كلهم "** [(٢)].

وقد نقل عن محمد انه قال قبل المعركة بأيام أن أهل خراسان على بيعتي وحميد بن قحطبة قد بايعني ولو قدر أن ينفلت انفلت [(٣)].

ثانياً: ارتكاب محمد ذي النفس الزكية خطأً عسكرياً في إدارته للمعركة إذ

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٣٨. ٢٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٤٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٣٧.

خطب بأصحابه عند زحف الجيش العباسي نحوه خطاباً أذن فيه لمن شاء منهم بالانصراف عن المعركة روى الطبري [١] عن عثمان بن محمد بن خالد قال: **"اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه إني لأحسب أنا قد كنا مائة ألف فلما قرب عيسى خطبنا فقال يا أيها الناس إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة وقد حللتكم من بيعتي فمن أحب المقام فليقم ومن أحب الانصراف فلينصرف فتسللوا حتى بقي في شرذمة ليس بالكثيرة".**

ومما لا شك فيه أن مثل هذا الكلام لا ينبغي أن يصدر من قائد عسكري محنك قبيل بدء القتال بساعات، لأنّ فيه تضعيفاً لعزائم المقاتلين عن القتال فقد كان ينبغي على محمدٍ أن يخطب فيهم خطاباً يحثهم فيه على القتال ويشد من أزرهم ويقوي من عزائمهم ويرغبهم فيه بالشهادة أو النصر على أعدائهم من العباسيين باعتبار أنهم طغاة مستبدون.

ثالثاً: تفرق أنصاره عنه وتخاذلهم في المعركة حتى لم يبق معه إلا جماعة قليلة فخاض بهم معركة غير متكافئة في قبال الجيش العباسي الذي كان يتجاوز عشرة الآلف مقاتل ويرجع سبب تفرق أنصاره عنه إلى عدة أمور منها إرسال عيسى بن موسى بكتب إلى كبار وجوه المدينة ورؤسائها الذين بايعوا محمداً ذا النفس الزكية يعطيهم فيها الأمان إذا تخلوا عنه فاستجاب لهذه الكتب كثيرٌ منهم والتحقوا بعيسى بن موسى.

فقد روى الطبري[٢] لما وصل عيسى إلى فيد[٣] كتب إلى الناس منهم عبد

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٧٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٥٧.

(٣) فيد: منزل بطريق مكة، وسميت بفيد بن حام وهو أول من نزلها. ينظر: ياقوت الحموي، ←

العزيز بن المطلب المخزومي وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحي فخرجوا إليه في جماعة آخرين والتحقوا بصفوفه.

حتى أن محمداً استطاع أمساك بعض من أرسلت إليه الكتب قبل التحاقهم بعيسى وألقى بهم في السجن.

ومنها ما رواه اليعقوبي [١] " كانت أسماء ابنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بالمدينة، وكانت معادية لمحمد بن عبد الله، فوجهت بخمار أسود قد جعلته على قصبة مع مولى لها حتى نصبه على مئذنة المسجد، ووجهت بمولى لها يقال له مجيب العامري إلى عسكر محمد، فصاح: الهزيمة الهزيمة! قد دخل المسودة المدينة. فلما رأى الناس العلم الأسود انهزموا، وأقام محمد يقاتل حتى قتل ".

رابعاً: عدم توافق خروج محمد في المدينة مع خروج أخيه إبراهيم على ما كان مخططٌ له في البصرة إذ له الأثر الرئيس في فشل ثورته وسهولة القضاء عليها فبعد أن تمكن محمد من السيطرة على المدينة وعلى مكة وبسط نفوذه عليهما فلو تمكن إبراهيم في الوقت نفسه من السيطرة على البصرة ثم بعدها على الكوفة لصعب الأمر على أبي جعفر المنصور في القضاء على تحركهما هذا، لأنّ القتال على جبهتين في آن واحد يحتاج جهد كبير ومال وفير وعدد غفير من الخيل والسلاح والرجال، وقد ذكرت الروايات أنّ سبب عدم التوافق الزمني بين خروجهما يعود إما لخروج محمد قبل الوقت الذي اتفق فيه على الخروج مع أخيه لشدة الطلب له وإما لتأخر إبراهيم عن الوقت المحدد لمرض أصابه.

→ معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٣.

وقد نقل الطبري[١] كلا الاحتماليين معاً بقوله: ((إنّ محمداً أحرج فخرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه إبراهيم فأنكر ذلك. وقال (أيضاً): ما زال محمد يطلب أشد الطلب حتى سقط ابنه فمات وحتى رهقه الطلب... ولكن إبراهيم تأخر عن وقته لجدري أصابه)).

والراجح أن محمداً قد تعجل بالخروج قبل الموعد المحدد بينهما وكتب إلى أخيه إبراهيم يأمره بالخروج فخرج إبراهيم على مضض لعدم استكمال الاستعدادات اللازمة لإنجاح الثورة.

روى الأصفهاني[٢] عن عفو الله بن سفيان وكان من أنصار إبراهيم قوله: " أتينا إبراهيم يوماً وهو مرعوب فأخبرني أن كتاب أخيه محمد جاءه يخبره أنّه قد ظهر ويأمره بالخروج (قال) فوجم من ذلك واغتم (له) فجعلت أسهل الأمر عليه وقلت: قد اجتمع (لك) أمرك، ومعك المضاء: والطهوي والمغيرة، وأنا وجماعة، نخرج بالليل فنقصد السجن فنفتحه، فتصبح حين تصبح، ومعك عالم من الناس، فطابت نفسه ".

هذه أهم الأسباب التي أدت إلى سهولة القضاء على ثورة محمد ذي النفس الزكية وكان إبراهيم قد استقر مستخفياً في البصرة يدعو له ويأخذ البيعة من أهلها، وكان مقدم إبراهيم إلى البصرة في أول سنة ١٤٣هـ / ٧٦٠م[٣].

ودعا إبراهيم الناس وهو في دار أبي فروة فبايعه ثلة من كبار رجالها فلما أحصى ديوانه أربعة آلاف، وشهر أمره تحول ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٥٢.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٢٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٢٣.

ثم استقر به المقام في بني راسب عند عبد الرحمن بن حرب فخرج من داره في جماعة من أصحابه [١].

ويعد تحرك إبراهيم في البصرة متمماً لثورة أخيه في المدينة وكان تحرك إبراهيم أكثر تنظيماً من تحرك أخيه فقد استطاع بتحركه هذا من تحقيق نتائج إيجابية أدت إلى تزعزع العرش العباسي وأوقعت المنصور في حيرة من أمره واضطرب حتى كاد هذا التحرك أن يطيح بالعرش العباسي لولا مشيئة الله سبحانه وتعالى.

فلما تم له السيطرة على البصرة بعد بدء إعلان ثورة في ليلة الإثنين سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م [٢]، واحتلاله لدار الإمارة واحتجاز والي البصرة قبل المنصور سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فيها واستيلائه على بيت المال الذي وجد فيه ألفي ألف درهم فتقوّى بها ووزع قسماً منها على أنصاره، تمكن من تحقيق انتصار عسكري في أول مواجهة له مع قوات المنصور في البصرة بقيادة جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي [٣].

روى الطبري [٤] وبلغ جعفراً ومحمداً ابني سليمان بن علي وكانا بالبصرة يومئذ مسير إبراهيم إلى دار الإمارة وحبسه سفيان فأقبلا فيما قيل في ستمائة من

---

(١) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٢٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٧٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٩٧.

(٢) الازدي، تاريخ الموصل، ص١٨٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٠.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٣٥؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص٤٢٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٠.

الرجالة والفرسان والناشبة يريدانه فوجه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزري[١] في ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلاً فهزمهم المضاء.

واستطاع إبراهيم أيضاً تحقيق انتصارات أخرى في بعض المدن المحيطة بالبصرة وأخضعها لنفوذه وهزم الجيش العباسي وطرد عماله منها روى اليعقوبي[٢] "ووجه إبراهيم بن عبد الله إلى الأهواز المغيرة بن الفزع السعدي، فأخرج محمد بن الحصين عاملها، وغلب على البلد، ووجه يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب إلى فارس، فدخلها، وأخرج عنها إسماعيل بن علي، ووجه هارون بن سعد العجلي إلى واسط واستولى على ما حولها، ووجه برد بن لبيد اليشكري إلى كسكر، فغلب عليها". فلما تمت له السيطرة على هذه المدن وغيرها من الكور بين البصرة والكوفة أتته كتب أهل الشام والجزيرة يلتمسون رسوله ليبايعوا له وفي الكوفة ذات الميول العلوية كان ابن ماعز الأسدي يبايع له فيها سراً[٣] وهذا مما زاد في خطورة الثورة وقوتها وأستطيع القول إنّ نجاح الثورة المبكر في فرض سيطرتها على البصرة والمناطق الأخرى لها أصبحت أشد خطراً على الحكم العباسي من ثورة ذي النفس الزكية[٤].

---

(١) المضاء بن القاسم التّغلبي : الفارس الخطيب، قتله المنصور بعد خروجه مع إبراهيم بن عبد اللَّه صبرا الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (دار الجبل: بيروت، ١٩٩٠م)، ص١٥٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٩٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٣٢؛ الصنعاني، يوسف بن يحيى بن المؤيد بالله (ت١١٢١هـ)، نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر، مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء، رقم المخطوط٣٢٣، ج٢، ورقة ٢٦.

(٤) العاني، سياسة المنصور، ص ٣٠٨.

وصلت أنباء مقتل أخيه محمد له أول يوم من شهر شوال سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م وهو يريد أن يصلي بالناس صلاة العيد فصلى بالناس ثم رقى المنبر وخطب وذكر قتله ونعاهُ إلى الناس وتمثل بهذه الأبيات:

أبا المنازل يا خير الفوارس من ... يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم ... وأوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم ... حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

ثم بكى فقال: اللهم إنك تعلم أن محمداً إنما خرج غضباً لك، ونفياً لهذه المسودة وإيثاراً لحقك فارحمه واغفر له، واجعل الآخرة خير مرد له، ومنقلب من الدنيا [١].

عزم بعد ذلك على التوجه إلى الكوفة للسيطرة عليها والقضاء على أبي جعفر المنصور الذي كان مقيماً فيها "وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزَّيْدية وجماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم، ومعه عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام"[٢].

ولما علم المنصور بأخبار الثورة ومسير إبراهيم إلى الكوفة كتب إلى عيسى ابن موسى يأمره بالقدوم عليه[٣] فلما وافاه عيسى جهز له المنصور جيشاً من خمسة عشر ألف مقاتل[٤] وجعل على مقدمته حميد بن قحطبة بثلاثة آلالف مقاتل[٥].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٩٤؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص١٨٨؛ الهاروني، الإفادة، ص٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٦١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٤٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٢.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٢.

وكتب إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي أن يصيرا معه [١] حتى التقى الجيشان في قرية يقال له باخمرا [٢] وعسكر كل منهما في قبال الآخر فيها [٣].

وقد وقع الصدام بين الجيشين وتقاتلوا قتالاً شديداً وأبدى إبراهيم وأتباعه شجاعة فائقة في القتال وكانت الغلبة في بداية المعركة لصالح إبراهيم حيث أوقع هزيمة نكراء بالجيش العباسي حتى وصلت بوادر المنهزمين إلى الكوفة وبلغ ذلك أبا جعفر المنصور فانخلع قلبه رعباً وفقد صوابه واضطرب اضطراباً شديداً وأيقن بزوال ملكه وجعل يقول للربيع مشككاً بما تنبأ به الإمام الصادق عليه السلام من طول فترة ملك بني العباس: "فكيف ولم ينلها أبناؤنا. فأين إمارة الصبيان؟"[٤].

وأمر بوضع الإبل والدواب على كل باب من أبواب الكوفة عازماً على الفرار منها إلى الري [٥]، ولكن سرعان ما تحول النصر إلى هزيمةٍ وانقلب الأمر على إبراهيم وأصحابه فقد قيل إنّ الجيش العباسي لما فر من المعركة "لقيهم نهر في طريقهم فلم يقدروا على الوثوب ولم يجدوا مخاضة فعادوا بأجمعهم" [٦].

هذا وقد كان جعفر ومحمد ابنا سليمان قد صمدا في القتال لإبراهيم وخرجا عليه من ورائهِ وهو وأصحابه لا يشعرون بهما "حتى نظر بعضهم إلى بعض وإذا

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤.

(٢) باخمرا: موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٩٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٧. ٦٤٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٤.

القتال من ورائهم فكروا نحوه "[(١)].

وفي هذه الأثناء استطاع حميد بن قحطبة من الهجوم مرة أخرى على إبراهيم وأصحابه "فكر الناس يتبعونه حتى لم يبق أحد ممن كان انهزم إلا كر راجعاً حتى خالطوا القوم فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى قتل الفريقان بعضهم بعضاً"[(٢)].

ولما كان القتال محتدماً بين الفريقين، فإذا بسهمٍ قد أصاب إبراهيم في إثناء المعركة إذ وقع السهم في حلقه وقيل أصابه في لبته فتنحى عن موقفه وقال أنزلوني فأنزلوه عن مركبه وهو يقول ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[(٣)] أردنا أمراً وأراد الله غيره[(٤)].

واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، فلما رأى حميد بن قحطبة اجتماعهم حوله ارتاب في ذلك فأمر أصحابه بالهجوم عليهم لمعرفة ما اجتمعوا عليه " فشدوا عليهم فقاتلوهم أشد القتال حتى أفرجوهم عن إبراهيم ووصلوا إليه وحزوا رأسه فأتوا به عيسى "[(٥)].

فبعث برأسه إلى أبي جعفر المنصور وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م[(٦)].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٥. ٦٤٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٦٤٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٦ـ ٦٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٤.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٧.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٧؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٠٠.

لقد ارتكب إبراهيم بن عبد الله عدة أخطاء في إدارته للصراع بينه وبين المنصور أدت إلى القضاء على ثورته وفشله في الإطاحة بالعرش العباسي وإقامة خلافة علوية يكون هو أمير المؤمنين فيها وأهم هذه الأخطاء نذكرها فيما يلي:

أولاً: كان لتباطئ مسير إبراهيم بجيشه إلى الكوفة الأثر الكبير في عدم استطاعته من تحقيق هدفه في القضاء على سلطة أبي جعفر المنصور فلقد استغرق وقتاً طويلاً نوعاً ما في تجهيز جيشه والاستعداد به للخروج من البصرة إذ استغرق ذلك منه طوال شهر شوال سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بعد أن وصلت له أنباء مقتل أخيه محمد في أول يوم من شهر شوال إذ انه «خرج من البصرة في أول ذي القعدة»[١].

مما أعطى الفرصة للمنصور والوقت اللازم له في مكاتبة قواته المنتشرة في الأمصار الإسلامية والطلب منها بسرعة القدوم عليه حتى تمت له الإمكانيات العسكرية اللازمة للتصدي له وبذلك فقد إبراهيم عنصر مباغتة عدوه المنصور في الكوفة قبل أن تتوفر لديه تلك الاستعدادات، علماً بأنّ المنصور لما وصلت له أخبار سيطرة إبراهيم على البصرة قد وقع في حيرة من أمره وضاق صدره بهذا التحرك ضيقا شديداً إذ لم يكن لديه في الكوفة من الجند إلا ألفاً مقاتل فقط.

فقد روى الطبري [٢] عن محمد بن معروف عن أبيه " أن جعفراً ومحمداً ابني سليمان لما شخصاً من البصرة أرسلاه إلى أبي جعفر ليخبره خبر إبراهيم قال: فأخبرته خبرهما فقال: والله ما أدري كيف أصنع! والله ما في عسكري إلا ألفاً رجل فرقت جندي فمع المهدي بالري ثلاثون ألفاً ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفاً والباقون مع عيسى بن موسى والله لئن سلمت من هذه لا يفارق

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٣٨. ٦٣٩.

عسكري ثلاثون ألفاً".

ثانياً: عدم استماعه لمشورة بعض قواده من أهل البصرة في البقاء فيها واتخاذها مركزاً لقيادة القتال بينه وبين المنصور بإرساله الكتائب العسكرية واحدة تلو الأخرى، لمواجهة القوات العباسية فإذا انهزمت له كتيبة أمدها بكتيبة أخرى مما يعطيه ميزة المناورة بقواته وإدامة زخم المعركة واستمرار القتال وتقوية عزيمة جنده وإيقاع الرعب في قلوب أعدائه حتى يتمكن من هزيمتهم رويداً رويداً ودخوله الكوفة وإخضاعها لسيطرته هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّه لو فشل في ذلك ودارت الدائرة عليه لأمكنه البقاء في البصرة والتحصن فيها حتى تصل إليه الإمدادات العسكرية من المدن الأخرى التي أخذت له البيعة فيها ولكنه فقد هذه الميزة بترجيحه لمشورة من كان معه من أهل الكوفة بالخروج إليها إذ إنّ في خروجه تحفيزاً لأنصاره بالوثوب فيها والالتحاق به ومعاضدته على عدوه.

قال الطبري[(١)] " فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبي جعفر دخل فيما ذكر بشر بن سلم عليه ونميلة الطهوي وجماعة من قواده من أهل البصرة فقالوا له: أصلحك الله! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط فأقم بمكانك ووجه الأجناد فإن هزم لك جند أمددهم بجند وإن هزم لك قائد أمددته بقائد فخيف مكانك واتقاك عدوك وجبيت الأموال وثبتت وطأتك ثم رأيك بعد فقال الكوفيون أصلحك الله إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك وإلا يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتونك فلم يزالوا به حتى شخص ".

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٢.

ولكن مشورة الكوفيين لم تكن في محلها ولم تؤتِ ثمارها بعد خروج إبراهيم واقترابه منها وذلك للإجراءات الأمنية المشددة التي قام بها أبو جعفر المنصور من إعلانه حظر التجوال ليلاً وإلقائه القبض على كل من خرق هذا الحظر وأمر بعض قادته بكبس بيوت الموالين لإبراهيم والذين يعتزمون بالشخوص إليه واغتيالهم ووضعه المسالح في الطرق المؤدية إلى البصرة لاعتقال كل من خرج بالإضافة إلى إجراءات أخرى ذكرها المؤرخون [١].

ثالثاً: رفضه حينما كان مقيماً في باخمرا، وقبل بدء القتال لما عزم عليه المضاء من الدخول إلى الكوفة واغتيال أبي جعفر المنصور الأمر الذي لو حصل بالفعل لأدى لانتقاض الحكم العباسي وتشتت جيوشهم وتفرق شملهم مما يسهل له القضاء على من يتبقى منهم.

فقد روى الطبري [٢] " قال المضاء: لما نزلنا باخمرى أتيت إبراهيم فقلت له إن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع وإنما معك رجال عراة من أهل البصرة فدعني أبيته فوالله لأشتتن جموعه فقال: إني أكره القتل فقلت تريد الملك وتكره القتل".

إنّ التحرج الديني، لدى إبراهيم يأبى له الفتك والبيات والقتل، إلا أنّ المنطق العسكري يقتضي ذلك، وما يدرينا أنّ إبراهيم يعلم ذلك كله، ولكنه صاحب دين، فترك الأولى عسكرياً وتمسك بالقيم والمبادئ [٣].

---

(١) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٠٦ومابعدها.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٤.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت، (مؤسسة البلاغ للطباعة: بيروت، ٢٠١٢م)، ص٢٦٠.

رابعاً: عدم أخذه بنصائح بعض كبار أصحابه الذين أشاروا عليه باتخاذ مجموعة من الأمور تنفع في التخطيط السليم لإدارة المعركة وتنظيم الجيش التي فيها ضمان ومساعدة في تحقيق النصر، نذكر أهمها، ((حينما بلغ كرخثا قال له عبد الواحد بن زياد بن لبيد إنّ هذه بلاد قومي وأنا أعلم بها فلا تقصد قصد عيسى بن موسى وهذه العساكر التي وجهت إليك ولكني أسلك بك إن تركتني طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة فأبى عليه. قال فإنا معشر ربيعة أصحاب بيات فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتاً قال إني أكره البيات)) [١].

ولا شك فإن هذين المقترحين من قبل عبد الواحد فيهما مكرٌ ودهاء لابد أن يتمتع بهما القائد الميداني حتى يفاجئ عدوه بما لم يكن بالحسبان (فإنّ الحرب خدعة) هذا أولاً.

وثانياً فقد ذكر عن سعيد بن هريم أن أباه أخبره قال: قلت لإبراهيم إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة فإن صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة ولي بعد بها أهيل فدعني أسر إليها مختفياً في السر ثم أجهر فإنهم إن سمعوا داعياً إليك أجابوا. فإن سمع أبو جعفر الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان [٢].

فرفض إبراهيم هذا المقترح بعد أن استشار بشير الرحال باعتبار أن هذه الخطة لو فشلت قتل أبو جعفر الصغير والكبير والمرأة والرجل والمذنب والبريء ويتحمل إبراهيم بذلك إثماً ولو وافق إبراهيم على هذا المقترح لوجه ضربة قاضية لأبي جعفر المنصور في مركز قيادته خصوصاً أن أتباعه بالكوفة كانوا ينتظرون

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٣.

داعياً له يقوم بهم فيثورون بوجه أبي جعفر ((قال الحجاج بن قتيبة: لقد دخلت على أمير المؤمنين المنصور في ذلك اليوم (أي اليوم الذي وصلت إليه أخبار إبراهيم) مسلماً وما أظنه يقدر على رد السلام لتتابع الفتوق والخروق عليه والعساكر المحيطة به ولمائة ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء عسكره ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون)) [١].

وثالثاً فقد ذكر إبراهيم بن سلم عن أخاه حدثه عن أبيه قال: لما التقينا صف لنا أصحابه فخرجت من صفهم فقلت لإبراهيم إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن لهم نظام فاجعلهم كراديس فإن انهزم كردوس ثبت كردوس فتنادوا (أي أصحابه) لا إلا قتال أهل الإسلام يريدون [٢] قوله تعالى: { يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا } [٣].

أن تنظيم الجيش على شكل كراديس أفضل من تنظيمه على شكل صف واحد من الناحية العسكرية باعتبار أن نظام الكراديس يعطي عمقاً لقطعات الجيش بحيث إنّ الكراديس المتأخرة تكون لديها الإمكانية بإسناد ودعم الكراديس المتقدمة في حال انهزامها في المعركة.

خامساً: ارتكب إبراهيم خطأً ستراتيجياً في أثناء المعركة ما كان ينبغي أن يصدر منه لو كان قائداً محنكاً فعندما وقع القتال بين الجيشين وولى الجيش العباسي

---

(١) ينظر بتفاوت بألفاظ: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤١؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص٤٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٤؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص ٤٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٩، ص٤١.

(٣) سورة الصف، آية:٤.

الأدبار منهزماً بقائد مقدمتهم حميد بن قحطبة حتى لم يبقَ منهم أحد بين مركز قيادتهم بزعامة عيسى بن موسى وبين جيش إبراهيم وإذا بإبراهيم يأمر بإيقاف مطاردة قواته لفلول المنهزمين من الجيش العباسي مما أعطاهم الفرصة لاسترداد أنفاسهم وتجميع صفوفهم والرجوع إلى قلب المعركة حتى وقعت الهزيمة بإبراهيم وأصحابه.

فقد أورد الطبري [1] ما نصه " لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم رايات إبراهيم في آثارهم فنادى منادى إبراهيم ألا لا تتبعوا مدبراً فكرّت الرايات راجعة ورآها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا فكروا في آثارهم فكانت الهزيمة ".

إنّ هذا الخطأ يعد خطأً فادحاً من قبل إبراهيم فإنّه لو لم يوقف زحف الجيش لأباد الجيش العباسي بقائده عيسى بن موسى عن بكرة أبيهم ولما قامت لهم قائمة بعد ذلك باعتبار أنّه لم يثبت من الجيش العباسي في مكانه سوى عيسى بن موسى " **وهو في مائة رجل من خاصته وحشمه** " [2].

ولأصبح بذلك الطريق لأبي جعفر في الكوفة سائغاً له ولجنوده وبارتكاب إبراهيم لهذا الخطأ لم يعمل بما أوصاه به أبو حنيفة في حال ظفره بالقوم إذ كان قد أرسل إليه كتاباً ورد فيه " **فإذا لقيت القوم وظفرت بهم فافعل كما فعل أبوك في أهل صفين، أقتل مدبرهم وأجهز على جريحهم ولا تفعل كما فعل أبوك في أهل الجمل فإن القوم لهم فئه** " [3].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٤٥.

(٣) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص١٠٩.

موقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورتي محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم

لقد اشتهر على ألسنة المؤرخين أن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام لم يكن له موقفٌ إيجابيٌّ إزاء ثورتي محمد وأخيه إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بل كان موقفهُ سلبياً منهما ولم ينقل عنه أنّه قد أيد تحركهما ضد بني العباس وقد صرح الإمام الصادق عليه السلام بموقفه السلبي هذا منذ بدء التحضير للإطاحة بملك بني أمية وانتخاب محمد ذي النفس الزكية قائداً لهذا التحرك في مؤتمر الأبواء وبناءً على ذلك فإنّ الإمام عليه السلام قد خرج من المدينة حينما أعلن محمد النفس الزكية انطلاق ثورته فيها سنة ١٤٥هـ /٧٦٢م ولم يرجع إليها حتى انتهت تلك الثورة بمقتل محمد.

فقد روي لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة غادرها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فأقام معتزلاً القوم حتى قتل محمد وعاد إلى المدينة [١].

وإنّ موقف الإمام عليه السلام هذا شبيه بموقف جده علي بن الحسين عليهما السلام حينما خرج من المدينة عند ثورة أهلها سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م ضد يزيد بن معاوية في حكم بني أمية.

ويرجع السبب في موقف الإمام عليه السلام هذا إلى إنكاره تلقب محمد بن عبد الله بلقب المهدي ودعوته إلى نفسه وطموحه بالخلافة والتسليم عليه من قبل أنصاره بإمرة المؤمنين قال ابن الطقطقي [٢] مشيراً إلى خروج محمد " وكان في

---

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٢٢٥.

(٢) الفخري، ص١٦٥. ١٦٦.

ابتداء الأمر قد شيع بين الناس أنّه المهدي الذي بشر به وأثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس وكان يروى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث مهدينا أو قائمنا اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي فإما الإمامية فيروون هذا الحديث خالياً من: واسم أبيه كاسم أبي فكان عبد الله المحض يقول للناس عن ابنه محمد: هذا هو المهدي الذي بشر به، هذا محمد بن عبد الله ".

وقد اقتفى أخوه إبراهيم أثره بعد مقتله في الدعوة إلى نفسه أيضاً حينما أعلن وثبته في البصرة بعد أن أخذ البيعة من أهلها لأخيه محمد باعتبار أنّه وصي أخيه في التخطيط والإعداد والترويج للإطاحة بملك بني العباس.

قال اليعقوبي [(١)] " وكان إبراهيم يدعو إلى أخيه محمد، فلما قتل محمد دعا إلى نفسه ".

لقد استغل محمد فكرة المهدوية لصالح ثورته وذلك لاستمالة الناس إلى تأييده ومناصرته في تحركه على نطاقٍ واسع إذ إنّه المهدي الموعود من بيت النبوة المبشر به من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي " يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً "[(٢)].

وقد رسخ أبوه عبد الله المحض وأصحابه هذه الفكرة بين عموم الناس

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤.

(٢) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، وعليه تعليقات: أحمد سعد علي، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ١٩٥٢ م)، ج٢، ص٤٢٢؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج٢، ص٥٥؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٢٥٤.

واتخذوها قاعدة ينطلقون منها في نشر دعوتهم ولكن الإمام الصادق عليه السلام لم يرتضِ هذا الأمر ورفض تلقب محمد بالمهدي رفضاً شديداً لما في ذلك من المجانبة للصواب باعتبار أن المهدي عليه السلام إنّما يخرج من صلب الإمام الحسين عليه السلام وليس من صلب الإمام الحسن عليه السلام ولما فيه من التضليل وخداع الناس لغرض الوصول إلى الهدف المرجو وهو خلافة المسلمين وقد صرح الإمام الصادق عليه السلام مرات عديدة على بطلان تلقب محمد بهذا اللقب وأنّه لم يحن زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام بعدُ فقد خاطب عبد الله المحض في مؤتمر الأبواء بقوله "فإن كنت ترى، أن ابنك هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه"[١].

وقال أيضاً حينما عزم عبد الله المحض على إجابة دعوة أبي سلمة الخلال بعد قوله للإمام الصادق عليه السلام ابني محمد هو مهديٌّ هذه الأمة، فأجابه الإمام عليه السلام: **والله ما هو مهدي هذه الأمة! ولئن شهر سيفه ليقتلن**[٢].

كما أن الإمام عليه السلام قد حذر في هذا المؤتمر وفي غيره من المواقف من طموح عبد الله بن الحسن وطموح ولده في الخلافة ونبههم على أن الأمر لا يصل إليهم وأنكر على محمد النفس الزكية بأن يكون يوماً خليفة وزعيماً للمسلمين.

فقد روى عن معلى بن خنيس[٣] قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٨٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٨.

(٣) المعلّى بن خُنَيْس: مولى الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام ومن قبله كان مولى بني أسد، كوفي بزاز قال سعد: وهو من غني، وابن أخيه عبد الحميد بن أبي الديلم، قال البرقي في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: عبد الحميد بن أبي الديلم الغنوي ابن أخي المعلّى بن خنيس إذاً فإنّ اسمه المعلّى بن خنيس، وكنيته أبو عبد الله. ولم نجد شيئاً عن اسم جده ←

إذ أقبل محمد بن عبد الله فسلم ثم ذهب فرق له أبو عبد الله عليه السلام ودمعت عيناه فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟ فقال: رققت له لأنه ينسب إلى أمر ليس له لم أجده في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الأمة ولا من ملوكها[١].

هذا وقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يستنكرون على حكام الجور والضلال التلقب بإمرة المؤمنين[٢] حتى أنهم لا يجيزون إطلاق هذا اللقب على أحد من أولاد أئمة أهل البيت عليهم السلام لكونه لقباً اختص إطلاقه على الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام دون غيره من سائر المسلمين.

جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب[٣] "ولم يجوز أصحابنا أن يطلق هذا اللفظ لغيره (أي لغير الإمام علي عليه السلام من الأئمة عليهم السلام)... وقال رجل للصادق عليه السلام يا أمير المؤمنين فقال مه فإنه لا يرضى بهذه التسمية أحد إلا

وآبائه، ويظهر أنّه من الموالي، وكان مولىً لبني أسد، ثُمَّ مولى للإمام الصادق عليه السلام، البرقي، أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله (ت٢٧٤هـ) كتاب الرجال، (جابخانه دانشكاه: طهران، د.ت)، ص٢٤. ٢٥؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص٤٠٨؛ التفرشي، نقد الرجال، ج٤، ص٣٩٥؛ الكرباسي، محمّد جعفر بن محمّد طاهر الخراساني (ت ١١٧٥هـ)، إكليل المنهج في تحقيق المطلب، تحقيق: جعفر الحسيني الإشكوري، (دار الحديث: قم، ١٩٦٢م)، ص٤٨٧؛ الساعدي، حسين، المُعَلّى بن خُنَيس شهادته ووثاقته ومُسنَده، (المطبعة دار الحديث: قم، ٢٠٠٤م)، ص١٧.

(١) الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٩٦.

(٢) الخطيبي، أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى البغدادي (ت ٣٥٠هـ)، مختصر تاريخ الخلفاء، دراسة وتحقيق: سعاد ضمد حمود السوداني، (مطبعة المجمع العلمي: ٢٠٠٦م)، ص٢٧٠.

(٣) ابن شهر آشوب، ج٢، ص٢٥٣. ٢٥٤.

ابتلى ببلاء أبي جهل".

إنّ المتتبع لموقف الإمام الصادق عليه السلام هذا يجد هناك فرقاً واضحاً بين موقفه من ثورة زيد وابنه يحيى عليهما السلام وبين ثورتي محمد وأخيه إبراهيم لأنّ زيداً وولده كانا لا يدعوان إلى أنفسهما وإنما رفعا شعار الدعوة (للرضا من آل محمد) الذي يقصد به الإمام الصادق عليه السلام - إمام عصره - كما صرح يحيى بذلك وصرح أئمة أهل البيت عليهم السلام بذلك أيضاً فهما بالإضافة إلى أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر معتقدان بإمامة الإمام الصادق عليه السلام وليسا من أهل الخلاف عليه بينما محمد وأخوه كانا يدعوان لأنفسهما وكانا يعتقدان أنهما إمامان أحق بخلافة المسلمين من غيرهم وطرح نفسيهما في قبال إمامة جعفر بن محمد عليهما السلام يدل على أنهما لم يكونا معتقدين بإمامته.

ولذلك امتنع الإمام الصادق عليه السلام امتناعاً شديداً عن بيعة محمد بن عبد الله ولم تنفع معه محاولة أبيه [1] ومحاولة بعض أتباعه في أخذ البيعة منه.

فقد روي أن قوماً ممن بايعوا محمد النفس الزكية قد توجهوا إلى الإمام الصادق عليه السلام يطلبون منه البيعة له وقد اختاروا عمرو بن عبيد متكلماً نيابة عنهم فقال لهم الإمام عليه السلام: بعد مناظرة جرت بينه وبين عمرو بن عبيد " اتق الله يا عمرو وأنتم أيها الرهط! فاتقوا الله، فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " من ضرب الناس بسيفه، ودعاهم إلى نفسه، وفي المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضال متكلف "[2].

(١) للتفصيل ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧، ص ٢٨٢.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٤٢٨.

ولقد علق الشيخ أبو زهرة [١] على هذه المناظرة بقوله هذه المناظرة تدل بعبارتها على أنّه (يعني الإمام الصادق عليه السلام) لم يمتنع عن نصرة محمد للامتناع عن الفتنة، بل إنّه يراه غير ذي كفء، أو على الأقل يوجد من هو أكفأ منه، وهي تؤيد ما قاله عندما طلبه عبد الله ليأخذ البيعة لابنه، فقد آثر (أي الإمام) أن يعطيها للأب، دون أن يعطيها للابن إذ يرى أن الأب أجدر بها، وأكثر قدرة على حمل أعبائها.

ورغم الضغط الذي مارسه محمد النفس الزكية على الإمام جعفر الصادق عليه السلام حتى ينزع منه البيعة له فإنّ الإمام أبى ذلك ولم يرضخ له فقد روى الكليني[٢] ((أن أُتي بأبي عبد الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى ابن زيد: أسلم تسلم: فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقال له محمد: لا ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك، ولا تكلفن حرباً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما في حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أبيك وحذرته الذي حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، يابن أخي عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ... فقال له محمد: ...لا والله لابد من أن تبايع، فلما امتنع الإمام عن ذلك قال: والله لتبايعني طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد في بيعتك، فأبى عليه إباء شديداً وأمر إلى الحبس)).

إنّ امتناع الإمام الصادق عليه السلام عن مبايعة محمد سببه أنّه لو بايع له

---

(١) محمد، أبو زهرة، الإمام الصادق حياته وعصره آراؤه وفقهه، ص٥٦.

(٢) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٢٣٨ـ ٢٣٩هـ)، أصول من الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٥، (المطبعة حيدري: طهران، ١٩٤٣م)، ج١، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

كان ذلك اعترافاً منه بإمامته وإمامة ولد الحسن بن علي عليه السلام من بعده مع أن الإمامة إنّما هي في عقب الإمام الحسين بن علي عليه السلام وليس لأبناء الحسن نصيب منها في علم الله تعالى.

قال المفضل: فقلت له: يابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [(١)] قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، قال: فقلت له: يابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعاً ولدا رسول الله وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة؟ فقال عليه السلام: إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين، فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لم فعل الله ذلك؟ فإن الإمامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد أن يقول: لم جعلها في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأنّ الله هو الحكيم في أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون [(٢)].

ويفهم مما تقدم أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن من المؤيدين والداعمين لثورتي محمد وإبراهيم لكونهما قد أظهرا الدعوة لنفسيهما وطلبا الخلافة وزعما الإمامة إلا أن أبا الفرج الأصفهاني روى بعض الأحاديث يفهم منها أن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام كان راضياً بما قام بهما محمد وإبراهيم في ثورتهما ضد أبي جعفر المنصور بالرغم من تحفظه على ما ادعياه من الدعوات فقد نقل عن علي بن عمر بن علي بن الحسين سمع من الإمام الصادق عليه السلام قوله: " رحم الله ابني هند إنهما إن كانا لصابرين كريمين، والله لقد مضيا ولم يصبهما دنس. قال: وقال

(١) سورة زخرف، آية: ص٢٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٢، ص٦٦.

غيره إنه قال: فما آسى على شيء إلا على تركي إياهما لم أخرج معهما "[١].

وروي أيضاً كان موسى، وعبد الله ابنا جعفر، عند محمد بن عبد الله، فأتاه جعفر فسلم، ثم قال: تحب أن يصطلم أهل بيتك؟ قال: ما أحب ذلك. قال: فإن رأيت أن تأذن لي فإنك تعرف علتي. قال: قد أذنت لك. ثم التفت محمد بعدما مضى جعفر، إلى موسى، وعبد الله ابني جعفر فقال: الحقا بأبيكما فقد أذنت لكما، فانصرفا. فالتفت جعفر فقال: ما لكما؟ قال: قد أذن لنا. فقال جعفر: ارجعا فما كنت بالذي أبخل بنفسي وبكما عنه، فرجعا فشهدا محمداً[٢].

وهذه الأحاديث لو صحت يلزم منها التناقض في موقف الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام من ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم وحاشا لعلمٍ مثل الإمام الصادق عليه السلام أن يتناقض في أقوله وأفعاله وهو الذي قد أطبق علماء المسلمين على تلقيبه بصادق أهل البيت بالإضافة إلى غيرها من الألقاب والأقوال التي تدل على ورعه وإيمانه وعلمه وتقواه لذا نحن لا يمكننا الجزم في صحة هذه الأحاديث التي انفرد بروايتها أبو الفرج الأصفهاني دون غيره من مؤرخي المسلمين ويبدو أن هذه الأحاديث قد نقلت عن مؤرخي الزيدية وقد ذكرها أبو الفرج انتصاراً لمذهبهم لإضفاء نوع من الشرعية على تحرك محمد وإبراهيم ((الأمر الذي يجعلنا نشك في أن أبا الفرج ورواة الزيدية كانوا حريصين على استمالة الشيعة لمواقفهم، وذلك بادعاء أنّ أئمة الشيعة كانوا ممن شاركوا في ثورات الحسنيين)) [٣].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٢٣.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٢٢٣.

(٣) جميل، جواد، أهل البيت عليهم السلام ومنطق الثورة قراءة في موقف الإمام الصادق عليه ←

وإن كانا نقبل بالحديث الأول وهو ترحم الإمام عليهما باعتبار أنهما قد ثارا ضد طغاة بني العباس وقد حاولا تصحيح المسار المنحرف بأمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر فلا يمكن القبول بالحديث الثاني والثالث فإنّ الحديث الثاني يتناقض تماماً مع ما أُثر على الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه الكشي[(١)] "عن أسلم مولى محمد ابن الحنفية، قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام جالسا مسنداً ظهري إلى زمزم، فمر علينا محمد بن عبد الله بن الحسن وهو يطوف بالبيت، فقال أبو جعفر: يا أسلم أتعرف هذا الشاب؟ قلت: نعم هذا محمد بن عبد الله بن الحسن. قال: أما إنّه سيظهر ويقتل في حال مضيعة ".

فكيف يتأسف الإمام عليه السلام على عدم نصرهما والخروج معهما إذ كان خروج محمد خروجاً غير شرعي لا يجني منه إلا سفك دمه ودماء أتباعه وأما الحديث الثالث فانّه قد تضمن شيئاً غريباً وهو طلب الإمام عليه السلام من محمد أن يأذن له ويعذره في عدم الخروج معه وهذا أمر لا يقبله منصفٌ لأنّ جعفر بن محمد عليهما السلام هو الإمام صدقاً والقائد حقاً وحجة الله على العباد في عصره فكيف يستأذن من رجلٍ ينبغي أن يكون واحداً من أتباعه ومن المقربين بإمامته والمهتدين بهدية فكان ينبغي على محمد أن يستأذن من الإمام في خروجه لا أن يستأذن الإمام منه بعدم الخروج معه نظير ما فعله زيد بن علي مع الإمام الصادق عليه السلام ونضيف إلى ذلك لِمَ يأمر الإمام عليه السلام ولديه في نصره محمد النفس الزكية دون غيرهما من آل بيته وأتباعه؟

السلام من ثورات عصره، مجلة المنهاج، السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرون، ٢٠٠٣م، ص١٢٦.

(١) الطوسي، ج٣، ص ٢٧٥.

ثانياً: ثورة الحسين بن الحسن (صاحب فخ) ١٦٩هـ / ٧٨٥م

تنفس العلويون الصعداء حينما ولي الخلافة محمد المهدي بعد هلاك أبيه أبي جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م فلقد خفف الضغط عليهم وأحسن إليهم ورفع عنهم الظلم والحيف الذي صابهم في عهد أبيه، فأطلق سراح المسجونين وأعاد لهم ما اغتصبهُ أبوه من أموالهم.

اتبع الخليفة محمد المهدي سياسة جديدة مع العلويين تكاد تختلف عن سياسته والده المنصور المتميزة بالقسوة والشدة حيث عمل على إرضائهم من خلال استرجاع أموالهم وأراضيهم التي صودرت من قبل أبيه المنصور كما أغدق عليهم الأموال إلا أنّه في نفس الوقت عمل على مراقبتهم ووضعهم أمام ناظريه وسمح لبعض زعمائهم الإقامة في بغداد ومن أراد منهم البقاء في المدينة فقد أمر ولاته بالإحسان إليهم وأيضاً مراقبة تحركاتهم وتصرفاتهم[(١)].

وقد كانت سياسة الرفق واللين التي اتبعها المهدي تجاه العلويين سياسة حكيمة قد آتت آكلها في التخفيف من استياء العلويين ضد جور بني العباس وأطفأت نائرة غضبهم على من قتل من رجالاتهم في عهد المنصور فلم يخرج خارجٌ منهم طوال فترة خلافته التي استمرت لأكثر من عشر سنوات ولم يتعرض لأحد منهم بالقتل والتشريد والاضطهاد في البلاد سوى علي بن العباس بن الحسن[(٢)] الذي قدم إلى بغداد ودعا إلى نفسه سراً واستجابت له جماعة من الزيدية

---

(١) نقلاً عن: السماوي، زهراء، آل الحسن، ص١٤٢.

(٢) علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا الحسن، وأمه عائشة بنت محمد بن عبد الله مات في المدينة. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٤٢.

فألقى المهدي القبض عليه وأودعه السجن حتى قدم الحسين بن علي [١] صاحب فخ [٢] فكلمه فيه واستوهبه منه فأطلق سراحه فلما أراد إخراجه من السجن دس إليه شربة سم فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام [٣].

و عيسى بن زيد [٤] الذي مات وهو متوارٍ عن الأنظار خوفاً على نفسه من القتل مع أن المهدي قد أعطاه الأمان إذ إنّ المنصور قد أوصاه بالبحث عنه والظفر به قائلاً له: " وأما عيسى بن زيد فأنفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالي واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ثم لا ألومك " [٥].

وسوى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام الذي استقدمه المهدي إلى بغداد ثم أمر باعتقاله وإيداعه السجن ونام المهدي تلك الليلة فرأى في منامه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو متأثر حزين فخاطبه يا محمد: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } [٦] قال الربيع: فأرسل لي ليلاً فراعني ذلك، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية - وكان أحسن الناس

---

(١) الحسين بن علي الحسني: هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن المثلث بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٦٤؛ الهاروني، الإفادة، ص٢٦.

(٢) فخ: من فجاج مكة، بينه وبين مكة ثلاثة أميال، وقيل ستة أميال، وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل بفخ قبل دخوله مكة. الحميري، الروض المعطار، ص٤٣٦.

(٣) للمزيد ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٤٢.

(٤) عيسى بن زيد: بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا يحيى ولد في الوقت الذي أشخص فيه أبوه زيد بن علي إلى هشام بن عبد الملك وشهد عيسى مع محمد بن عبد الله بن الحسن وأخيه إبراهيم حربهما. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٤٢. ٣٤٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٠٧.

(٦) سورة محمد، آية: ٢٢.

صوتاً - وقال علي بموسى بن جعفر. فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ علي كذا، فتؤمنني أن لا تخرج علي أو على أحد من ولدي؟ فقال: وآلله لا فعلت ذاك. ولا هو من شأني. قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله في المدينة(١).

وذكر ابن شهر آشوب (٢) أن المهدي استدعى حميد بن قحطبة في منتصف الليل وأمره بقتل الكاظم (عليه السلام) في السحر بغتة، فنام فرأى في منامه علياً عليه السلام يشير إليه ويقرأ (فهل عسيتم) فانتبه مذعوراً ونهى حميداً عما أمره.

وبشكل عام فإنّ خلافة المهدي العباسي كانت تعتبر أياماً زاهرة بالنسبة للعلويين إذ أعيدت لهم بعض حقوقهم المسلوبة فاحتفظوا بكرامتهم وتبوؤا المكانه اللائقة بهم في المجتمع الإسلامي، وكان المهدي يرفدهم بالصلاة ويقضي حوائجهم ويوصي الولاة بالإحسان إليهم، ولكن هذه الحقوق وهذه الكرامة قد عادت للزوال حينما تولى موسى الهادي الخلافة سنة ١٦٩هـ /٧٨٥م بعد هلاك أبيه إذ كان سيئ الخلق صعب المراس شديد القسوة على الرعية متغطرساً عنيداً.

قال المسعودي(٣) في وصفه " كان موسى قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المراس ".

وقال غيره كان جباراً وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٨٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٧، ص٢٥٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٧٢- ٢٧٣؛ ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ)، الأئمة الاثنا عشر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دار الصادر: بيروت، ١٩٥٨م)، ص٨٩- ٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٤٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤١٨.

(٣) مروج الذهب، ج٤، ص١٨٣.

والأعمدة والقسي الموترة فاتبعه عماله في ذلك وكثر السلاح في عصره [(١)].

وكان شديد البغض للعلويين فاتبع معهم سياسة مخالفة لسياسة أبيه قائمة على هضمهم حقوقهم وإدخال الرعب في قلوبهم والتنكيل بهم وإذلالهم من خلال المراقبة الشديدة لتحركاتهم والتضييق عليهم وإحضارهم مرغمين بين يدي ولاته.

لقد قاسى العلويون في الفترة القصيرة من هذا الحكم التعسفي جميع ألوان الاضطهاد والجور فلقد أمعنت السلطة في ظلمهم وإذلالهم وإرغامهم على ما يكرهون وهذا مما أدى إلى انطلاقهم في ميادين الجهاد وإعلانهم للثورة الكبرى الهادفة إلى إنقاذ الأمة من الجور والطغيان [(٢)].

إنّ الناظر في السياسة التي ينتهجها طغاة بني العباس في قبال العلويين ينكشف له بوضوح الحقيقة الآتية: وهي أن العلويين يجنحون للسلم والمهادنة والموادعة بينهم وبين أعدائهم العباسيين إذ انتهجوا مسلكاً سلمياً تجاههم على الرغم من اعتقادهم بأنهم أصحاب الحق الشرعي بخلافة المسلمين وأنّ العباسيين قد ابتزوا هذا الحق منهم ظلماً وعدوانا ويرفعون راية الجهاد ويمتشقون سيوفهم في سوح الوغى إذ سلك العباسيون تجاههم مسلكاً عدائياً محاولين بذلك رفع الظلم عنهم وعن غيرهم من العباد باذلين أنفسهم ومضحين بدمائهم لتغيير الواقع الفاسد الذي ألمَّ بالجماهير المسلمة.

ونتيجة للضغط الشديد وسوء المعاملة وسياسة الإرهاب التي مارسها الهادي على رجالات البيت العلوي انطلقت ثورة علوية جديدة سنة ١٦٩هـ /٧٨٥م

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٨٠.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى بن جعفر دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط٢، (دار معارف: ١٩٧٠م)، ج١، ص٤٨١.

انفجر بركانها في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عازمة القضاء على سلطة الجور المتمثلة بالهادي العباسي لإحياء معالم الدين الإسلامي في نشر أواصر الرحمة والخير في عموم بلاد المسلمين وإبعاد مظاهر القسوة والشر وقطع دابر الفساد وحفظ حقوق العباد من عبث ومجون الحاكم وكان زعيم هذه الثورة الثائر العظيم (الحسين بن علي الحسني) وكان السبب الرئيس على ما ذكره المؤرخون في انطلاق هذه الثورة هو سياسة الإذلال التي اتبعها الهادي وعامله في المدينة للحط من كرامة العلويين مما آثار غضبهم عليه وألجأهم إلى الالتفاف حول رجل منهم لرفع الذل والهوان الذي لحق بهم وبغيرهم من المسلمين منذ أن تربعَ الهادي على عرش الاستبداد في بغداد.

أثارت هذه المضايقات الأحرار والشجعان من رجال بني هاشم ودفعتهم إلى مواجهة الاضطهاد والقمع المستمر الذي يقوم به الحكم العباسي وراحت تنمو بذرة حركة مناهضة للحكم العباسي بقيادة واحد من أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يسمى الحسين صاحب فخ[(١)].

روى اليعقوبي[(٢)] "فلما اشتد خوفهم، وكثر من يطلبهم، ويحث عليهم، عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي، وكان له مذهب جميل وكمال ومجد، وقالوا له: أنت رجل أهل بيتك، وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه. فقال: إني وأهل بيتي لا نجد ناصرين

(١) البشوائي، مهدي، سيرة الأئمة عرض وتحليل للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية للأئمة المعصومين عليهم السلام قدم له: جعفر السبحاني، تعريب: حسين الواسطي، (مطبعة اعتماد: قم، ٢٠٠٢م)، ص٣٨٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٨٣.

فننتصر، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم ".

لقد أعدَ الحسين بن علي الحسني العدة سراً وتواعد مع النفر القليل الذين بايعوه في المدينة من آل بيته على التوجه إلى مكة لإظهار دعوتهم في موسم الحج وطلب النصرة من الحجيج الوافدين إلى مكة لإعلان الثورة التي كان الهدف منها هو القضاء على سلطان بني العباس وإقامة حكومة بزعامة البيت العلوي.

فقد ذكر الطبري [١] وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو بمكة في الموسم.

ولكن حدث أمرٌ لم يكن بالحسبان عجل في انطلاق الثورة قبل أوانها في المدينة إذ ألقى والي المدينة عمر بن عبد العزيز العمري القبض على " الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر... فأمر بهم فضربوا جميعاً ثم أمر بهم فجعل في أعناقهم حبالاً وطيف بهم في المدينة "[٢].

ولقد شكك أبو الفرج الأصفهاني[٣] بادعاء العمري في كونهم أخذوا على شرابٍ لهم بقوله: " فأشاع أنّه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطاً، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، وضرب مولى عمر سبعة أسواط، وأمر بأن يدار بهم في المدينة مكشفي الظهور ليفضحهم. فبعثت إليه الهاشمية صاحبة الراية السوداء في أيام محمد بن عبد الله فقالت له: لا ولا كرامة لا تشهر أحداً من بني هاشم وتشنع عليهم وأنت ظالم. فكف عن ذلك وخلى سبيلهم ".

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٦٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٢.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص٣٧٣.

أثارت هذه الحادثة حفيظة العلويين فأنكر الحسين بن علي الحسني على الوالي ما قام به من التشهير الذي لحق هؤلاء النفر الثلاثة فأمر بهم الوالي إلى الحبس ثم أطلق سراحهم بعد أن " كفل بعضهم من بعض فكان الحسين بن علي بن الحسن ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفيلين بالحسن بن محمد بن عبد الله ابن الحسن " (١).

ثم إنّ الوالي أساء للعلويين وأفرطَ في إذلالهم وأجبرهم بأن يعرضوا كل يوم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووكل بهم أبي بكر بن عيسى بن ألحائك ليتولى أمر العرض فغاب الحسن بن محمد عن العرض يوم الأربعاء والخميس والجمعة وعرضهم العمري عشية الجمعة فأخذ الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله فسألهما عن الحسن بن محمد (٢).

فجرت بينهما وبين ابن الحائك مشادة كلامية أخبر ابن الحائك على أثرهما العمري بغيبة محمد بن عبد الله فأمر العمري بإحضار الحسين ويحيى عنده فلما دخلا عليه قال لهما: أين الحسن بن محمد؟ قالا: والله ما ندري فكلمهما بكلام أغلظ لهما فيه فحلف يحيى بن عبد الله ألا ينام حتى يأتيه به أو يضرب عليه باب داره حتى يعلم أنه قد جاءه به (٣).

فلما خرجا قال له الحسين: سبحان الله! ما دعاك إلى هذا؟ ومن أين تجد حسناً! حلفت له بشيء لا تقدر عليه قال: ما حلفت على حسن قال سبحان الله! فعلى أي شيء حلفت قال: والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف(٤)

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٣.

(٢) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٦٥- ٢٦٦؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ←

قال فقال حسين: نكسر بهذا ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة قال: قد كان الذي كان فلابد منه [(١)].

وفي رواية أبي الفرج الأصفهاني [(٢)] وكيف أكسر عليك أمرك، وإنما بيني وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى مكة.

وذكر الرازي [(٣)] أن هذا التخاصم الذي وقع بين الحسنين والوالي العباسي نتيجة غياب الحسن بن محمد عن العرض لم يكن بسبب حادثة الأخذ على الشراب وإنما بسبب مشاجرة وقعت بين الحسن ورجل من آل عمر قال ((وقع بين الحسن بن محمد بن عبد الله وبين رجل من آل عمر كلام فوكزه فأصابته شجيجة، فاستعدى العمري على الحسن، فطلب فلم يوجد وقته)).

وبناء على ذلك اجتمع العلويون في دار لهم وتواعدوا مع بعض شيعتهم على الخروج في عشية ليلتهم عازمين اقتحام دار مروان على الوالي العمري وبالفعل قد قاموا باقتحام الدار عليه ولكنه لما علم بوثبتهم هذه ولى هارباً ثم اقتحموا المسجد وقت صلاة الصبح وهم ينادون أحد أحد وأجبروا المؤذن على أن يأذن بحي على خير على العمل ثم صلى الحسين بالناس صلاة الصبح وبايعه الطالبيون ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين إلا الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن وموسى بن جعفر عليهم السلام [(٤)].

الشريفة، ج١، ص٢٩٤.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٤٧٤.

(٣) نقلاً عن: العذاري، محمد رضا شنيتر، واقعة فخ سنة ١٦٩هـ أسبابها ونتائجها، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية التربية: جامعة المستنصرية، ٢٠٠٩م)، ص٨٦.

(٤) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٣؛ الهاروني، الإفادة، ص٢٧.

فخطب بعد الصلاة فقال بعد الحمد والثناء " أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله، وفي حرم رسول الله، أدعوكم إلى سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله - أيها الناس: أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود، وتتمسحون بذلك، وتضيعون بضعة منه!" [(١)].

فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه – وآله - وسلم للمرتضى من آل محمد [(٢)].

فثارت بهم شيعة بني العباس حتى دخلوا عليهم المسجد محاولين الإجهاز على ثورتهم فاستطاع الحسين وأصحابه أخراجهم من المسجد ثم في اليوم التالي حدث قتال عنيف بين الطرفين وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً؛ حتى تمت السيطرة للحسين وأصحابه على المدينة وإخراج شيعة بني العباس منها [(٣)].

بعد ذلك قام الحسين وأصحابه أياماً يتجهزون حتى توجهوا من المدينة نحو مكة فلما وصلت أخبارهم إلى الهادي في بغداد أمر الهادي بالكتاب بتولية محمد بن سليمان على الحرب [(٤)].

فالتقى الحسين وأنصاره بالجيش العباسي بفخ ونشب القتال بين الفريقين يوم التروية وقت صلاة الصبح فكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليهم فاستطرد لهم شيئاً حتى انحدروا في الوادي وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين فجعلت المسودة تصيح يا

---

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٧٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٦٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٦.

حسين لك الأمان ويقول: لا أمان أريد، ويحمل عليهم حتى قتل. قيل: إنّ حماد التركي[١] رماه وكان له يوم قتل إحدى وأربعون سنة وأخذ رأسه وحمل إلى موسى ودفن بدنه بفخ[٢].

لقد اختار الحسين وأصحابه طريق الكفاح والنضال المسلح وآثروا الموت تحت ظلال السيوف أحراراً كراماً على أن يبقوا أحياء في ظل حكومة الهادي العباسي وهم يرزحون تحت الذل والخنوع وحاول بثورته هذه تغيير الواقع الفاسد الذي أصلهُ بنو العباس وشرعوا في جعله ثقافة عامة تعم بلاد المسلمين من خلال ما كان يظهر من فسق وعبث ومجون من خلفائهم وولاتهم حاول الحسين بثورته هذه إحياء كتاب الله وإظهار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإرساء قواعد العدل الاجتماعي في ربوع الأرض والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الرعية تلك الأمور التي كادت تنطمس معالمها وتمحى آثارها نتيجة لانحراف العباسيين عن خط الرسالة المحمدية.

ولم يكن الحسين في خروجه طالباً للخلافة والسلطة فهو لم يدعُ إلى نفسه كي يكون أمير المؤمنين لو نجحت ثورته وإنما كان يدعو إلى إمام زمانه جعفر بن محمد عليهما السلام رافعاً بذلك الشعار الذي رفعه زيد بن علي عليه السلام وابنه يحيى وهو الدعوة إلى الرضا من آل محمد وبذلك اختلفت ثورته عن ثورتي محمد وإبراهيم ابني عبد الله اللذين كانا يدعوان لنفسيهما ويحاولان أقامة خلافة علوية

(١) حماد التركي: وهو أحد الرجال الذين شاركوا في المعركة ويرجع نسبه إلى الأتراك.ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٨١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٧؛ الهاروني، الإفادة، ٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٦٤.

بزعامتهما وهذا يدل على أن ثورة الحسين صاحب فخ ثورة رسالية تسير في خط إمامة أهل البيت عليهم السلام محاولة أعادة خلافة المسلمين إلى مسارها الصحيح المتمثل بالإمام علي عليه السلام وأولاده المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام.

فقد روي أنّه كان يقول لمن بايعه (أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم) [١].

ودل هذا الخطاب على ما ينشده في ثورته الإصلاحية من تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الحياة وتطبيق أحكام القرآن وإقامة العدل الإسلامي [٢].

برزت عدة عوامل أدت إلى إخفاق ثورة الحسين بن علي صاحب فخ وحالت دون تحقيق أهدافها

أولاً: إنّ هذه الثورة انطلقت قبل أوانها وقبل استكمال الاستعدادات العسكرية اللازمة لإنجاحها فلقد اقتصر انطلاقها على مكان ضيق وهو المدينة المنورة بعدد محدود جداً إذ اجتمع مع الحسين ستة وعشرون رجلاً من ولد علي، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي [٣].

ثانياً: لم تحظَ هذه الثورة بتأييد واسع من أهالي المدينة حيث إنّهم وقفوا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٧٨؛ الهاروني، الإفادة، ص٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٦٩.

(٢) القرشي، حياة الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، ج١، ص٤٩١.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٧٥؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٦، ص٩٩.

موقفاً سلبياً منها ولم يساندوا الثوار في تحركهم هذا ضد الطغيان العباسي إلا أعداد قليلة منهم حتى أن الحسين قد تبرم من أهالي المدينة لسوء موقفهم وتبرم أهل المدينة منه أيضاً.

فقد روى الطبري [١] " أن حسيناً لما انتهى إلى السوق متوجهاً إلى مكة التفت إلى أهل المدينة وقال لا خلف الله عليكم بخير فقال الناس وأهل السوق لا بل أنت لا خلف الله عليك بخير ولا ردك ".

ثالثاً: تفوق الجيش العباسي من حيث العدة والعدد على جيش صاحب فخ حيث استطاع العباسيون تحشيد أربعة الآلف مقاتل [٢] للقضاء على ثورته في حين أن الحسين وأصحابه لم يكن يتجاوز عددهم ثلاثمائة مقاتل [٣] مما سهل على الجيش العباسي الانتصار في المعركة.

موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من ثورة الحسين بن علي صاحب فخ

لقد حظيت ثورة الحسين بن علي الحسني بأهمية خاصة من لدن آل البيت عليهم السلام وذلك لجلالة قدر قادتها وشدة إيمان أنصارها وحسن عقيدتهم بالتمسك بولاية آل البيت عليهم السلام ونبل أهدافها في المضي على طريق الرسالة المحمدية دون زيغٍ أو انحراف فقد مضى الحسين وممن قتل معه من آل بيته وأنصاره شهداء صابرين قد بذلوا مهجهم وسفكوا دماءهم بإخلاص شديد لإبقاء

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٨٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٧٧.

كلمة الحق هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى والذي يدل على كون هذه الثورة ثورة نقية خالصة من الشوائب والأدران بشخوصها وأهدافها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم من الأحاديث المعتبرة التي تشيد وتمجد بالثورة وقائدها وأنصارها.

فقد روي عن زيد بن علي عليه السلام أنّه قال: " انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنازة ثم قال: **يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة**" (١).

وقد روي أن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام **((لما مر بفخ عند مسيره من المدينة إلى مكة لأداء مناسك الحج نزل فيها فتوضأ وصلى ثم ركب فقال له النضر: جعلت فداك، رأيتك قد صنعت شيئاً أفهو من مناسك الحج؟ قال: لا، ولكن يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة))** (٢).

وقد حظيت أيضاً ثورة صاحب فخ بتأييد إمام زمانه وحجة الله على خلقه في عصره وهو الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام فإنّ الحسين بن علي لما عزم على الخروج طلب البيعة من الإمام الكاظم عليه السلام ومساندته في ثورته فصدر من الإمام عليه السلام كلامٌ يفهم منه أنّه كان موافقاً على إعلان تلك الثورة مع علمه باستشهاد قائدها ومعظم رجالاتها وعدم تحقيق أهدافها وذلك لكونها كانت انتفاضة علوية استنصاراً للعزة والكرامة وإباء الضيم التي حاول الخليفة العباسي استلابها من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٦٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٦٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٧٠.

حينما سلط عليهم من يذيقهم الذل والهوان.

فقد روي لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة، فأتاه فقال له: يابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودعه، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام حين ودعه: يابن عم إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويسترون شركاً وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة [١].

إنّ موقف الحسين بن علي من عدم مبايعة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام له، يعدُ موقفاً مثالياً، فقد تكلم مع الإمام عليه السلام بكل أدب واحترام حفاظاً لهيبته وإجلالاً لقدره وتعظيماً لشأنه، فإنّ الإمام عليه السلام بمجرد أن ذكره بما دار بين محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية وبين الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لم يصدر منه ردٌ خشنٌ ولا معاملةً سيئة للإمام عليه السلام ولم يحاول إجباره على مبايعته، بخلاف ما صدر من محمد النفس الزكية الذي تكلم مع الإمام الصادق عليه السلام بغلظةٍ، وعامله بقسوة وحاول أخذ البيعة منه بإكراهٍ حتى أنّه زج به في السجن.

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٣٦٦؛ البحراني، هاشم بن سليمان (ت ١١٠٧هـ)، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: فارس حسون كريم، (المطبعة دانش: إيران، ١٩٩٤م)، ج٦، ص٢٩٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٦١؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٧، ص٤٥.

وقد روي عن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله أنهما قالا: " ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر، فأمرنا بالخروج "[١].

لقد أدخل مصرع الحسين وأصحابه الحزن على قلوب آل محمد فبكوا لمصرعه بكاءً شديداً إذ ذكرهم مأساته بمأساة الحسين عليه السلام في كربلاء وذلك لكثرة من قتل من العلويين في واقعة فخ وكثرة من قتل في واقعة الطف ولكون رؤوسهم قد قطعت بعد المعركة وحملت إلى الخليفة العباسي في بغداد وتركت أجسادهم الطاهرة في العراء من قبل بني العباس من دون دفن لمدة ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير[٢] كما قطع رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس آل بيته وأصحابه وحملت إلى يزيد بن معاوية في الشام وترك جسده الطاهر وجثث أنصاره الزواكي من قبل زمرة آل أبي سفيان من غير دفنٍ لمدة ثلاثة أيام في عرصة كربلاء.

فقد روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنّه قال: " مر النبي صلى الله عليه وآله بفخ فنزل فصلى ركعة، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي صلى الله عليه وآله يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله قال: نزل عليَّ جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين "[٣].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٨٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص١٨٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٣٩٧؛ الهاروني، الإفادة، ص٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٧٠.

ولما جاء الجند بالرؤوس إلى موسى، والعباس، وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين، فلم يتكلم أحد منهم بشيء إلا موسى بن جعفر فقال له: هذا رأس الحسين. قال: **نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله** [١].

وقد روي عن الإمام محمد الجواد عليه السلام أنّه شبه الحسين وأصحابه عليه السلام بفخ ومصيبته بمصرع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء إذ قال عليه السلام: " **لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ** " [٢].

ثالثاً: ثورة محمد بن إبراهيم الحسني المعروف بابن طباطبا

سرعان ما هلك موسى الهادي سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م بعد قضائه على حركة الحسين بن علي صاحب فخ، إذ إنّه استشاط غيظاً وامتلأ حقداً على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وأخذ يتوعده بالقتل باعتبار أن الحسين صاحب فخ قد خرج بإذنه وكان من المعتقدين بإمامته.

فقد روي عنه أنّه قال: " **والله ما خرج حسين إلا عن أمره ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه**" [٣].

فكتب علي بن يقطين [٤] إلى الإمام عليه السلام بما عزم عليه الهادي من

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٣٨٠.

(٢) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص١٨٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٦٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص١٥١.

(٤) علي بن يقطين بن موسى البغدادي سكن بغداد، وهو كوفي الأصل روى عن أبي عبد الله عليه السلام حديثاً واحداً، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام أكثر، وكان ثقة، جليل القدر، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن موسى عليه السلام، عظيم المكان في الطائفة توفي ببغداد ←

قتله فأشاروا عليه أهل بيته بالاختفاء ليسلم من شر هذا الطاغية فتبسم الإمام عليه السلام مستهزئاً بوعيد الهادي العباسي وتمثل بقول الشاعر:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب[1]

ثم أخبر آل بيته قائلاً ليخرج روعكم فإنّه لا يأتي أول كتاب من العراق إلا بموت موسى الهادي فما كان إلا أن وافاهم أول كتاب من بغداد إلى المدينة يحمل أنباء هلاك موسى الهادي وقد عزي سبب موته إلى خروج قرحة في جوفه فهلك منها وقد ذكر أن أمه الخيزران أوعزت إلى جواريه بخنقه فعمدت الجواري إلى قتله وهو نائم[2].

وهكذا انطوت صفحة هذا الطاغية الذي أذاق العلويين الأمرين وكانت خلافته مع قصر مدتها حيث إنّه لم يدم سوى سنة وبضعة أشهر[3] شديدة الوطأة عليهم فلم يراعِ فيهم حرمة الإسلام ولا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حرمة قرابته منهم.

وقد بويع من بعده لأخيه هارون العباسي الذي امتازت سياسته بنهب ثروات المسلمين وإنفاقها على العابثين والماجنين وكانت لياليه حافلة باللهو

ببغداد سنة ١٨٢هـ. الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، ط٢، (المطبعة باقري: إيران، ٢٠٠١م)، ص١٥٤ـ ١٥٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٤٥٥.

(١) الأنصاري، كعب بن مالك بن عمرو بن قين بن الخزرج (ت ٥٠هـ)، ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: مجيد اطراد، (دار صادر: بيروت، ١٩٩٧م)، ص٢٨؛ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله مسلم بن (ت٢٧٦هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٨ م)، ج٢، ص١٤٠؛ الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٧٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص١٩١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٩١، ص٣٣٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٠٥. ٢٠٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢١٣.

والفجور وشرب الخمر وقد عرف عنه ولعه الشديد بالجواري والمطربين [١].

وقد انتهج الرشيد مع العلويين نفس السياسة التي انتهجها سلفهُ الهادي فقد عاملهم بقسوةٍ وجفاءٍ شديدين وصب عليهم أصناف العذاب وتتبعهم وطاردهم في كل مكان تواروا فيه هرباً منه وعمل بأقصى ما يملك على استئصالهم وقتلهم.

فقد روي عنه أنّه قال: «واللّه لأقتلنّهم (أي العلويين) ولأقتلنّ شيعتهم»[٢].

وقد شرع هذا الطاغية باعتقال الكثير من العلويين وتعذيبهم في ظلمات السجون حتى الموت، واتبع معهم سياسة الغدر والاغتيال، لأنه كان موقناً بأنّ الملك لا يستقيم له ولا يدوم مادام أصحاب الحق الشرعي بالخلافة، يتنقلون بحرية في بلاد المسلمين، ويتصلون بالقواعد الشعبية الموالية لهم، فاعتقل الكثير منهم على الظنة والتهمة، وقتلهم بدون رحمة وأغرى الولاة بالتضييق عليهم ومطاردتهم لمجرد ما تحدثه به نفسه الخبيثة في عزمهم للخروج عليه.

ومن أبرز الشخصيات العلوية التي تعرضت للقتل والتنكيل والغدر والاغتيال من قبل هارون هم إدريس بن عبد الله[٣] ويحيى بن عبد الله الحسني[٤] والإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام [٥].

---

(١) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٦٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٥٠.

(٣) للمزيد ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٧-٤٠٨؛ السماوي، زهراء، آل الحسن، ص١٦٩؛ طه، جمال أحمد، مدينة فأس في عصري المرابطين والموحدين ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م إلى ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، دراسة سياسية وحضارية، (دار الوفاء: الإسكندرية، ٢٠٠١م)، ص٤٥ وما بعدها.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٩٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦.

(٥) للمزيد ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٤٥٦؛ التميمي، علي نصيف جاسم، الإمام ←

فأما إدريس بن عبد الله فقد استطاع النجاة من وقعت فخ ومعه مولى له يقال راشد فساعده مولاه راشد على الهرب إلى مصر ثم خرج منها إلى المغرب بمساعدة واضح مولى بني العباس، حتى انتهى به المقام إلى بلاد فاس وطنجة(١) فأقام بالمدينة يقال وليلى (٢) فشرع في نشر دعوته وبيان أهدافه حتى استجاب له قوم من البربر وبايعه وشكل بذلك النواة الأولى لدولة الأدارسة في المغرب العربي.

إنّ دعوة إدريس العلوي في المغرب كانت تركز على فكرة عدم شرعية سلطان الخلافة العباسية والأموية وأنّ صاحب الحق الشرعي هم أهل البيت أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ابنته فاطمة عليها السلام وأنهم هم الذين ثاروا بوجه الظلم وقتلوا في سبيل إقرار الحق وبهذا اكتسبت دعوة إدريس عطف البربر الذين كانوا بطبيعتهم موقرين لرجال الدين ومعظمين للأولياء الصالحين(٣).

وعلى الرغم من أن إدريس لم يشكل خطراً على الخلافة العباسية إذ إنّه

موسى بن جعفر عليه السلام ودوره السياسي والفكري، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية التربية: جامعة المستنصرية، ٢٠١٠م)، ص١٢٤وما بعدها.

(١) طنجة: هي كور عظيمة، تحيط بمدن وقرى وبواد للبربر كثيرة، ومدينتها العظمى التي هي القصبة تسمى فاس وهي المدينة التي بها يجير الفاطمي، الاصطخري، أبو إسحاق بن محمد الفارسي، كتاب المسالك، الممالك (مطبعة بريل: ١٩٣٧م)، ص٣٩.

(٢) وليلى: مدينة بالمغرب قرب طنجة، لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، - عليهم السلام -، المغرب ناجياً من وقعة فخ حصل به في سنة ١٧٢ في أيام الرشيد وأقام بها إلى أن مات مسموماً في قصة طويلة في سنة ١٧٤، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤.

(٣) للمزيد ينظر: السماوي، زهراء، آل الحسن، ص١٦٩؛ طه، جمال أحمد، مدينة فأس في عصري المرابطين والموحدين ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م إلى ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، دراسة سياسية وحضارية، (دار الوفاء: الإسكندرية، ٢٠٠١م)، ص٤٥وما بعدها.

انشغل بنشر الرسالة الإسلامية بين قبائل البربر التي كانت على دين المجوسية واليهودية والنصرانية إلا أن الرشيد لما بلغه خبره وانتشار دعوته اغتم له واهتم بأمره اهتماماً شديداً فشكا ذلك إلى يحيى بن خالد فقال: أنا أكفيك أمره(١).

فبعث له سليمان بن جرير الجزري لكي يحتال عليه حتى يغتاله بالسم فاستطاع الجزري الوصول إليه والتقرب منه لكونه من متكلمي الزيدية ثم نجح في دس السم إليه وهرب فقد روي أنّه سمه بواسطة مسواك قدمه إليه (٢)، وروي أنّه سمه بقارورة من الطيب (٣) وروي انه سمه بسمكه مشوية (٤) مات إدريس نتيجة سريان السم في جسده سنة ١٧٥هـ.

ولكن الرشيد بنجاحه في اغتيال إدريس بن عبد الله لم يستطع القضاء على دولة الأدارسة إذ بويع لولده إدريس بن إدريس بن الحسن الذي كان حاملا في بطن أمه حينما اغتيل أبيه(٥).

وهكذا استمرت دولة الأدارسة بزعامة بني الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في المغرب العربي زهاء قرنين من الزمان (١٧٢هـ - ٣٦٤هـ) وكانت أول دولة علوية في العالم الإسلامي.

وأما يحيى بن عبد الله هو أيضاً استطاع الفرار من وقعة فخ بعد أن كان له دورٌ رائدٌ في انطلاقها فظل يتنقل في البلدان هربا من طلب الرشيد حتى استقر به

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٧.
(٢) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٨.
(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٨.
(٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٠٨.
(٥) للمزيد ينظر: محسن، زهراء، آل الحسن، ص٤٠٨. ٤٠٩.

المقام في بلاد الديلم سنة ١٧٥هـ فأظهر دعوته فيها " واشتدت شوكته وقوى أمره ونزع إليه الناس من الأمصار والكور "[١].

وقد حظيت دعوة يحيى بدعم وتأييد عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين ثاروا بدعوته وبشخصيته لما كان يتصل به من الورع والتقوى فكان حرباً أن يتبعه العلماء والفقهاء وهم محمد بن إدريس الشافعي وسليمان بن جرير وبشر بن المعتمر والحسن بن صالح [٢].

فاغتم لذلك الرشيد ولم يكن في تلك الأيام يشرب النبيذ فندب إليه الفضل بن يحيى[٣] في خمسين ألف رجل[٤]، فسار فضل بن يحيى بالجيش إلى بلاد الديلم حتى استقر به المقام في مدينة الطالقان[٥] وأخذ يراسل يحيى ويعطيه الأمان وكاتب صاحب الديلم وجعل له ألف ألف درهم على أن يسهل له خروج يحيى إلى ما قبله[٦].

ونتيجة لتخاذل أصحاب يحيى وكثرة شغبهم عليه وتخلي صاحب الديلم عنه اضطر إلى قبول الصلح فقد روى الأصفهاني[٧] أن يحيى أجاب إلى الفضل "لما رأى

(١) للمزيد ينظر: محسن، زهراء، آل الحسن، ص٤٠٨-٤٠٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦.

(٣) الفضل بن يحيى بن برمك: ولد سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م تولى منصب الوزارة للرشيد قبل أخيه جعفر البرمكي توفي سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م، ينظر: البيهقي، إبراهيم بن محمد (من أعلام القرن الخامس الهجري)، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبي الفضل، (دار المعارف: مصر، ١٩٦١م)، ج١، ص١٦١ومابعدها.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤٢.

(٥) الطالقان: وهي مدينة كبيرة نحو مرو الروذ في الكبر ولها مياه وجباية وعمارات متصلة وبساتين قليلة وهي أصح هواء من مرو الروذ، ومن مرو الروذ إليها ثلاثة وسبعون ميلاً، وهي في سفح جبل ولها رساتيق في الجبل، وبها عمل اللبود الطالقانية.الحميري، روض المعطار، ص٣٨٠.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٧) مقاتل الطالبيين، ص٣٩٣.

من تفرق أصحابه وسوء رأيهم فيه، وكثرة خلافهم عليه ".

وروي البلاذري [١] فإنه لما سار إلى الديلم مستجيراً باعه صاحب الديلم من عامل الرشيد ألف ألف درهم، فكتب له الرشيد أماناً بخط يديه بعد أن اشترط يحيى عليه ذلك وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجلّة بني هاشم ومشايخهم [٢].

قدم إلى بغداد فأظهر له الرشيد الود بادئ الأمر وأكرامه بمائتي ألف دينار قضى به يحيى ديناً للحسين صاحب فخ ولكنه شدد عليه المراقبة وبث حوله العيون والجواسيس لكي يتعرف من بعد إليه من أصحابه وشيعته ثم من بعد ذلك غدر به وأودعه السجن نتيجة لعدم استجابة يحيى لطلب هارون في الكشف عن أسماء سبعين رجلاً من أصحابه[٣] فزعموا أن الإمام عليه السلام تجبى له الأموال ويسلم عليه بالخلافة فقد نقل الأمين[٤] روايتين الأولى ذكر أن الساعي بالإمام هو إسماعيل بن جعفر وأنّه ورد بغداد ودخل على هارون أن الساعي وقال له: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج وأنت بالعراق يجبى لك الخراج والثانية أن الساعي به أخوه محمد بن جعفر لما دخل على هارون الرشيد قال له: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت أخي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة.

لقد أوغر الوشاة قلب هارون حقداً على الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فشعر بالخوف على عرشه من الزوال فلم يجد وسيلة للحفاظ على سلطته

---

(١) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٣٦

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٣، ص٥٠٧؛ ابن الأثير، الكامل ج ٥، ص٢٩١.

(٣) مؤلف مجهول، الحدائق الوردية، ص٢٧.

(٤) أعيان الشيعة، ج٢، ص١١.

سوى اعتقال الإمام عليه السلام وتغيبه في ظلمات السجون ومهما يكن من أمر فإنّ الرشيد قد أقام الإمام سنة ١٧٩هـ في المدينة قال فقد روي أنّه لما سافر للحج سنة ١٧٩هـ دخل إلى المدينة ومر بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخاطبه قائلا: "إني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها"[١].

إنّ ما زعمه الرشيد من نية الإمام عليه السلام بالخروج عليه هي مجرد هواجس قد خطرت في ذهنه وادعاءات قد تبدلت به نفسه المريضة التي ورثت الحقد والضغينة على أهل هذا البيت من أسلافه خشية من التفاف الجماهير المسلمة حولهم لما عرف عنهم منهم شدة تمسكهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وحسن سيرهم ونبل أخلاقهم وسعة علمهم التي توارثوها عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خلاف ما عهده الناس من سوء سيرة بني العباس وفسقهم وفجورهم ومخالفتهم لكتاب وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن للإمام الكاظم عليه السلام نية في التحرك العسكري ضد سلطة هارون العباسي وقد روى الطبرسي [٢] "لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد علي السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتان يجيء إليهما الخراج؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، أما علم ذلك عندك ".

ثم سيره ليلاً إلى البصرة ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر فحبسه في بيت من

---

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤١٥.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٤٥٦.

بيوت المحبس قد أقفل عليه أبواب السجن فكان لا يفتحها إلا في حالتين إحداهما في خروجه إلى الظهور والأخرى لإدخال الطعام إليه ثم وصلت أوامر الرشيد لعيسى بقتل الإمام عليه السلام ولكنه رفض هذا الأمر بعد أن شاور أصحابه وخواصه وشاروا عليه بالحذر من ارتكاب هذه الجريمة فكتب كتاباً إلى الرشيد أخبره فيه أن الإمام عليه السلام " ولم يذكر أمير المؤمنين إلاّ بخير، ولم يكن عنده تطلّع إلى ولاية ولا خروج... فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره وينفذ مَن يتسلّمه منّي وإلاّ خلّيت سبيله فإني منه في غاية الحرج "[١].

فأوعز الرشيد بحمله إلى بغداد ولما انتهى السفر به إليها أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل بن الربيع فأخذه الربيع وحبسه في بيته وقد وصلت الأوامر من الرشيد إلى الفضل بن الربيع بقتل الإمام ولكنه قد رفض تنفيذها إذ إنّه أخبره عبد الله القزويني قائلاً له: ((قد أرسلوا إليَّ غير مره يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك وأعلمتهم أني لا أفعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني))[٢].

وأطلق سراح الإمام عليه السلام بعد أن طال حبسه عند الربيع نتيجة رؤيا رآها هارون فقد روي ((عبد الله بن مالك الخزاعي - وكان على دار الرشيد وشرطته - قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط... فأذن لي في الدخول عليه، فدخلت، قال لي: يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيت الساعة في منامي كأن جيشاً قد أتاني ومعه حربة فقال لي: إن لم تَخَلِّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٩٥٤.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٩٩؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعضين، ج١، ص٢١٧.

الحربة، فاذهب فخلِّ عنه))[(١)].

وفرج الله عن الإمام فخلى هارون سبيله وقد مكث في سجن الفضل مدة طويلة من الزمن لم يعينها لنا التاريخ [(٢)].

ثم قام الإمام عليه السلام برهة من الزمن بعد إطلاق سراحه في بغداد حتى اعتقل ثانياً فأودعه في سجن الفضل بن يحيى البرمكي وقد وصلت له الأوامر وقد أشارت بعض الروايات أن الفضل بن يحيى لما أطلع على عبادة الإمام عليه السلام وانقطاعه إلى الله في جميع أوقات الليل والنهار وسعه عليه وأكرمه فلما علم الرشيد بذلك وكان مقيماً في الرقة كتب إليه ينكر عليه توسعته على الإمام موسى عليه السلام ويأمره بقتله ولكن الفضل رفض تنفيذ هذا الأمر فتوقف عن ذلك ولم يقدم عليه فغضب عليه الرشيد وأمر العباس بن محمد بجلده فجلده السندي ابن شاهك [(٣)] بين يدي العباس بن محمد مائة سوط ثم وصلت الأوامر بإيداع الإمام في سجن السندي بن شاهك [(٤)].

لقد أعيا الرشيد أمر الإمام عليه السلام وأقض مضجعه انتشار اسمه، وذيوع

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٠٦.

(٢) القرشي، الإمام الكاظم عليه السلام، ج٢، ص٤٧٤- ٤٧٥.

(٣) السندي بن شاهك: أبو منصور مولى أبي جعفر المنصور تولى في خلافة هارون العباسي دمشق وانظم بعدها للأمين العباسي وكان سيىء الخلق سجن عنده هارون العباسي الإمام موسى الكاظم فمات مسموماً في سجنه توفي السندي في بغداد سنة (٢٠٤ هـ). ينظر: ابن ماكولا، الإكمال،، ج٥، ص٣؛ السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٣٢١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، (مكتبة المثنى: بغداد، د.ت)، ج٢، ص ١٤٨؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٥؛ الشاهرودي، مستدركات، ج٤، ص١٦٢؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩، ص٣٣٢.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص٤٥.

فضله، وتحدث الناس محنه واضطهاده، فأوعز إلى كبار رجال دولته باغتياله، فلم يجيبوه لذلك، مما رأوه من كرامات الإمام عليه السلام، وانقطاعه إلى الله، وإقباله على العبادة، فخافوا على نعمتهم من الزوال إن تعرضوا له بمكروه [١].

وبعد التضييق على الإمام وتقييده بالقيود وسوء معاملة السندي له قام هذا اللعين بتنفيذ أوامر طاغيته باغتيال الإمام عليه السلام حينما دس إليه السم فاستشهد الإمام عليه السلام سنة ١٨٣هـ.

انتهت حقبة هارون بوفاته سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م وكانت حقبة مظلمة على العلويين لكثرة من قتل منهم على الرغم من أنهم لم يخوضوا كفاحاً مسلحاً ضد سلطانه وابتدأت حقبة جديدة لاقى منها عموم المسلمين المآسي والويلات إذ خربت بلدانهم واستبيحت دماؤهم وأصابهم فيها الفقر والمجاعة نتيجة للصراع الدموي الذي حدث بين محمد بن هارون (الأمين) وعبد الله بن هارون (المأمون) تكالباً منهما على الزعامة والسلطة وكان سبب هذا الصراع هو ما قام به هارون في مدة فترة حكمة من أخذ البيعة لأولاده الثلاثة محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن وتقسيمه أقاليم البلاد الإسلامية بين هؤلاء الثلاثة.

وقد أشعل نار هذا الصراع محمد الأمين الذي تولى الخلافة بعد هلاك أبيه سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م أثر خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد الأمر الذي كان سبباً في اندلاع الحرب بين الأخوين والتي استمرت حوالى أربع سنين وانتهت بمقتل الأمين في بغداد سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م وأخذ البيعة لأخيه المأمون[٢].

لقد ترك الصراع بين الأخوين آثاراً سلبية في البلاد الإسلامية بشكل عام

---

(١) القرشي، حياة جعفر بن موسى، ج٢، ص٤٨٥.

(٢) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣٧٤ومابعدها.

وفي العراق بشكل خاص فقد تدهور الوضع الاقتصادي في الأقاليم الإسلامية وانتشرت بها الفوضى والاضطراب وانقسم أهاليها بين مؤيد للامين والأخر للمأمون فاختلفت توجهاتهم السياسية والفكرية اختلافاً كبيراً وكانت العراق أسوء البلاد الإسلامية من حيث الآثار السلبية التي خلفها القتال بين الطرفين فلقد أصيب الاقتصاد العراقي بشلل كبير خصوصاً في عاصمة الخلافة بغداد فأغلقت الأسواق ومنعت الأقوات والمؤونه من الوصول إليها من البصرة وواسط وسدت كل الطرق الموصلة إليها بغية تشديد الحصار عليها فارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا وانقسم العراق إلى قسمين جماعة مع الأمين وأخرى مع المأمون وظهرت عوامل التفرقة واضحة بين الطرفين (١).

واستغل هذا الظرف الحرج العيارون والشطار وعامة الناس من الغوغاء فاخذوا ينهبون ما استطاعوا الوصول إليه من المال (٢).

ونتيجة لسوء الأوضاع التي خلفتها الحرب تولد استياء كبير في نفوس الجماهير المسلمة ونقموا على الدولة العباسية وأصبح لديهم الاستعداد على الإطاحة بها.

ولى المأمون الحسن بن سهل (٣) ولاية العراق سنة ١٩٩هـ /٨١٣م

---

(١) للتفصيل ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٠٤ وما بعدها؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٢٦٨وما بعدها.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٤٥٤ وما بعدها.

(٣) الحسن بن سهل: بن عبد الله السرخسي واحد من كبار الولاة والقواد في عصره وهو اخو الفضل بن سهل كان من أهل بيت الرياسة في المجوس اسلم في أيام هارون الرشيد أصبح بعد ذلك وزير المأمون وتزوج المأمون من ابنته بوران توفي في سرخس سنة (٢٣٦هـ). ينظر: ابن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص٧٣٣١؛ ابن فضل العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى ←

فاضطربت الأمور، وكثرت الفتن، وظهرت المعارضة في المقاطعات الإسلامية ووجد أعداء الدولة الفرصة سانحة في تحقيق أهدافهم [١].

وقد خشي العرب من توسع النفوذ الفارسي في بلدانهم وسخطوا على سياسة الفضل بن سهل باعتبار انه كان يدير الأمور بالنيابة عن المأمون وأصبحت الأرضية في العراق وغيرها من الأقاليم الأخرى متاحة لتأجيج نيران الثورة ضد بني العباس.

قال الطبري [٢] ((صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحها وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل فلما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنه قد أنزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة وأنه يبرم الأمور على هواه ويستبد بالرأي دونه فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس وأنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون واجترأوا على الحسن بن سهل بذلك وهاجت الفتن في الأمصار فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا [٣])).



(ت٧٤٩هـ)، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠١٠م)، ج١١، ص٨٢- ٨٣.

(١) الرفاعي، أحمد فريد، عصر المأمون، (دار الكتب: مصر، ١٩٢٧م)، ج١، ص ٢٦٠.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٢٨- ٥٢٩.

(٣) طباطبا: هو أبو القاسم، وقيل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وعرف بهذا اللقب هو وقيل أن هذا اللقب جاءه عندما أراد والده أن يشتري له ثوباً وهو صغير وخيره بين قميص وبين قبا فقال إبراهيم (طباطبا) يعني بها قباقبا فلقب بذلك وهناك من يقول أن طباطبا بلسان النبطية تعني (سيد السادات) وهو صاحب القبة الموجودة اليوم بين النجف وكربلاء. ينظر: البخاري، سر السلسلة، ص١٦؛ الهاروني، الإفادة، ص٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٥٢ – ٢٥٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،، ج٤، ص١٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٢٣٠.

وكان السبب في عزم ابن طباطبا على الخروج والثورة ضد بني العباس هو سخطه الشديد نتيجة لما يراهُ من الظلم الذي تفشى في البلاد بفعل سياستهم التي كان همها الوحيد هو التسلط على رقاب المسلمين بالقهر والغلبة والتحكم بمصيرهم ومقدرهم بحسب ما يرتأون شاء الناس أم أبوا ذلك هذا من جهة ومن جهة أخرى ما تولد في نفسه من السخط والغضب على العباسيين الذين سلبوا حقهم بالخلافة وأساءوا إليهم ونكلوا بهم أشد التنكيل وقد عبر عن شعوره بالظلم بقوله:

وكنت على جد من أمري فزادني ... إلى الجد جدا ما رأيت من الظلم
أيذهب مال الله في غير حقه ... وينزل أهل الحق في جائر الحكم
لعمرك ما أبصرتها فسألتها ... وجاوزتها إلا لأمضي في عزمي
كفى عبرة والله يقضي قضاءه ... بها عظة من ربنا لذوي الحلم [١]

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني [٢] بينما ابن طباطبا في بعض الأيام يمشي في بعض طرق الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب، فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث، فسألها عما تصنع بذلك. فقالت: إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشئ، فأنا أتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي. فبكى بكاء شديدا، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجوني غدا حتى يسفك دمي.

وكانت بداية نشاطه السياسي أن نصر بن شبث [٣] أحد الناقمين على الحكم

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٥٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٤٢٦.

(٣) نصر بن شبث: العقيلي وهو ثائر من بني عقيل بن كعب بن ربيعة كان أسلافه من رجال بني أمية وكان يقيم في كيسوم بشمالي حلب في أيامه حدثت فتنة الأمين والمأمون ولما استقامت الأمور للمأمون امتنع عن بيعته وثار في كيسوم وتغلب على ما جاورها من البلاد وملك سميساط ←

العباسي قدم حجاً إلى مكة ثم ورد المدينة فسال عن بقايا أهل البيت ومن له ذكر منهم، فذكر له: علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن طباطبا فأما علي بن عبيد الله فإنه كان مشغولا بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن له، وأما عبد الله بن موسى فكان مطلوبا خائفا لا يلقاه أحد. وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن، فأتاه نصر بن شبث فدخل إليه وذكره مقتل أهل بيته وغصب الناس إياهم حقوقهم وقال: حتى متى توطئون بالخسف وتهتضم شيعتكم وينزى على حقكم؟ وألح عليه بالقول فأجابه محمد بن إبراهيم، وواعده لقاءه بالجزيرة. بعد موسم الحج، ثم خرج محمد بن إبراهيم إلى الجزيرة حتى قدم على نصر بن شبث للموعد، ولكن نصراً تراجع عن نصرته بعد أن اختلف عليه قومه، فاعتذر من محمد بن إبراهيم فأصيب محمد بخيبة أمل من ذلك، واستخف بالمساعدة التي كان ينتظرها من نصر بن شبث وقفل راجعاً إلى الحجاز [1].

ولكن لم تفتر عزيمته وظل الأمل يحدو به لكسب الأنصار الذين يصول بهم ضد بني العباس، حتى تحقق له ذلك بلقائه وهو في الرقة [2] بابي السرايا [3] فتواعد

واجتمع حوله أنصار كثيرون فعبر الفرات إلى العراق سنة (١٩٨هـ)، أرسل أليه المأمون جيشاً فأخضع لأمره ودخل بغداد مهزوماً سنة (٢١٠هـ). ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٥٢؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٣.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٥.

(٢) الرقة: وهي مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٨.

(٣) أبو السرايا: هو السري بن منصور الشيباني، قيل انه من ولد هاني بن قبيصة الشيباني، ثار

معه على الخروج وإعلان الثورة في الكوفة.

ولقد كان أبو السرايا أحد قادة جيش هرثمة بن أعين [١] الذي أطاحَ بحكومة الأمين ثم انشق عن جيش هرثمة مع مجموعة من أصحابه وقد ذكر المؤرخون أن سبب انشقاقه عن جيش هرثمة انه" لما قتل الأمين نقصه هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه " [٢].

فانشق مع أصحابه عن جيش هرثمة " فسار بهم إلى عين التمر وحصر عاملها وأخذ ما معه من المال وفرقه في أصحابه " [٣].

ويبدو أن أبي السرايا كان يتنقل بين المدن ويقاتل هذا وينتصر لذاك بدون هدف سوى جمع المال حتى التقى بابن طباطبا فبايعه وتواطئا على إعلان الثورة في الكوفة.

دخل محمد بن طباطبا الكوفة يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخرة[٤]

مع محمد بن إبراهيم بن طباطبا، بعد أن بايعه فصار قائد جيشه، فاستفحل أمره، وسيطر على الكوفة وما جاورها، وسمي بابي السرايا لأنه كان يقود سرايا بين ٣٠٠ـ ٥٠٠، قتلة الحسن بن سهل سنة ٢٠٠ هـ. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٥؛ الزركلي، الإعلام، ج٣، ص٨٢.

(١) هرثمة بن أعين: أمير من القادة الشجعان له عناية بالعمران ولاه هارون العباسي على مصر وبعدها افريقية ومن ثم خراسان انضم إلى الأمين أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون وبعد أن آلت الأمور للمأمون عفا عنه لمدة ثم سجنه بتهمة التراخي في قتال الطالبيين وأبي السرايا فقتله في السجن سنة (٢٠٠هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاءج٩، ص١٢٩، ٣٣٧، ١٠٥؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٨١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤١٦ـ ٤١٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤١٨.

(٤) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ)، تاريخ

وقيل في العاشر منه في عام ١٩٩هـ /٨١٣م [١] فشرع يتصل بالناس سراً ويتحسس أخبارهم ويدعوهم إلى الانضمام إليه ((حتى اجتمع له بشر كثير)) [٢].

ثم خرج بهم إلى ظهر الكوفة للقاء أبي السرايا في اليوم الذي تواعدا فيه.

وأما أبو السرايا فقد توجه من عين التمر [٣] بأصحابه نحو كربلاء وزاروا قبر الحسين بن علي عليهما السلام ووجدوا عنده قوم من الزيدية فخطب بهم يستحثهم على الخروج والأخذ بثأره ونصرة ابن طباطبا الذي عزم على الخروج في الكوفة فقال: " أيها الناس، هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه، فما يقعدكم عمن أدركتموه ولحقتموه؟ وهو غدا خارج طالب بثأره وحقه، وتراث آبائه، وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته؟ إنني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذب عن دينه، والنصر لأهل بيته، فمن كان له نية في ذلك.فليلحق بي ثم مضى من فوره عائدا إلى الكوفة ومعه أصحابه " [٤].

التقى أبو السرايا بمحمد على مشارف الكوفة ثم دخلوا الكوفة فخطب ابن طباطبا بالناس ودعاهم إلى البيعة (للرضا من آل محمد) والدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسيرة بحكم الكتاب. فبايعه جميع الناس حتى تكابسوا وازدحموا عليه، وذلك في موضع

خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، (دار الكتب العلمية للطباعة: بيروت، ١٩٩٥م)، ص٣١٠.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢٦.

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٦.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٧.

بالكوفة يعرف بقصر الضرتين [(١)] [(٢)].

أن الملاحظ على ما ورد في الخطبة التي خطبها محمد بن طباطبا انه طرح فيها نفس الشعارات التي طرحها الحسين صاحب فخ من الدعوة إلى الرضا من آل محمد وأحياء كتاب الله وسنة نبيه ونصرة الحق ومحاربة الظلم وبهذا تكون الثورة قد سارت في المسار الصحيح باعتبار أن ابن طباطبا لم يكن يدعو إلى نفسه ولكنه خرج غضباً لله وحرصا منه على إقامة دعائم دينه وقد علمنا فيما سبق أن شعار الرضا من آل محمد الذي رفعهُ الثوار العلويون من قبل يقصد به إمام العصر المفترض الطاعة من الأئمة الاثنا عشرية عند الإمامية، فإن كان المقصود من هذا الشعار هنا هو الدعوة إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام باعتبار أن الإمامة قد آلت إليه بعد استشهاد أبيه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام سنة ١٨٣هـ /٧٩٩م فلا أشكال في ذلك ولكن لو قصد بهذا الشعار شخصٌ أخر غير الإمام الرضا عليه السلام لاعتبرت هذه الثورة منحرفة عن المسار الصحيح وهذا ما سوف نستقرأه في استعراضنا لموقف الإمام الرضا عليه السلام من الثورة إن شاء الله.

ومهما يكن من أمر فلقد تم لابن طباطبا السيطرة على الكوفة بعد أن رفض الوالي العباسي الفضل بن العباس من الاستجابة لدعوة ابن طباطبا وهزيمته من الكوفة أثر مناوشة حدثت بينه وبين أبي السرايا فقرر والي العراق الحسن بن سهل توجيه الجيوش نحو الكوفة لإخماد هذه الثورة التي شكلت خطراً على الخلافة العباسية نتيجة لتعاطف أهل العراق معها بسبب استياءهم الشديد من السياسة

---

(١) قصر الضرتين: وهو موضع بالكوفة جرت فيه إحدى المعارك بين أبو السرايا والعباسيين. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٨.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٨.

العباسية ((لهذا كانت ثورة أبي السرايا من أخطر الثورات العلوية في عهد المأمون، ذلك لأن هذه الثورة كانت وليدة عوامل كثيرة وليس الولاء العلوي فقط، فهي عبرت عن سخط أهل العراق ضد سياسة المأمون الخراسانية، وسخط القبائل العربية في الكوفة خاصة، والعراق عامة على سياسة الفضل بن سهل وأخيه، ثم ملل الناس من الفوضى، وعدم الاستقرار السياسي، كل هذا أنتجت ثورة أبي السرايا)) [١].

جهز الحسن بن سهل جيشاً قوامه عشرة الإلف فارس وراجل [٢] بقيادة زهير بن المسيب [٣] ووجهه إلى الكوفة للقضاء على تلك الثورة قبل اتساع نطاقها فاستطاع قائد الجيش أبو السرايا من إلحاق هزيمة نكراء بالجيش العباسي واستباحة عسكرهم وغنيمة ما كان معهم من مال وسلاح ودواب [٤] ورجع زهير إلى قصر ابن هبيرة وهو يجرُ أذيال الخيبة والخسران [٥].

فبعث الحسن بن سهل حملة أخرى بقادة عبدوس المروذوي[٦] قوامها أربعة

---

(١) الغفار، عبد الرسول، الكليني والكافي، (المطبعة مؤسسة النشر الإسلامي: إيران، ١٩٩٥م)، ص٢٤١. ٢٤٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤١٧.

(٣) زهير بن المسيب الضبي : أحد القادة في العصر العباسي، كان مع المأمون في ثورته على الأمين، إلى أن ظفر المأمون واستعمل الحسن بن سهل على جوخي وهي تقع بين خانقين وخوستان فلما قامت الفتنة على الحسن ببغداد وامتدت إلى الإطراف أسر فيها زهير، وقتل ذبحاً في سنة (٢٠١ هـ). ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٩_ ٤٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٨٣؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٥٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٥٢٩؛ الهاروني، الإفادة، ص٣٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤١٨.

(٦) عبدوس بن عبد الصمد بن حسان: أحد قادة الدولة العباسية شارك مع أخيه هارون ضد ثورة أبو السرايا وقتل في المعركة فكان قتل أبو السرايا فيما بعد على يد أخيه هارون. ينظر: المغربي، شرح الأخبار، ج١٤، ص٣٣٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٦.

الإلف لمقاتلة أبي السرايا فالتقى الطرفان في موضع يقال له الجامع بين بغداد والكوفة واستطاع أبو السرايا أيضاً من القضاء على هذه الحملة قضاء مبرما وقتل قائدهم عبدوس فلم يفلت منهم أحد كانوا بين قتيل وأسير(١).

وبذلك حقق أبو السرايا انتصاراً أخر أعظم من الأول، وكان تأثير هذا الانتصار في العباسيين أشد كثيراً من الأول، فقد أدركوا فيه خطر الثورة العلوية عليهم، وصار الحسن بن سهل في موقف حرج جداً أمام المأمون، ذلك أنه كان المسؤول آنذاك عن امن العراق واستقراره(٢).

وبعد تحقيق هذه الانتصارات التي أفرزت شدة شوكة أبي السرايا وحنكته في تدابير الحرب وقيادة الجيوش منيت الثورة بانتكاسة خطيرة وهي وفاة زعيمها محمد بن إبراهيم ابن طباطبا الذي اختلف المؤرخون في سبب وفاته فقد نسب بعضهم ((أن أبا السرايا سمه)) (٣) بعد أن لامه ابن طباطبا على السلب والنهب الذي حصل من أبي السرايا وجنده عند استباحتهم لعسكر زهير بن المسيب فعلم أبو السرايا أن لا أمر له معه فسمه(٤).

وقال بعضهم أن سبب وفاته كان أمراً طبيعاً نتيجة لعلة أصابته بعد أن خرج

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤١٨.

(٢) الشكرجي، نعيمة عبد الكريم، ثورة أبي السرايا، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية الآداب: جامعة بغداد، ١٩٧١م)، ص١٠٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٢٩؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٤، ص١١٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٦٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٢٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤١٧؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٤، ص١١٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٤.

أبو السرايا لمقاتلة زهير بن المسيب وقد اشتدت علته بعد أن هزم أبو السرايا جيش عبدوس فمات أثر ذلك.

والراجح أن ابن طباطبا قد مات حتف انفيهِ، لان حادثة السم من قبل أبي السرايا قد انفرد بذكرها ابن جرير الطبري وتبعهُ بعض المؤرخين في ذلك في حين أننا نجد أن البعض الآخر منهم اكتفى بذكر موت ابن طباطبا موتا طبيعياً [(١)] ولم يشر إلى حادثة السم المزعومة.

ومن غير المعقول أن نأخذ بما رواه الطبري من حادثة خبر السم، لان الثورة لازالت في بدايتها والخطر العباسي محدق بها فكيف يقدم أبي السرايا على مثل هذا الأمر الخطير من اغتيال زعيمها الروحي الذي التفت الجماهير حوله فإن في فقدانه في هذا الوقت الحرج يعد ضربة قوية تضعف من القاعدة الجماهيرية المؤيدة لها هذا من جانب، ومن جانب أخر أن أبي السرايا كان محاط بكثير من العلويين من أبناء الحسن والحسين ولم ينقل لنا التاريخ أن أحداً منهم قد شكك في نواياه أو وجهه إليه أصابع الاتهام في تدبيره لاغتيال ابن طباطبا والاستبداد بالأمور دونهم مع أن الخلاف الذي ذكره المؤرخون بين ابن طباطبا وأبي السرايا لم يصل إلى حد التنافر بينهما حتى يؤدي إلى القتل بل هو مجرد اختلاف في وجهات النظر في مسالة تدبير شؤون الحرب.

علما أن الطبري الذي روى اغتيال ابن طباطبا بالسم من قبل أبي السرايا قد عبر عنه بقوله: مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة، فذكر أن أبي السرايا سمه فبقوله ذكر ببناء الفعل للمجهول يفهم منه ضعف هذا الخبر.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٤١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٢٣؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص٢٦١.

فبعد وفاة ابن طباطبا بويع لمحمد بن محمد بن زيد الحسيني [(١)] " وهو غلام حدث السن" [(٢)].

أثر اعتذار علي بن عبيد الله [(٣)] الذي نصح ابن طباطبا بقيامه بالأمر بعده في حال اختلاف الناس فيما بينهم بحسب ما ذكره الأصفهاني في المقاتل [(٤)].

وقد ذكر غيره من المؤرخين أن أبا السرايا هو الذي أقامَ محمد بن محمد بن زيد مكانه واستبد هو بتصريف الأمور دونه قال الطبري [(٥)] " فلما مات ابن

---

(١) محمد بن محمد بن زيد: بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمه فاطمة بنت علي بن جعفر بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لقب (بالمؤيد)، و(المحروق)، وأما تلقيبه بالمحروق فيذكر أنه أحب فتاة من بني أمية فتزوجها وهداها إلى مذهب التشيع، فلما سمع بذلك حاكم خراسان التي سكن بها بعد فشل ثورته وكان هذا الحاكم له جذور أموية أحرقهما، وقيل إنّ المأمون قتله بعد الثورة. ينظر: ابن قتيبة الدنيوري، المعارف، ص١٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٥٢٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٨، ص٤١٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٢؛ العمري، المجدي، ص٣٨٤؛ البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٥١، ٦٧، ٧٥؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١٤، ص٣٣٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٣٤.

(٣) علي بن عبيد الله: بن الحسين بن علي بن حسين، كان أزهد آل أبي طالب وأعبدهم في زمانه، كان يروي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام رفض بيعة أبي السرايا له لعدم خبرته بشؤون القتال، له كتاب الحج يرويه كله عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. ينظر: النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، ط ٥، (د.ط: ١٩٩٥م)، ص٢٥٦؛ العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص١٨٣؛ ابن داود الحلي، تقي الدين الحسن بن علي (ت٧٤٠هـ)، رجال ابن داود، تحقيق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، (مطبعة الحيدرية: النجف، ١٩٧٢ م)، ص١٣٩؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق وتصحيح وتذييل: محمد الرازي، تعليق: الشيخ أبي الحسن، (دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ت)، ج٢٠، ص٢٦٦.

(٤) للتفاصيل ينظر: ص٤٣٤. ٤٣٥.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٢٩. ٥٣٠.

طباطبا أقام أبو السرايا مكانه غلاماً أمرد حدثاً يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فكان أبو السرايا هو الذي ينفذ الأمور ويولي من رأى ويعزل من أحب وإليه الأمور كلها ".

ورواية الأصفهاني أرجح منطقياً فمن غير المعقول أن تستتب الأمور لأبي السرايا ويفعل ما يحلو له ويضمن ولاء العلويين المحيطين به وهم أصحاب الحصافة والرأي وأبناء الثورة الذين اشرأبت لهم الأعناق بالدعم والتأييد لمحبة الناس لهم باعتبار أنهم يمثلون الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الثورة قد اتسع نطاقها وتخطت حدودها الكوفة إلى الأمصار الأخرى فحظيت بتأييد جماهيري واسع في البصرة واليمن والأهواز[1] وواسط نتيجة دخول الدعاة العلويين إلى هذه المدن وبقائهم فيها ولاة من قبل محمد بن محمد الحسيني لا من قبل أبي السرايا نعم إن أبا السرايا كان يدبر بعض الأمور ويشرف إشرافاً مباشراً على قيادة الجيش لما عرف عنه من حنكته وخبرته في إدارة المعارك فهو بما ظهر منه من بسالة فائقة في القتال يعد فارس الثورة الأول إلاّ انه كان يخطط وينفذ الأمور على أنّه وزير لا أمير.

أرسل محمدٌ ولاته إلى الأمصار القريبة من الكوفة لأخذ البيعة له وبسط نفوذه عليها تعزيزاً لسلطته وانتشاراً لدعوته محاولاً بذلك كسب الدعم والتأييد الواسع لها وقد نجح في هذا الأمر ودخلَ ولاته المدن التي بعث إليها ودانت لهم الجماهير بالطاعة ولم يواجه أحد منهم مقاومة شديدة إلا في واسط.

---

(١) الأهواز: هي سبع كور تقع بين البصرة وفارس، ولكل كورة منها اسم، والأهواز يجمعهن، وأهل هذه البلاد جميعاً يقال لهم الحوز. ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، ج١، ص١٣٥.

فقد ولى إسماعيل بن علي [(١)] على الكوفة وإبراهيم بن موسى بن جعفر [(٢)] على اليمن وزيد بن موسى بن جعفر على الأهواز والعباس بن محمد الجعفري [(٣)] على البصرة والحسن بن الحسن الأفطس [(٤)] على مكة وجعفر بن محمد بن زيد بن علي والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي على واسط وتتابعت الكتب وتواترت على محمد بن محمد الحسيني بالفتوح لما كان ناحية وكتب إليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولاً ليسمعوا له ويطيعوه [(٥)].

وانتشر الطالبيون في البلاد وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ونقش

---

(١) إسماعيل بن علي: بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمه كانت مخزومية لذا يقال له علي ابن المخزومية، وكان يلقب أيضاً إسماعيل (الأرقط).ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٣٥؛ العمري، المجدي، ص٩٥؛ البخاري، سر السلسلة، ص٩٥.

(٢) إبراهيم بن موسى بن جعفر الكاظم: أمه نوبية أسمها نجدية ظهر باليمن أيام أبي السرايا وهو أحد أئمة الزيدية. ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٢٠١.

(٣) العباس بن موسى بن جعفر: بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، جعله المأمون والياً على الكوفة وهو مدفون اليوم في منطقة شوشة في بابل ويوجد بها أيضاً قبر القاسم بن موسى بن جعفر وقبر ذي الكفل (حزقيل). ينظر: العمري، المجدي، ص٢٩٩ ـ ٣٠٩؛ البخاري، سر السلسلة، ص٣٧، ٤٣؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١، ص٢٦٧؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٧٩.

(٤) الحسن بن الحسين الأفطس: هو الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه يطعنون لقبح سيرته وصنعته. ينظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٢٤٤.

(٥) للمزيد ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٣٥. ٤٣٦؛ المحلي، حميد، الحدائق الوردية، ج١، ص١٤؛ الشكرجي، نعيمة عبد الكريم، ثورة أبي السرايا، ص١٨٤وما بعدها؛ بدوي، خالد محمد أحمد، الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون (١٧٠هـ ٢١٨هـ)، رسالة ماجستير، غير منشورة، (كلية التربية: جامعة شمس، ٢٠٠١م)، ص٣٥٠. ٣٥٢.

عليها[١] { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ }[٢].

لقد ضاق الحسن بن سهل بالانتصارات التي حققها أبو السرايا ضد جيوشه ذرعاً واضطراب أمره وقلت حيلته فيما يدبره من أمر للقضاء على اتساع نطاق الثورة وامتداد أوارها وازدياد اكتساب الأنصار لها حتى أيقن أن الخطر قد أحدق به بعد أن انحسر نفوذه في بغداد فلم يجد بداً من الإرسال إلى قائد الجيش العباسي هرثمة بن أعين في خراسان يأمره بتعجيل القدوم إليه مع ما بينهما من الشحناء والبغضاء.

قال الطبري[٣] "فلما رأى الحسن بن سهل أن أبا السرايا ومن معه لا يلقون له عسكراً إلا هزموه ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها ولم يجد فيمن معه من القواد من يكفيه حربه اضطر إلى هرثمة ".

فقدم هرثمة إلى بغداد فأعد جيشاً قوامه ثلاثون ألف فارس وراجل[٤] وتوجه بهم نحو الكوفة فالتقى الفريقان على نهر صرصر[٥] فاقتتل الفريقان مقتلة عظيمة واستمرت الحرب بينهما سجالاً فمالت الكفة في بداية الأمر لصالح هرثمة ثم لصالح أبي السرايا حتى انتهى القتال بهزيمة أبي السرايا وانسحابه إلى الكوفة وتخاذل

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٠.

(٢) سورة الصف، آية: ٤.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٥.

(٤) المحلي، حميد بن أحمد، الحدائق الوردية، ج١، ص١٦.

(٥) نهر صرصر: صرصر بالفتح وتكرير الصاد والضاد، يقال صرصر من الصر وهو البرد ويقال ريح صرصر وصرة شديدة البرد وصرصر. قريتان من سواد العراق صرصر العليا وصرصر السفلى وهما على ضفة نهر عيسى وربما في نهر صرصر فنسب النهر إليها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٠١.

أصحابه عن مواصلة القتال مما اضطر أبو السرايا أن يخرج بصحبة محمد بن محمد إلى البصرة ونفر من العلويين وبعض الأنصار فلما وصل إليها وجدها قد سقطت بيد العباسيين ثم توجه إلى واسط فإذا هي قد سقطت أيضاً بأيديهم فعدل منها إلى الأهواز حتى انتهى به المطاف إلى السوس (١) فحدث بينهم وبين عاملها المأموني قتال هزم فيه أبو السرايا وجرح جرحاً بليغاً فعطفوا راجعين إلى جلولاء (٢) فألقي القبض عليهم من قبل حماد الكندغوش (٣) بعد أن عرض عليهم الأمان وأرسل بهم إلى الحسن بن سهل في المدائن فأمر بضرب عنق أبي السرايا ونصب رأسه في الجانب الشرقي وجسده من الجانب الغربي من بغداد وأرسل محمد بن محمد الحسيني إلى المأمون في خراسان (٤).

الأسباب التي أدت إلى إخفاق ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا

أولاً: عدم استثمار أبي السرايا الروح المعنوية العالية التي كان يتمتع بها أنصاره - نتيجة للانتصارات المتوالية التي سجلها ضد الجيوش العباسية - في

---

(١) السوس: وهي بلدة بخوستان فيها قبر النبي دانيال عليه السلام وقيل هي تعريب الشوش ومعناه الحسَن، وبالمغرب السوس أيضاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٠.

(٢) جَلُولاَء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا. بها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦هـ فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٦.

(٣) حماد الكندغوش: وهو عامل المأمون العباسي على منطقة برقانا قام بتسليم أبي السرايا ومحمد العلوي إلى الحسن بن سهل. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٥.

(٤) النويري، نهاية الإرب، ج٢٢، ص١٩٤.

سرعة التحرك والزحف بجيشه إلى بغداد للقضاء على مركز القيادة العباسي بزعامة الحسن بن سهل الذي كان هو ومن معه من قادةٍ ومقاتلين يشعرون بإحباط كبير بفعل الهزائم التي لحقت بهم مما أدى إلى ضعف معنوياتهم وسيطرة الخوف والفشل على نفوسهم حينما أيقنوا أن الخطر بات قريباً من بغداد، فصاروا في وضعِ دفاعي عنها بعد أن كانوا في وضع هجومي، إذ إنّ أبا السرايا كان يعتزم الهجوم على بغداد وإسقاطها بعد أن وجه محمد بن سليمان الحسني " إلى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي، فأتى المدائن وأقام بها وهزم أصحاب الحسن إلى بغداد "(١).

ولكن يبدو أن أبا السرايا قد تباطأ في ذلك وأعطى الفرصة للحسن بن سهل بأن يسترد أنفاسه باستدعائه لهرثمة بن أعين القائد العباسي المحنك الذي كان سبباً في ارتفاع معنويات الجيش العباسي واستعادة تنظيم صفوفهِ.

ثانياً: التحركات العسكرية المحكمة التي قام بها قادة الجيش العباسي أثناء خروج هرثمة بن أعين للقاء أبي السرايا في الكوفة فقد أمر الحسن بن سهل بعض قادته بالتحرك إلى المدائن وواسط والبصرة لإعادة السيطرة عليها وإخراج العلويين منها وقد تم لهم ذلك بالفعل مما أدى إلى قطع طرق إمداد جيش أبي السرايا بالخيل والرجال في حال هزيمتهم، وكذا القضاء على العمق الدفاعي الذي يمكنهم له اللجوء إليه في حال تقهقرهِم وانسحابهم من المعركة لإعادة تنظيم صفوفهم فقد " سار علي بن سعيد في شوال إلى المدائن فقاتل بها أصحاب أبي السرايا فهزمهم واستولى على المدائن "(٢).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤١٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٣.

ولما أخذ المدائن توجه إلى واسط فأخذها أيضاً [١] ثم توجه إلى البصرة فافتتحها [٢] كذلك.

لذلك لما أراد أبو السرايا دخول البصرة وواسط بعد هزيمته في المعركة بمن تبقى معه من أفراد لم يتمكن من ذلك لكونها باتت تحت سيطرة الجيش العباسي مما اضطره إلى التوجه نحو الأهواز [٣].

ثالثاً: الحنكة العسكرية التي تمتع بها قائد الجيش العباسي هرثمة بن أعين نتيجة لخبرته الطويلة في قيادة المعارك ومعرفته الدقيقة بمؤهلات أبي السرايا القيادية لكونه كان أحد قواد جيشه الذين اعتمد عليهم في إسقاط بغداد حتى أن هرثمة هو الذي رقى أبا السرايا إلى مرتبة أمير.

فلذلك احتفظ بقوة احتياطية من جيشه قوامها خمسة الآلف فارس بقيادة عبيد الله بن الوضاح في مؤخرة جيشه حتى يكونوا سنداً لقواته في حال هزيمتهم وبالفعل لقد كانت الغلبة في بداية المعركة لأبي السرايا على هرثمة ((وانهزمت المسودة هزيمة قبيحة)) [٤] حتى أن هرثمة وقع أسيراً في يد عبدٍ سندي، ونادى أصحابه (قتل الأمير).

فإذا بعبيد الله بن الوضاح يكرُ بأصحابه على أصحاب أبي السرايا ويوقع الهزيمة بهم ويطلق سراح هرثمة من الأسر فيعيد تنظيم صفوفهم فتميل الكفة لصالح الجيش العباسي في المعركة ويتدارك الهزيمة التي لحقت به في بدايتها [٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٥.

(٢) للتفاصيل ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٤٥.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٣.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٣.

رابعاً: إنّ العامل الرئيس الذي أدى إلى هزيمة أبي السرايا في المعركة وإخفاق الثورة هو سؤم أنصاره وضعفهم وتقاعسهم عن القتال نتيجة لطول فترة المعركة فانطلت عليهم الحيلة التي لجأ إليها هرثمة حينما دعاهم إلى إيقاف القتال والمناظرة في انتخاب خليفة للمسلمين بدل المأمون، وقد شُبهت حيلته هذه بحيلة عمرو بن العاص في معركة صفين حينما أمر الجيش الشامي برفع المصاحف ودعوة أهل العراق إلى التحكيم بعد أن كادت الهزيمة التامة تقع عليهم فقد نادى هرثمة بأهل الكوفة بعد أن رأى ضعف أصحابه عن القتال واقتراب جيش أبي السرايا من الحملة عليهم قائلاً: "يا أهل الكوفة علام تسفكون دماءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم إيانا كراهية لإمامنا فهذا المنصور بن المهدي رضى لنا ولكم نبايعه، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم، واتفقوا معنا ليوم الاثنين نتناظر فيه، ولا تقتلونا وأنفسكم. فأمسك أهل الكوفة عن الحملة " [١].

ولم تنفع معهم تحذيرات أبي السرايا من هذه الحيلة التي لجأ إليها هرثمة فاضطر إلى الانسحاب من المعركة والعودة إلى الكوفة فلما كان يوم الجمعة خطب أهل الكوفة خطبة نقم فيها عليهم ووصفهم بأنهم، (قتلة علي)، (وخذلة الحسين)، وأنكر عليهم خذلانهم لأهل البيت عليهم السلام وتقاعسهم عن نصرة الحق وبأن لا عذر لهم في تخاذلهم عن عدوهم (إلا العجز والمهانة، والرضا بالصغار والذلة) [٢].

إنّ أبا السرايا في خطبته هذه قد وضع اليد على الجرح الذي مازال نازفاً وشخص الداء العضال الذي أعيا المداوين، فلولا تخاذل معظم المسلمين عن

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٣.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤٣. ٤٤٤.

نصرة أصحاب الحق الشرعي في خلافة المسلمين من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومخالفتهم لهم في وقوفهم مع أصحاب الباطل من أعدائهم، طمعاً في حطام الدنيا ونعيمها الزائل لما استطاع بنو أمية وبنو العباس من الاستبداد بولاية أمرهم، واستباحة حرمات الإسلام في سفك الدماء ونهب الأموال وأشاعة الفسق والفجور.

موقف الإمام الرضا عليه السلام من ثورة ابن طباطبا وقائدها أبي السرايا

لم تنقل لنا المصادر التاريخية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام الذي حدثت ثورة ابن طباطبا في فترة إمامته حديثاً مباشراً يفهم منه الموقف الذي أتخذه الإمام عليه السلام من ثورته سلباً أو إيجاباً ولكننا يمكن أن نستظهر موقفهُ منها من خلال موقف الأئمة عليهم السلام الذين سبقوه من الثورات والتي حدثت في فترة إمامتهم ومن موقفهِ عليه السلام من الثورات التي حدثت في فترة إمامته عليه السلام التي تعد امتداداً لثورة ابن طباطبا، فقد شهد عصر الإمام الرضا عليه السلام تحركات كثيرة للعلويين في أماكن متعددة من البلاد الإسلامية، مما حمل المأمون العباسي إلى تقليد الإمام عليه السلام ولاية العهد لإطفاء البركان الثوري المتفجر من قبل العلويين في زمن خلافتهِ إذ إنّ السبب الرئيس الذي حمل المأمون على استقدام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى مرو وإجباره على القبول بولاية العهد وهو التخفيف من حدة الغضب الجماهيري ضد سياسة العباسيين بقيادة الثوار العلويين وتخدير أعصابهم وامتصاص زخم نقمتهم على الواقع الفاسد الذي صارت إليه بلاد المسلمين لكي تستقر الأمور لبني العباس وتسير نحو الهدوء والسكينة بعد القلق والاضطراب الذي حدث بفعل الصراع

الجاري بين الأخوين المأمون والأمين ابني هارون الرشيد.

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل عام قد وقفوا موقفاً إيجابياً من الثورات التي تسير في خط إمامتهم عليهم السلام مع علمهم بما تؤول إليه هذه التحركات من النهايات المأساوية باستشهاد قادها ومعظم أنصارها مادامت هذه الثورات تنطلق غضباً لله ونصرة لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر تأكيداً للحق العلوي بإمامة المسلمين لتصحيح المسار المنحرف الذي انتهجه أئمة الجور من خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس حينما تربعوا على عروش البغي بالقوة والبطش والإرهاب.

لقد رفع محمد بن طباطبا الشعار الذي طالما رفعه العلويون في ثورهم وهو الدعوة إلى الرضا من آل محمد وقد عرفنا فيما سبق أن المقصود من هذا الشعار هو الإمام المعصوم من الأئمة الاثني عشر كما هو الحال في ثورتي زيد وابنه يحيى عليهما السلام ولكن المقصود من هذا الشعار قد تغير بعد ثوريتهما إلى كل من بايعه الناس ويرتضون به في حال قيامه بالثورة سواء كان معصوماً أو غير معصوم من ولد الحسن أو من ولد الإمام الحسين عليه السلام.

وهذا ما ينطبق على ثورة محمد بن طباطبا إذ لم يكن يقصد بدعوته هذه إمام الحق في عصره وهو علي بن موسى الرضا عليه السلام وإنما كان يقصد بذلك طلب هذا الأمر لنفسه وهذا ما كان يؤمن به أئمة المذهب الزيدي المخالف لمذهب الإمامية الاثني عشرية في العقيدة والفكر والعمل علماً أن ابن طباطبا يعتبر أحد أئمة الزيدية بل إنّ ثورته ثورة زيدية بحتة.

فقد ذكر الزركلي [١] في ترجمته " أمير علوي ثائر. من أئمة " الزيدية "

قال ابن عنبه [٢] " ومن ولد إبراهيم طباطبا أيضاً محمد بن إبراهيم، ويكنى أبا عبد الله أحد أئمة الزيدية ".

والزيدية فرقة من الفرق الإسلامية قالت بإمامة زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام وساقت الإمامة من علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى الحسن والحسين عليهما السلام ثم من بعدهما لكل فاطمي دعا إلى نفسه وشهر سيفهُ بوجه سلطة الجور سواء كان من نسل الحسن أو من نسل الحسين عليه السلام وجوزوا خروج إمامين في مكانين مختلفين في آن واحد كما لم يشترطوا العصمة في الإمام.

فقد ذكر الشيخ المفيد [٣] عن عقيدتهم ما نصه " الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وزيد بن علي - عليهم السلام - وبإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد".

وقال الشهرستاني [٤] " إنّهم (أي الزيدية) يعتبرون في نظام الإمامة اتباع كل فاطمي عالم شجاعٍ سخي خرج بالإمامة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين وربما جوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة ".

---

(١) الأعلام، ج٥، ص٢٩٣.

(٢) عمدة الطالب، ص١٧٢.

(٣) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان بن أبي عبد الله العكبري (ت٤١٣هـ)، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط٢، (دار المفيد للطباعة: بيروت، ١٩٩٧م)، ص٣٩.

(٤) الملل والنحل، ج١، ص١٥٤. ١٥٥.

وهذه الأمور التي يعتقد بها الزيدية مرفوضة رفضاً قاطعاً من قبل الأئمة الاثني عشر من الطائفة الإمامية فإنّ زيد بن علي عليه السلام لم يدعِ الإمامة لنفسهِ وكان مقراً بإمامة أبيه علي بن الحسين عليهما السلام وأخيه محمد بن علي وعمه جعفر بن محمد وباقي أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد بيّنّا ذلك بأحاديث معتبرة ذكرناها في تقييمنا لثورة زيد بن علي [١].

علماً أن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام المعاصر لثورة ابن طباطبا قد نفى عن زيد عليه السلام بحديث يرويه عن آبائهِ أنه كان يطلب هذا الأمر فقد أجاب المأمون حينما قال له مشيراً إلى خروج زيد بن علي عليه السلام " أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدعِ ما ليس له بحق وأنّه كان أتقى لله من ذلك أنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أنّ الله تعالى نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية:"[٢] { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ } [٣].

كما أن الإمامة منحصرة في ولد الحسين بن علي عليهما السلام ولا يحق لأحد ادعاؤها سواء كان فاطمياً أو لم يكن خرج بالسيف أو لم يخرج وأنها وراثة من الله تعالى نص عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: "أترون الأمر إلينا نضعه حيث نشاء؟! كلا والله إنه لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل فرجل حتى ينتهي إلى

---

(١) ينظر: من الرسالة ص١١٨-١١٩.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٢٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

صاحبه"[١].

هذا وقد ذكر ابن عنبه[٢] في ترجمته لابن طباطبا "فغلب على الكوفة ودعى بالآفاق ولقب بأمير المؤمنين وعظم أمره ثم مات فجأة".

وقد سبق أن ذكرنا أن لقب أمير المؤمنين مختص بالإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام ولا يصح ادعاؤه أو إطلاقه على غيره سواء كان من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ليس منهم.

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام نفي تعدد الأئمة في آن واحد كما زعمتهُ الزيدية وأن الإمامة إنّما تنحصر في شخص واحد لا ندّ له في عصره قال الإمام الرضا عليه السلام " **الإمام: واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عدل، ولا يوجد له بديل ولا له مثيل ولا نظير**" [٣].

وقد نقلت لنا كتب الأخبار عن الإمام الرضا عليه السلام أحاديث يفهم منها أنّه عليه السلام قد وقف موقفاً سلبياً من تحركات العلويين في زمن إمامته عليه السلام والفترة التي امتدت إليها ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م فحينما خرج عمه محمد بن جعفر [٤] بمكة بعد وفاة محمد بن إبراهيم طباطبا

---

(١) الشيخ الصدوق، كمال الدين، ص٢٢٢.

(٢) عمدة الطالب، ص١٧٢.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٥٠٦. ٥٠٧.

(٤) محمد بن جعفر الصادق: بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويلقب بمحمد الديباج لجمال وجهه بويع له بالخلافة بمكة سنة (٢٠٠هـ)، عند قيام ثورة أبي السرايا في الكوفة وتلقب بأمير المؤمنين ولما مات محمد بن إبراهيم العلوي في الكوفة دعا محمد الديباج إلى نفسه أرسل إليه المأمون أخاه المعتصم الذي أخذه وجاء به إلى المأمون فعفا عنه توفي بجرجان سنة (٢٠٣هـ) وكان محمد من علماء الطالبيين وأعيانهم وزهادهم تبعته الزيدية ←

ودعا الناس إلى نفسه وخوطبَ بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة في مكة والمدينة **((ودخل عليه الرضا عليه السلام فقال له: يا عم لا تكذب أباك ولا أخاك فإن هذا أمر لا يتم))** [1].

إنّ النهي الصادر عن الإمام عليه السلام لعمه محمد بن جعفر لا يستفاد منه تنبؤه بفشل الثورة فقط وإنما يستفاد منه استنكار الإمام عليه السلام ورفضه لدعوة محمد بن جعفر الخلافة لنفسه وتلقبه بإمرة المؤمنين فإنّ في هذه الدعوة بحسب ما نستظهرهُ من قول الإمام عليه السلام (لا تكذب أباك ولا أخاك) إبطالاً لإمامة جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وإمامة ولده موسى بن جعفر عليهما السلام ومن ثم أبطالٌ لإمامة علي بن موسى الرضا عليهما السلام وهذا الكلام ينطبق على محمد بن إسماعيل طباطبا لكونه ادعى نفس ادعاء محمد بن جعفر.

هذا وقد استخف الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام بدعوة محمد ابن سليمان العلوي الذي وجهه أبو السرايا إلى المدينة ليأخذ البيعة فيها لمحمد بن محمد بن زيد الحسيني القائم مقام ابن طباطبا في قيادة الثورة حينما دعاهُ إلى مبايعته بعد أن اجتمع عليه أهل بيته وغيرهم من قريش فبايعوه وقالوا له: لو بعثت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كان معنا وكان أمرنا واحداً فلما جاءه الرسول وهو محمد بن الأثرم قال له الإمام عليه السلام: إذا مضى عشرون يوماً أتيتك فما استتموا إلا ثمانية عشر يوماً حتى هاجمهم (ورقاء قائد الجلودي) فهزمهم قال محمد ابن الأثرم: فإذا هاتف يهتف بي: يا أثرم فالتفت إليه، فإذا أبو الحسن عليه

والجارودية. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٣٨- ٤٣٩؛ العمري، المجدي، ص٢٨٦، ٢٨٧؛ البخاري، سر السلسلة، ص٢٧، ٤٥، ٤٧، ٧٩.

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٢٥.

السلام وهو يقول: مضت العشرون أم لا؟ [(١)].

إنّ موقف الإمام هذا يدلُ على سخريته من دعوة محمد بن سليمان العلوي صاحب أبي السرايا واستهزائه منها لعلمهِ بما ستؤول إليه من الخيبة والفشل وما هذه السخرية والاستهزاء إلا لكون هؤلاء الدعاة كانوا يطلبون أمراً ليس لهم فيه وجه حق.

وقد تجلى موقف الإمام الرضا عليه السلام السلبي من هذه الثورة بكل وضوح حينما خرج أخوه زيد بن موسى في البصرة بعد مقتل أبي السرايا ((وهو الذي يقال له زيد النار وإنما سمي زيد النار لكثرة ما حرق من الدور في البصرة من دور بني العباس وأتباعهم وكان إذا أتي برجل من المسودة كان عقوبته عنده أن يحرقه بالنار)) [(٢)].

فأُلقي القبض عليه بعد إعطائه الأمان ثم أرسل إلى المأمون في خراسان.

وقد روي أن الإمام الرضا عليه السلام عندما أصبح ولياً للعهد، قد أنكر عليه (أراقة الدماء وقطع السبيل) وأخبره بأنّ ما قام به من الأفعال إنّما هو معصية لله وخاطبة الإمام عليه السلام قائلاً: "أنت أخي ما أطعت الله عز وجل إنّ نوحاً عليه السلام قال: { رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } [(٣)] فقال الله عز وجل: { يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } فأخرجه الله عز وجل من أن يكون من أهله بمعصيته لله"[(٤)].

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٥.

(٣) سورة هود، آية:٤٥.

(٤) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٣٢.

وقد روي: أن المأمون وهب جرم زيد بن موسى إلى أخيه الرضا عليه السلام وقاس خروجه وما قام به بخروج زيد بن علي عليهما السلام فرفض الإمام عليه السلام هذه المقايسة وردها على المأمون قائلاً: يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد غضب لله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ثم أخبر الإمام عليه السلام المأمون بما سمعه عن أبيه عن جده في شأن زيد بن علي عليهما السلام من أنه **(دعا إلى الرضا من آل محمد)** **(ولو ظفر لوفى بما دعا إليه)** وأنه استشار الإمام الصادق عليه السلام حينما عزم على الخروج وأنّ الإمام عليه السلام قد أذن له في ذلك ثم قال: **(ويل لمن سمع وأعيته فلم يجبه)** [(١)].

إنّ في هذه المحاورة التي جرت بين الإمام الرضا عليه السلام وأخيه زيد وبينه وبين المأمون فيها دلالة واضحة على عدم موافقة الإمام عليه السلام على إعلان الثورة من قبل ابن طباطبا ومن ناصره من أبناء الحسن والحسين عليهما السلام إذ إنّه صرح بأنّ ما قام به أخوه زيد - وهو أحد قادة الثورة - من الأفعال يعد معصية لله وأنّ رضى الله لا يتحصل إلا بطاعته.

ورب قائل يقول إنّ هذا الموقف السلبي من الإمام عليه السلام اختص به زيد بن موسى لما صدر منه من أعمال شنيعة لا تنسجم مع خلق الإمام عليه السلام الذي هو خلق الإسلام ولا يمكن تعميمه ليشمل مسار الثورة ككل، فنجيب عن ذلك أن طاعة الإمام عليه السلام الذي هو حجة الله على خلقه يعتبر طاعةً لله ولا تتم هذه الطاعة إلا إذا كان العبد معتقداً بإمامته تمام الاعتقاد، وأما إذا كان معتقداً إمامة شخص آخر قد ادعى الإمامة بدون حقٍ له في ذلك فإنّ هذا

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٦٠.

يعتبر معصية لله، ومن المعروف أن هؤلاء الثوار قد بايعوا ابن طاطبا ومن بعده محمد بن محمد بالإمامة في قبال إمامة الرضا عليه السلام والذي يدل على أن الإمام الرضا عليه السلام ما كان مؤيداً وداعماً لهذه الثورة أنها لم تكن تدعو إلى إمامته بل لإمامة غيره، وأنّه لم يستشره أحد من الثوار في الخروج حتى يأذن لهم بذلك كما فعل زيد بن علي عليه السلام.

فلا صحة لما قيل وكان (أي الإمام الرضا عليه السلام) كأبيه وأجداده يشرف على جميع خطوط التحرك بما في ذلك خط المواجهة وهو محاط بسرية وكتمان شديدين وقد أسند قيادته المباشرة إلى إخوانه وأبناء عمومته لكي لا يكون في موقع المواجهة العلنية مع الحكم القائم [١].

فإنّ ادعاء إسناد القيادة المباشرة من قبل الإمام عليه السلام إلى إخوته وأبناء عمومته دعوى باطلة لا دليل عليها وأنّ المتتبع لمسيرة الإمام عليه السلام وموقفه من الثورات التي قامت في عصر إمامته سوف يكتشف بوضوح بطلان هذا القول فإنّ الواقع على خلافه فكيف يسند الإمام القيادة لإخوته وأبناء عمومته إذا كانوا لا يقرون بإمامته ويدعون لأنفسهم في الآفاق على أنهم هم الأئمة الذين يجب على الناس طاعتهم ومبايعتهم ونصرهم.

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه حلف أن لا يكلم أخاه زيد النار أبداً ما عاش [٢] وليس ذلك لأنه قد ارتكب بعض الأخطاء واقترف بعض الذنوب فإنّه يمكن له التوبة والعودة إلى طريق الرشاد وإنما هذا الموقف المتصلب من الإمام عليه السلام من أقرب المقربين إليه وهو أخوه ما كان إلا لأنه لا يرى

---

(١) مجموعة مؤلفين، أعلام الهداية الإمام الرضا عليه السلام، ج ٨، ص١٢٠.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٥٨.

أنّ الإمام الرضا عليه السلام إمام معصوم مفترض الطاعة.

وأخيراً فقد روى أبو الفرج الأصفهاني حينما تمت البيعة لابن طباطبا حديثين يفهم منهما حسن حال محمد بن إبراهيم طباطبا وجلالة قدره مما يعطي الشرعية لثورته الأول روى عن زيد بن علي عليه السلام "يبايع الناس لرجل منا عند قصر الضرتين، سنة تسع وتسعين ومائة، في عشر من جمادى الأولى، يباهي الله به الملائكة"(١).

والثاني عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام " يخطب على أعوادكم يا أهل الكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في جمادى الأولى - رجل منا أهل البيت، يباهي الله به الملائكة "(٢).

وهذان الحديثان لا يمكن الاطمئنان بصحة صدورهما، لعدم ورودهما في مصدر آخر غير مقاتل الطالبيين كما أنّه يشمُ من مفادهما دلالة الوضع إذ إنّهما حددا اليوم والشهر والسنة والمكان الذي تمت به البيعة تحديداً دقيقاً ويبدو أن هذين الحديثين من وضع رواة أنصار الزيدية علماً أن الأصفهاني قد أعتمد في رواياتهِ على نصر بن مزاحم وهو قريب من المذهب الزيدي.

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٨.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٨. ٤٢٩.

المبحث الثالث: الثورات الحسينية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منها

أولا / امتداد ثورة ابن طباطبا

بقي هدير تلاطم أمواج بحر الثورة مدوياً في بلاد متعددة أبان عهد المأمون العباسي فما تكاد أن تهدأ بعض البلاد ويصفو ماؤها حتى تعود لها الكدرة مرة أخرى بفعل تحركات الثوار العلويين فيرجع بحرها الساكن مضطرب الأمواج، يغرق في خضمهِ الكثير سواء كان موالياً للعباسين أو موالياً للثوار العلويين، ولم تقتصر هذه الثورات على الثوار الحسنيين فحسب بل شاركهم في ذلك أبناء عمومتهم الحسينيون وكانت لهم مشاركة فاعلة في ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا بل إنّ زعيم الثورة بعد وفاة ابن طباطبا كان حسينياً وهو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بالإضافة إلى أن أغلب الولاة الذين أرسلوا إلى المدن الإسلامية لفرض نفوذ الثورة عليها وإخراجها من قبضة الحكم العباسي وأخذ البيعة فيها لمحمد الحسيني كانوا حسينين أيضاً، فلذا يصح أن نطلق على ثورة ابن طباطبا بأنها حسنية وحسينية ومن أبرز هؤلاء الولاة ثلاثة كان لهم دورٌ مهمٌ في أثناء الثورة وبعد إخفاقها فإنّ ثورة ابن طباطبا لم تنتهِ بوفاته ومصرع القائد العسكري أبي

السرايا واستسلام محمد بن محمد الحسيني وإنما استمرت في بعض المدن الإسلامية بفعل تحرك الثوار الحسينين فيها ويعتبر تحركهم امتداداً لثورة ابن طباطبا.

وهؤلاء الثوار الثلاثة هم الحسن بن الحسين الأفطس الذي كان والياً على مكة وزيد بن موسى بن جعفر الذي كان والياً على الأهواز وإبراهيم بن موسى ابن جعفر الذي كان والياً على اليمن [(١)].

فأما الحسين بن الحسن الأفطس فقد توجه إلى مكة سنة ١٩٩هـ /٨١٣م فدخلها بدون قتال بعد أن خرج منها داود بن عيسى الوالي العباسي متوجهاً نحو العراق فتمت له السيطرة فيها ووجه إلى المدينة محمد بن سليمان الحسني (فدخلها ولم يقاتله بها أحد) وبذلك فقد أصبحت ولاية الحجاز خاضعة لنفوذ العلويين[(٢)].

وأبرز عمل قام به الأفطس في مكة هو تجريده الكعبة المشرفة من الكسوة التي كانت عليها ((ثم كساها ثوبين من قز رقيق كان أبو السرايا وجه بهما معه مكتوب عليهما هذا أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كسوتهم))[(٣)].

وقيل إنّه دعا في أول أمره إلى ابن طباطبا " فلما مات ابن طباطبا دعا إلى نفسه والقول بإمامته "[(٤)].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٣٥.

(٢) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣١ ٥٣٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٢٢ومابعدها.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٢٣.

وقد روى عنه الطبري [١] بأنه قام ببعض الأعمال المنتقدة أثناء ولايته على مكة حتى أن الناس قد كرهوا سيرته وتغير ولاؤهم له " فلما رأى حسين بن حسن ومن معه من أهل بيته تغير الناس لهم بسيرتهم وبلغهم أن أبا السرايا قد قتل وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبيين ورجعت الولاية بها لولد العباس اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين ابن علي بن أبي طالب... فبايعوه طوعاً وكرهاً وسموه بإمرة المؤمنين".

فتحولت قيادة الثورة في الحجاز بحسب رواية الطبري بعد مقتل أبي السرايا إلى محمد بن جعفر نتيجة لمبايعة العلويين له ويظهر مما ذكره الطبري أن السبب في مبايعة محمد هذا هو تلافي ابن الأفطس ومن معه من العلويين لسخط أهالي مكة عليهم بفعل سوء سيرتهم فحاولوا امتصاص غضب الناس ببيعتهم لمحمد بن جعفر الذي كان معتزلاً للحياة السياسية لكونه ((...كان شيخاً وداعاً محبباً في الناس))[٢].

خوفاً من خروج الأمور عن سيطرته في مكة والمدينة.

ولكن الأصفهاني يذكر سبباً آخر لتصدي محمد بن جعفر للشأن السياسي وتزعمه لحركة الثوار في الحجاز بعد أن كان معتزلاً لمثل هذه الأمور وهو أن رجلاً قد كتب كتاباً في أيام أبي السرايا يشتم فيه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء الطالبيون فقرؤوه عليه فلم يرد عليهم جواباً حتى دخل بيته، فخرج عليهم وقد لبس الدرع، وتقلد السيف، ودعا إلى نفسه، وتسمى بالخلافة وهو يتمثل [٣] :

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٦. ٥٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٣٧.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٣٩. ٤٤٠.

لم أكــن مــن جناتهــا علــم الله وإنـــي بحرهـــا اليــوم الـــي [١]

وبحسب رواية الأصفهاني يكون خروج محمد بـن جعفـر وتزعمـه للثـورة في الحجاز إنّما كان في أثناء حياة أبي السرايا واشتداد حركـة الثـورة في الكوفـة لا أنـه خرج بعد مقتل أبي الـسرايا وإخماد الثـورة فيهـا ومهمـا يكـن مـن أمـر فـإنّ تحـرك العلويين في الحجاز يعد مرتبطاً بثورة ابن طباطبا في العراق وامتداداً لها.

ويبدو أن خروج محمد بن جعفر قد كان بعد وفاة ابن طباطبا وقبل مقتل أبي السرايا باعتبار أنه كان في بدء أمره يدعو لابن طباطبا فلما مـات ابـن طباطبـا دعـا إلى نفسه بحسب ما رواهُ المسعودي [٢] " دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه إلى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا، فلما مات ابن طباطبا - وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن - دعا لنفسه، وتسَمَّى بأمير المؤمنين ".

ويؤيد ذلك أن أبا الفرج الأصفهاني حينما وثق خروج محمد بن جعفـر ذكـر ذلك بعد أن وثقه موت ابن طباطبا وأخذ البيعة لمحمد بن محمد الحسيني فلما انتـهى من الحديث عن حركته وما آلت إليه رجع إلى الحديث عن أبي السرايا مرة أخرى.

وهذا ما يدل عليه قول ابن عنبه [٣] إنّه: "وكان قد خرج داعياً إلى محمد بن إبراهيم طباطبا الحسني فلما مات محمـد بـن إبـراهيم دعـا محمـد الـديباج إلى نفسه وبويع له بمكة ".

ولم تدم حركته إلا بضعة أشهر حتى توجه إليه إسحاق بن موسى بن عيسى

(١) النيسابوري، أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، (دار الكتب العلمية: بيروت،١٩٨٣م)،ج٣، ص١٠٣.

(٢) مروج الذهب، ج٤، ص٣٢٢. ٣٢٣.

(٣) عمدة الطالب، ص٢٤٥.

العباسي قادماً من اليمن فخندق جعفر وأصحابه حول مكة واستعدوا لقتال إسحاق ((فقاتلهم إسحاق أياماً)) [١].

ثم إنّه انصرف عنهم متوجهاً نحو العراق كارهاً لقتالهم.

ولعل انصراف إسحاق عنهم نتيجة لفشله في تحقيق النصر على جعفر وأصحابه وعدم تمكنه بما لديه من الجند من الاستمرار في القتال واجتياز الخندق المضروب حول مكة ولكن إسحاق رجع إليهم مرة أخرى حينما حصل على المساندة والدعم من قبل ورقاء بن جميل في أصحابه ومن كان معه من أصحاب الجلودي [٢] فالتقى الفريقان ببئر ميمون [٣] وتقاتلوا قتالاً شديداً واستمر القتال بينهم أياماً فكانت الهزيمة على محمد بن جعفر وأصحابه [٤].

فاضطر محمد أن يسأل إسحاق وورقاء الأمان فأعطياه الأمان على أن يخرج بعد ثلاثة أيام بمن تبقى معه من الطالبيين وغيرهم من مكة وتفرق الطالبيون من مكة فذهب كل قوم ناحية فأما محمد بن جعفر فأخذ ناحية جدة وظل متنقلاً حتى استقر به المقام ببلاد جهينة على الساحل [٥].

وأخذ يجمع الجموع محاولة منه لإعادة السيطرة على مكة والمدينة مرة أخرى

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٧٩.

(٢) عيسى الجلودي: هو أحد قادة العباسيين أرسله المأمون إلى دمشق مع عبد الله بن طاهر فبقي مدة وعاد إلى العراق، وقد شهد له عبد الله بشجاعته عند المأمون. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٤٦.

(٣) بئر ميمون: بمكة، منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي، هو أخو العلاء بن الحضرمي والي البحرين. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٠٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٢٣.

ولكن والي المدينة من قبل العباسيين هارون بن المسيب هاجمه ((فهزم محمد بن جعفر وفقئت عينه بنشابة وقتل من أصحابه بشر كثير)) (١).

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني (٢) " أن جماعة من الطالبيين اجتمعوا مع محمد بن جعفر، فقاتلوا هارون بن المسيب بمكة قتالاً شديداً، وفيهم الحسين بن الحسن الأفطس، ومحمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن، ومحمد بن الحسن المعروف بالسيلق، وعلي بن الحسين بن عيسى بن زيد، وعلي بن الحسين ابن زيد، وعلي بن جعفر بن محمد، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، وطعنه خصي كان مع محمد بن جعفر فصرعه ".

ثم إنّه لما أشتد عليه الحصار من قبل هارون بن المسيب ونفد ما عنده وعند أصحاب من زاد وماء وأخذ أصحابه يتفرقون عنه اضطر إلى طلب الأمان من قبل هارون وقيل من قبل عيسى بن يزيد الجلودي فلما أعطي الأمان أدخلوه إلى مكة ونصبوا له منبراً بين الركن والمقام لكي يخلع نفسه عن الخلافة فخلع نفسه وأقر بالبيعة لعبد الله المأمون إذ جاء في خطبته: " وقد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها كما خلعت خاتمي هذا من إصبعي وقد صرت كرجل من المسلمين فلا بيعة لي في رقابكم وقد أخرجت نفسي من ذلك وقد رد الله الحق إلى الخليفة عبد الله المأمون أمير المؤمنين" (٣).

وقد بعث به إلى المأمون بمرو " فمات محمد بن جعفر هناك" (٤).

---

(١) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٣٩.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٤٤٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤٠.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٤١.

ونتيجة لذلك انتهت حركة جعفر بن محمد بالقضاء على ثورته في الحجاز وعودها إلى السلطة العباسية.

وأما زيد بن موسى فقد كان والياً على الأهواز ولكن المصادر التاريخية اتفقت على أن خروجه كان في البصرة والسر في ذلك أنه قد ضم إليه ولاية الأهواز بعد أن غلب عليها أثناء انشغال أبي السرايا في القتال مع هرثمة بن أعين.

فقد ذكر الزركلي[١] في ترجمته " زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين العلوي الطالبي: ثائر. خرج في العراق مع (أبي السرايا) وولي له إمارة الأهواز. ولم يكتف بها فضم إليها البصرة، وكان عليها عامل لأبي السرايا، فأخرجه زيد واستقر فيها ".

وبحسب هذه الرواية نلاحظ أن زيداً قد جمع ولاية البصرة إلى ولاية الأهواز بالقهر والغلبة بعد أن كان العامل عليها العباس بن محمد الجعفري.

وهذا ما أكده البلاذري [٢] إذ قال بعد هزيمة أبي السرايا وفراره من الكوفة " وتوجه أبي السرايا إلى البصرة، وعامله عليها العباس بن محمد الجعفري فغلبه عليها زيد بن موسى ".

وبحسب هاتين الروايتين يتضح لنا كيفية خروج زيد بن موسى في البصرة والسيطرة عليها ومما لا شك فيه أن الخروج هذا في البصرة كان متصلاً بثورة ابن طباطبا وأنه حدث كردة فعلٍ من زيد بعد أن وصلته أنباء هزيمة أبي السرايا.

وأنه قد دعا إلى نفسه بحسب ما ذكرته بعض المصادر: " كان زيد بن موسى

---

(١) الأعلام، ج٣، ص٦١.

(٢) أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٦٧.

ابن جعفر خرج بالبصرة ودعا إلى نفسه وأحرق دوراً وعاث"[١].

وقد روى الطبري وغيره أن زيداً حينما خرج بالبصرة شرع في إحراق دور بني العباس وأتباعهم فلذلك لقب بزيد النار وقد توجه إليه القائد العباسي علي ابن سعيد فأخذه أسيراً وقيل إنّه طلب الأمان فأمنه[٢].

إلا أن اليعقوبي[٣] قد ذكر أنّ الذي قضى على حركة زيد النار في البصرة وألقى القبض عليه القائد العباسي عيسى بن يزيد الجلودي وأن حادثة القبض هذه قد حدثت بعد مقتل أبي السرايا لا أثر هزيمته إذ إنّه قال: " وانصرف الجلودي إلى البصرة، وقد تغلب عليها زيد بن موسى، ونهب دوراً وأموالاً كثيرة للناس، وكان معه جماعة من القيسية وغيرهم، فلما قرب الجلودي حاربوه يومهم ذاك، ثم انهزموا، وانهزم زيد، فأخذه عيسى، وحمله إلى المأمون، فمن عليه، وأطلق سبيله ".

وربما تكون رواية الطبري أقرب إلى الصحة وذلك لاشتهار ذكرها من قبل أغلب المؤرخين في حين أن رواية اليعقوبي لم تذكر إلا من قبله هو دون غيره ممن أرخوا لثورة ابن طباطبا.

ورواية حرق دور بني العباس متفقٌ عليها ولكن اختلف في وقت حدوثها هل كانت بعد هزيمة أبي السرايا أم قبلها فبحسب ما نقله الطبري أنها كانت بعد الهزيمة ولكن يبدو مما رواه الأصفهاني أنها حدثت قبل الهزيمة حينما توجه زيدٌ إلى الأهواز بعد هزيمة القائد العباسي فيها الحسن بن علي إذ قال أبو الفرج

---

(١) ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي (ت ٥٦٢هـ)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، (دار صادر: بيروت، ١٩٩٦م)، ج١، ص١١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١٥.

الأصفهاني[١] " وأما الجعفري صاحب البصرة فإنه خرج إليه علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فاجتمعا، ووافاهم زيد بن موسى بن جعفر ماضياً إلى الأهواز، فاجتمعوا، ولقيهم الحسن بن علي المعروف بالمأموني - رجل من أهل باذغيس وكان على البصرة - فقاتلوه وهزموه وحووا عسكره. وحرق زيد بن موسى دور بني العباس في البصرة، فلقب بذلك وسمي زيد النار ".

والمهم في الأمر أن زيداً قد أخفقت حركته في البصرة وألقي القبض عليه وأرسل إلى الحسن بن سهل وأودعه السجن في بغداد.

وقد ذكر الطبري [٢] أن زيداً خرج مرة أخرى في الأنبار بصحبة أخي أبي السرايا بعد أن وثبت الحربية على الحسن بن سهل في بغداد إثر مقتل هرثمة بن أعين في خراسان وذكر أنه (كان أفلت من الحبس).

ولكنه أُلقي عليه القبض ثانية فأرسله الحسن بن سهل إلى المأمون [٣] وذكر أن المأمون حينما ولى أخاه الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام ولاية العهد أرسل زيداً إلى علي الرضا عليهما السلام ووهب له جرمهُ فلما أدخل على الإمام الرضا عليهما السلام لامه وأوضح له بعض الحقائق [٤].

وبذلك أخفقت حركة زيد بن موسى في البصرة أولاً وفي الأنبار ثانياً والتي كانت تعتبر إحدى الحركات المتتابعة والمستمرة تفرعاً عن ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا.

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص٤٣٦.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤٤.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٧، ١٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ١٢٨.

وأما إبراهيم بن موسى بن جعفر فقد كان والياً على اليمن ولكن المؤرخين اختلفوا في وقت دخوله إليها فإنّه يظهر من كلمات بعضهم أن الدخول إليها قد حدث بعد وفاة ابن طباطبا ومبايعة محمد بن محمد مكانه (أي أن الدخول كان في أثناء الثورة) في حين أن بعضهم قد ذكر أنه دخل اليمن بعد مقتل أبي السرايا (أي أن الدخول حدث بعد أخفاق الثورة) كما اختلفوا في سنة خروجه فيها هل أنها سنة ١٩٩هـ / ٨١٣م أو سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م.

فإنّه يظهر مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني [١] أن إبراهيم بن موسى قد دخل اليمن سنة ١٩٩هـ / ٨١٣م والياً من قبل محمد بن محمد في أثناء الثورة حيث قال بعد أن ذكر تفرق العمال في البلاد "...**وأما إبراهيم بن موسى فأذعن له أهل اليمن بالطاعة، بعد وقعة كانت بينهم يسيرة المدة**".

وقد أقر المسعودي[٢] بأنّ إبراهيم ظهر باليمن بعد وفاة ابن طباطبا سنة ١٩٩هـ / ٨١٣م، في حين يفهم من كلام الطبري أن إبراهيم قد خرج في اليمن سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م بعد مقتل أبي السرايا حيث قال بعد أن روى خبر مقتل أبي السرايا وما آل إليه أمر الطالبيين بالعراق.

وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم فخرج من مكة مع من كان معه من أهل بيته؟ يريد اليمن [٣].

وقد أكد ابن كثير وابن خلدون ذلك قال ابن كثير[٤] " وفيها خرج باليمن

---

(١) مقاتل الطالبين، ص ٤٣٥.

(٢) مروج الذهب، ج٤، ص٣٢٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٦.

(٤) البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٦٨.

إبراهيم بن موسى... وهو الذي كان بمكة... فلما بلغه قتل أبي السرايا هرب إلى اليمن ".

وقال ابن خلدون [١] " وكان إبراهيم بن موسى بن جعفر بمكة فلما بلغه خبر أبي السرايا ومقتله ولى وسار إلى اليمن ".

وعلى الروايتين فإنّ حركة إبراهيم بن موسى وخروجه في اليمن يعد من الحركات المتصلة بثورة ابن طباطبا وأبي السرايا وقد دخل إبراهيم إلى اليمن وتمت له السيطرة فيها بعد خروج العامل العباسي إسحاق بن موسى منها وتخليتها لإبراهيم من دون قتال مقتفياً أثر ما قام به عمه داوود بن عيسى حينما خرج من مكة والمدينة عند قدوم ابن الأفطس إليهما [٢].

وأبرز عمل قام به إبراهيم هو إرسال رجل من ولد عقيل بن أبي طالب إلى مكة لكي يحج بالناس ولعله قصد من هذا العمل التأكيد على سيطرته على اليمن ونشر دعوته في مكة ولكن العقيلي لم يستطع الدخول إليها إذ " بلغه أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد قد ولي الموسم وأن معه من القواد والجنود مالا قبل لاحد به " [٣].

فوجه الحسن بن سهل حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان [٤] إلى إبراهيم ابن موسى " فحاربه إبراهيم بمن معه من اليمن، وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين " [٥].

---

(١) العبر، ج٣، ص٥١٨.

(٢) للمزيد عن ذلك ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٣٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٤١.

(٤) حمدويه لم أجد له ترجمة.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١٤.

وقد تمكن ابن ماهان من أخراج إبراهيم بن موسى من اليمن طريداً[١]، فعاد إبراهيم إلى مكة وقاتل فيها خليفة حمدويه عليها يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي[٢] فاستطاع هزيمتهُ وقتله ودخل إبراهيم بن موسى بن جعفر مكة يوماً مطيراً وأخذها [٣].

فتمت لإبراهيم السيطرة على مكة والغلبة عليها في حين أن حمدويه ظل مقيماً في اليمن " واستمال جماعة من أهل اليمن، ثم خلع (المأمون)، فكتب المأمون إلى إبراهيم بن موسى بولاية اليمن" [٤].

وهذا الإجراء من قبل المأمون هو أحد النتائج الإيجابية التي حصل عليها بتقليده ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام إذ إنّ بعض العلويين الذين كانوا يخرجون هنا وهناك ضد الحكم العباسي ركنوا إلى الهدوء مؤقتاً ما دام الإمام الرضا عليه السلام حياً يرزق وولياً للعهد وهذا ما كان يطمح إليه المأمون.

وقد نجح المأمون في هذا التدبير إلى حد ما حيث لزم العلويون جانب الهدوء مراعاة إلى مركز الإمام ولم يذكر المؤرخون أي تحرك علوي ضد المأمون خلال تلك الفترة القصيرة التي عاشها الإمام الرضا عليه السلام بعد ولاية العهد[٥].

(١) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ)، كتاب الأكليل، تحقيق وتعليق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، (دار الحرية: بغداد، ١٩٨٠م)، ج٢، ص١٣٨.

(٢) يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي: لم أجد له ترجمة.

(٣) الفسوي، أبو يوسف بن سفيان (ت ٢٧٧هـ)، كتاب المعرفة والتاريخ، حققه وعلق عليه: أكرم ضياء العمري، (مطبعة الرشاد: بغداد، ١٩٧٤م)، ج١، ص١٩٤.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١٥.

(٥) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر، ط٢، (دار القلم: بيروت، ١٩٧٨م)، ج٢، ص٤١١- ٤١٢؛ الحاج حسن، حسين إبراهيم، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، (دار المرتضى: بيروت، د.ت)، ص١٧١.

وعلى وفق قاعدة العدو المشترك سار إبراهيم بن موسى بن جعفر إلى اليمن لمحاربة حمدويه فلما وصل إليها خرج له ابن لحمدويه فاستطاع إبراهيم هزيمتهُ "وصار إبراهيم إلى صنعاء، فخرج حمدويه، فحاربه محاربة شديدة، فقتل من أصحاب إبراهيم خلقاً عظيماً، وانهزم إبراهيم، فلم يرد وجهه شيء دون مكة "[١].

وبهزيمة إبراهيم هذه انحسر نفوذه على اليمن ولم يتمكن من الدخول إليها مرة أخرى وخرجت اليمن عن سيطرة العلويين ثم عادت من بعد ذلك لسيطرة العباسيين حينما تمكن الجلودي من هزيمة حمدويه وإلقاء القبض عليه ثم إشخاصهِ إلى الخليفة المأمون[٢].

ثم إنّ إبراهيم بقي مقيماً في مكة وأصبح أميراً للحج سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م فقد روى الطبري[٣] " وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد فدعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد ".

والظاهر أن إبراهيم كان أميراً للحج من قبل المأمون بحسب ما يفهم من رواية الطبري وإن لم يكن الطبري قد صرح بذلك باعتبار أنه قد دعا للمأمون أولاً ثم لأخيه علي بن موسى الرضا عليه السلام ثانياً إذ إنّ أمير الحج لا يعين ألا من قبل خليفة المسلمين في عصره.

ولكن المسعودي[٤] روى أن إبراهيم كان أميراً على الحج بالغلبة من دون أن يأخذ إذناً بذلك من خليفة حيث قال: " ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١٥.

(٢) الهمداني، الإكليل، ج١، ص٢٣٧.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٧.

(٤) مروج الذهب، ج٥، ص٢٩٦.

إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام -، وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الإسلام، على أنه أقامه متغلباً عليه، لا مُوَلَّى من قبل خليفة ".

وهذا الكلام جناية من المسعودي على إبراهيم بن موسى إذ إنّ بعض المصادر التاريخية قد صرحت بأنّ عيسى بن موسى الجلودي حينما قدم عاملاً على مكة من قبل المأمون جاء معه بتولية إبراهيم أميراً على الحج.

فقد ذكر الفسوي [١] " وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبي في سنة اثنتين ومائتين جاء بعملهِ الجلودي ".

وقد أدانَ المسعودي نفسه حينما صرح بعد ذلك بما يناقض كلامه السابق، من أن أمارة الحج لإبراهيم بن موسى كانت بأمر من المأمون سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م حيث قال: " وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون "[٢].

ولكن يبدو أن أجواء الخلاف ما زالت تلقي بأثرها بين الخليفة المأمون وإبراهيم بن موسى، حيث نجد في الخبر أن إبراهيم في نهاية الأمر طلب الأمان من المأمون فأمنه.

وحينما قدم المأمون إلى بغداد سنة ٢٠٤هـ /٨١٩م جاء إبراهيم بن موسى إلى بغداد وبقي أماناً في ظله[٣]، وتوفي إبراهيم في أوائل سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م وذكر أن المأمون قد دس له السم فمات بفعل ذلك[٤].

---

(١) المعرفة والتاريخ، ج١، ص١٩٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٢٤.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٥، ص٤٨٥.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢٧٨.

وبذلك طوي ملف ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا بجميع توابعه وقد فشلت هذه الحركات الثلاث في الحجاز والبصرة واليمن في تحقيق أهدافها كما فشلت ثورة ابن طباطبا قبلها وقد سهل القضاء على هذه الحركات الثلاث ولم تأخذ صداها الكبير كما أخذتهُ ثورة ابن طباطبا، والسبب في ذلك أن هذه الحركات كانت حركات فردية وردات فعل انفعالية، قد فقدت التنسيق المسبق بين قادتها في توحيد جهودهم حول قيادة مركزية معينة، وذلك أن قادة هذه الحركات قد شرعوا في الدعوة لأنفسهم بعد هزيمة أبي السرايا في الكوفة، وهذا يدل على أنهم لم يكن همهم القضاء على الدولة العباسية وإنما كان همهم إقامة إمارات إسلامية صغيرة بزعامة كل واحد منهم في القطر الذي يسيطر عليه مما يعني عدم وحدة كلمتهم وتشتت رأيهم وانقسام خطير حصل فيما بينهم أدى إلى إضعاف تحركاتهم، والظاهر أن هؤلاء الثوار لم تحظَ ثوراتهم بالدعم والتأييد الكبير من قبل الجماهير في المدن التي تحركوا فيها فعلى الرغم من استياء الناس من السياسة العباسية ورغبتهم في تغيير الأوضاع المزرية التي أفرزتها الفتنة الحاصلة بين المأمون والأمين إلا أن قادة بني العباس تمكنوا بما معهم من الجنود من القضاء على هذه الحركات بجهود بسيطة نوعاً ما.

ولعل أبرز ما يلاحظ المؤرخ هو قلة حماس عامة الناس وعدم مبالاتهم واكتراثهم للأحداث التي تجري أمام أعينهم من نزاع على السلطة بين العلويين والعباسيين وربما كان سبب ذلك ملل الناس من الاضطراب السياسي ونزوعهم نحو الاستقرار مما أضعف ذلك الحماس الذي نعهده لأهل البيت سواء كانوا علويين أو عباسيين بل إنّ الناس كانوا مستعدين لطاعة الأقوى من الفرعين

الهاشميين دون أن يضحوا بأنفسهم في سبيل أي منهم [١].

وإذا أردنا معرفة موقف الإمام الرضا عليه السلام من هذه الحركات فنستطيع أن نقول بكل وضوح إنّ موقفهُ لا يختلف عن الموقف الذي ذكرناه من ثورة ابن طباطبا باعتبار أن هذه الثورات لم تحظَ بالدعم والتأييد من قبل الإمام الرضا عليه السلام لكونها امتداداً للثورة السابقة حاملةً نفس المبادئ التي اعتقد بها قادة الثورة فإنّ كلاً من محمد بن جعفر وزيد بن موسى وإبراهيم بن موسى يعدون من أئمة الزيدية الذين لا يعتقدون بإمامة علي بن موسى الرضا عليهما السلام ويختلفون معه في الفكر والعقيدة والهدف بالإضافة إلى أن خروجهم ودعواهم كانت دعوات شخصية لم تأخذ الإذن من الإمام عليه السلام.

فقد ذكر عن محمد بن جعفر أنه " كان شجاعاً يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف " [٢].

وذكر عن زيد بن موسى أنه " كان ينادم المنتصر وكان في لسانه فضل وكان زيدياً" [٣].

وذكر عن إبراهيم بن موسى أنه "... كان عالماً فاضلاً كاملاً من أئمة الزيدية " [٤].

---

(١) فوزي، فاروق عمر، العباسيون الأوائل العصر الذهبي من الرشيد إلى المتوكل، (المطبعة الأردنية: ١٩٨٢م)، ج٣، ص٧٩. ٨٠.

(٢) العلامة الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ)، إيضاح الاشتباه، تحقيق: محمد الحسون، (مؤسسة النشر الإسلامي: قم، ١٩٩٠م)، ص٢٨٣؛ البروجردي، علي أصغر بنمحمد شفيع الجابلقي (ت ١٣١٣هـ)، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، (مطبعة بهمن: قم، ١٩٨٩م)، ج١، ص٣٤٥.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج٧، ص١٢٨.

(٤) الطباطبائي، محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)، رجال السيد بحر العلوم المعروف ←

وقد نقلنا فيما سبق أن الإمام الرضا عليه السلام خاطب عمه محمد بن جعفر بقوله: " لا تكذب أباك ولا أخاك "(١).

ومعنى ذلك لا تنكر إمامة أبيك موسى بن جعفر عليهما السلام وإمامة جدك محمد بن جعفر عليهما السلام بادعائك الإمامة.

وإنّه قال لزيد بن موسى منكراً عليه إسرافه بالقتل والانتقام وسلب الأموال وحرق البيوت في البصرة " يا زيد سوءة لك! ما أنت قائل لرسول الله؟ سفكت الدماء، وأخفت السبل، وأخذت المال من غير حله، لعله غرك حديث حمقى أهل الكوفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار. إن هذا لما خرج من بطنها الحسن والحسين، والله ما نالا ذلك إلا بطاعة الله "(٢).

وهذا دليل وأضح على أن الأئمة من آل البيت عليهم السلام لا يباركون الثورات مطلقاً حتى لو كان قادتها قد عرف عنهم سوء السيرة وشدة الانتقام من أعدائهم وإنما " يباركون كل ثائر على الظلم والباطل حتى ولو لم ينجح عسكرياً إذا كانت ثورته ضمن الحدود المشروعة ولصالح الأمة، لأن الثورة النزيهة في الغالب تكشف للشعوب زيف الحكام وواقعهم الكريه وتترك وراءها فئة مقهورة تحس بالظلم والتجاوزات وتحاسب عليها وأحياناً تضطر الحاكم إلى



بالفوائد الرجالية، حققه وعلقه عليه: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، (المطبعة الآداب: النجف، ١٩٦٥م)، ج١، ص٤١٤.

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٥٩.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: طارق فتحي السيد، (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٦م)، ج٢، ص١٩٨.

تصحيح سلوكه ووسائل حكمه فيخفف من ظلمه إلى حد ما "[١].

ثانياً / خروج العباس بن موسى بن جعفر عليهما السلام في الكوفة

انقسم العباسيون في العراق بعد أن بويعَ لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام بولاية العهد من قبل المأمون سنة ٢٠١هـ / ٨١٦م فما أن وصلت الأخبار من المأمون إلى عامله على العراق الحسن بن سهل "ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك"[٢].

فقبل بعض أهل بغداد هذه الدعوة ورفضها آخرون متهمين الفضل بن سهل بتدبير ذلك لإخراج الأمر من ولد العباس (وغضب ولد العباس من ذلك)[٣] وقرروا خلع المأمون ثم اجتمعوا على إبراهيم بن المهدي الماجن الخليع وصاحب اللهو والغناء والشراب وبايعوه بالخلافة "فكان أول من بايعه عبيد الله بن العباس بن محمد الهاشمي ثم منصور بن المهدي ثم سائر بني هاشم ثم القواد"[٤].

إنّ ما فعله العباسيون كان عملية استخفاف مروعة بمنصب الخلافة الإسلامية، وتجنياً صريحاً على أقدس مركز إلهي بعد النبوة وهو ما يدلل على الإسفاف الرهيب الذي وصلت إليه الروح الإسلامية في الأوساط العامة عندما تقبلت تنصيب هذا الإنسان الخليع كخليفة يدين له المسلمون بالطاعة والولاء[٥].

(١) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر، ج٢، ص ٤١٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٧.

(٥) فضل الله، محمد جواد، الإمام الرضا تاريخ ودراسة، تحقيق: محمد صادق الغريري، (مطبعة ستار: قم، ٢٠٠٧م)، ص٢٠٤.

ونتيجة لهذه البيعة خرجت بغداد عن سيطرة الحسن بن سهل فسار الحسن ابن سهل الذي كان مقيماً مع عسكره بالمبارك [١] بعد أن جاءته الأوامر من قبل المأمون وحاصر بغداد من جهة وأمر حميد بن عبد الحميد[٢] أن يتوجه إلى بغداد ويحاصرها من جهة أخرى ففعل ذلك حميد[٣].

وكان سعيد بن الساجور [٤] وأبو البط [٥] وغسان بن أبي الفرج [٦] ومحمد بن إبراهيم الإفريقي [٧] وعدة من قواد حميد كاتبوا إبراهيم بن المهدي على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة [٨].

فاستغل هؤلاء القواد ذهاب حميد للقاء الحسن بن سهل فهجموا على

---

(١) المبارك: اسم نهر في البصرة حفره خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين في خلافة هشام ابن عبد الملك الأموي والمبارك أيضاً اسم لنهر وقرية فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ وقيل إنّها قرية بين واسط وقم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٥٠.

(٢) حميد بن عبد الحميد: الطائي الطوسي أحد قواد المأمون العباسي قاتل ضد أبي السرايا وحاصر بغداد ضد إبراهيم بن المهدي بأمر من المأمون العباسي توفي سنة (٢٠١) بفم الصلح. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ١١٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٥٥٨.

(٤) سعيد بن الساجور: أحد القواد في داخل جيش حميد بن عبد الحميد كان يريد أن تؤول الخلافة إلى إبراهيم بن المهدي العباسي لذا كان ولاؤه له. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٨.

(٥) أبو البط: لم أجد له ترجمة.

(٦) غسان بن أبي الفرج: بن غسان أبو إبراهيم كان صاحب حرس والي خراسان العباسي تولى الكوفة لمدة قليلة وعزل عنها لتذمر أهالي الكوفة من سياسته لقتله أخا أبو السرايا لما وثب في الكوفة سنة (٢٠٢هـ) وبعث برأسه إلى إبراهيم بن المهدي. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٥٦١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٣٤٤.

(٧) محمد بن إبراهيم الإفريقي: لم أجد له ترجمة.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٥٨. ٥٥٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٤٢.

عسكره وانتهبوا ما فيه ومن بعد ذلك سيطروا على قصر ابن هبيرة وسلموه لعيسى بن محمد بن أبي خالد الذي بعثه إبراهيم بن المهدي إليهم [١].

ونتيجة لذلك تحصلت على خط سير الأحداث فئتان متصارعتان فئة موالية للمأمون يقاتلون دفاعاً عن سلطته بقيادة حميد بن عبد الحميد الطائي الطوسي، وفئة موالية لإبراهيم بن المهدي يقاتلون مع عيسى بن محمد بن أبي خالد.

وكان حميد حينما خرج من عند الحسن بن سهل قد أتى الكوفة وولى على الكوفة العباس بن موسى بن جعفر العلوي وقال له قاتل عن أخيك فإنّ أهل الكوفة يجيبونك إلى ذلك وأنا معك [٢].

وهذه التولية للعباس بن موسى أخيه الإمام الرضا عليه السلام وتولية إبراهيم بن موسى أخيه أخيه على اليمن فيما سبق بالإضافة إلى جعله أميراً للحج سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م ليس للإمام الرضا عليه السلام فيها دخلٌ لا من قريب ولا من بعيد وإنما هي بأمر من المأمون العباسي أو بتخويلٍ منه لبعض عمالهِ في البلاد وقبول هذه الولاية من قبل هذين الأخوين إنّما هي بدافع شخصي منهما وليس بإذن من الإمام الرضا عليه السلام.

وذلك لأنّ الإمام الرضا عليه السلام حينما اجبره المأمون على القبول بولاية العهد قَبِلَ ذلك مرغماً بشروط اشترطها على المأمون قائلاً له " إني أدخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى ولا أقضي ولا أغيرشيئاً مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله فأجابه المأمون " [٣].

---

(١) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٩ومابعدها.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٤٢.

(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٦١.

وهذا يعني أن ولاية العهد لم تكن ولاية حقيقية وإنما هي ولاية شكلية صورية وليس للإمام الرضا عليه السلام أي دورٍ فاعل أو مؤثر فيما يتعلق بالأمور السياسية والعسكرية التي تدار بها الدولة وهذا لا يقدح بإمامة الإمام الرضا عليه السلام، لأنّ الإمامة منصبٌ إلهيٌ عظيمٌ لا يتقوم بالخلافة أو بولاية العهد، وإن كان هذان المنصبان شأناً من شؤونها فإنّ الإمام عليه السلام يكون هو حجة الله على خلقه المفروض الطاعة في أرضه سواء تقلد منصباً سيادياً في الدولة الإسلامية أو لم يتقلد ذلك والذي يدل على هذا الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق الحسن والحسين عليهما السلام: "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"(١).

وقد حاول المأمون أن يزج بالإمام في المعترك السياسي لإضفاء الشرعية على خلافته وكسب ولاء الجماهير تعزيزاً لمركزية سلطته بما يحملونه من ود ومحبة للإمام علي بن موسى عليهما السلام خاصة وآل علي عامة إذ قال: ((يا أبا الحسن انظر بعض من تثق به نوليه هذه البلدان التي قد فسدت علينا فقال له الإمام عليه السلام تفي لي وأفي لك فإنّي إنما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر ولا أنهى ولا أعزل ولا أولي ولا أشير حتى يقدمني الله قبلك فوالله أن الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي ولقد كنت بالمدينة أتردد في طرقها على دابتي وأن أهلها وغيرهم يسألوني

---

(١) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٥٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٦٣؛ ابن أبي جمهور، محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي (ت٨٨٠هـ)، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، (مطبعة سيد الشهداء: قم، ١٩٨٥م)، ج٤، ص٩٣.

الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لي وإنّ كتبي لنافذة في الأمصار وما زدتني من نعمة هي علي من ربي فقال له: أفي لك)) [١].

ثم إنّ العباس بن موسى دخل الكوفة ودعا أهلها لطاعة المأمون ومن بعده لأخيه الإمام الرضا عليه السلام " وأنه قد أجابه قوم كثير منهم وقال له قوم آخرون إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك فقال أنا أدعو إلى المأمون ثم من بعده لأخي فقعد عنه... أكثر الشيعة " [٢].

إنّ الغاية من تولية العباس بن موسى على الكوفة من قبل القائد العباسي الموالي للمأمون حميد بن عبد الحميد كان الهدف منها كسب ولاء غالبية أهل الكوفة الموالين لآل علي وضمان نصرهم وطاعتهم للمأمون تحت لواء أحد القادة العلويين خصوصاً بعد وثوب أخي أبي السرايا أبي عبد الله في الكوفة ودعوته إلى آل علي قال الطبري [٣] " وفي هذه السنة (أي سنة ٢٠٢هـ) وثب أخو أبي السرايا بالكوفة فبيض واجتمعت إليه جماعة ".

علماً أن الكوفة عرفت على مدى التاريخ الإسلامي بولائها للعلويين ويظهر من جواب شيعة أهل الكوفة لدعوة العباس بن موسى أنهم كانوا من الشيعة الزيدية الذين ينتظرون خروج أحد أبناء الحسن والحسين عليهما السلام فيبايعونه بالإمامة ويقاتلون تحت قيادته ففي قولهم " إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٧٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٠٧.

أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك "[١].

يفهم منه أن لا فرقَ عندهم فيمن هو الإمام من آل البيت عليهم السلام فهم على استعداد لطاعته سواء كان هو الإمام المنصوص عليه والمفترض الطاعة كالإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية أم غيره من إخوته أو أبناء عمومته وهذا هو معتقد الزيدية في الإمامة كما قد سبق ذكره منا في بحوث ماضية.

هذا وقد وصلت الأخبار للقادة العباسيين الموالين لإبراهيم بن المهدي الذين استطاعوا السيطرة على منطقة النيل بما كان يدعو إليه العباس بن موسى في الكوفة من الطاعة للمأمون ((فتوجه إليه سعيد وأبو البط من النيل إلى الكوفة...فلما صاروا قرب القنطرة خرج عليهم علي بن محمد بن جعفر العلوي ابن المبايع... له بمكة وأبو عبد الله أخو أبي السرايا ومعهم جماعة كثيرة وجههم مع علي بن محمد ابن عمه صاحب الكوفة العباس بن موسى بن جعفر فقاتلوهم ساعة فانهزم علي وأصحابه حتى دخلوا الكوفة "[٢].

يستنتج من هذا الكلام الذي ذكره الطبري في تاريخه أن علي بن محمد بن جعفر العلوي[٣] وأبا عبد الله أخا أبي السرايا قد استجابا لدعوة العباس بن

(١) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٠.

(٣) علي بن محمد بن جعفر الصادق: اتفق رأيه مع رأي أبيه على الخروج بثورة على المأمون العباسي سنة (٢٠٠هـ)، وظهر بعدها بالأهواز وأخذ معه ابن الأفطس الحسين بن الحسن وأبن عمه- موسى الكاظم عليه السلام - زيد النار بن موسى الكاظم عليه السلام فلما أمسك المأمون بمحمد الديباج بن جعفر الصادق خرج علي من البصرة واستخلف عليها زيد النار بن موسى الكاظم توفي علي في بغداد وقبره بها. ينظر: البخاري، سر السلسلة، ص ٤٥ — ٤٩؛ ←

موسى ودخلاً في طاعة المأمون وقاتلوا بعض القادة العباسيين الذين خلعوا المأمون وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي وهذه هي ثمرة اقتطفها المأمون من ولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام حينما ضمن ولاء الكثير من العلويين وأتباعهم الذين كانوا قبل ولاية العهد يشكلون الخطر الأكبر على سلطانه فإذا بأعداء الأمس الذي سعوا للقضاء على خلافة المأمون قد أصبحوا أصدقاء اليوم في الدفاع عن هذه الخلافة.

والصحيح أن القوتين العسكريتين المتقابلتين كانت إحداهما بزعامة العباس ابن موسى وبصحبته علي بن محمد وأخو أبي السرايا ومن معه من الشيعة " وعلى العباس وأصحابه من أهل الكوفة الخضرة "[(١)] وهم موالين للمأمون. والأخرى بزعامة القواد العباسيين سعيد بن الساجور وأبو البط الموالين لإبراهيم بن المهدي "وشعارهم يا إبراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون وعليهم السواد"[(٢)].

وأن هذه القوة الموالية لإبراهيم بن المهدي قد استطاعت بعد معارك متعددة مع العباس بن موسى وأصحابه الدخول إلى الكوفة والسيطرة عليها بعد خروج العباس منها بطلبٍ من رؤساء أهل الكوفة بفعل الدمار والخراب والحرق والنهب الذي فشيء في أوساطها نتيجة للقتال الدائر بين القوتين حينما أخذوا له ولأصحابه الأمان من سعيد بن الساجور كما صرح الطبري بذلك[(٣)].

وقد استطاع غسان بن أبي الفرج الذي عين والياً على الكوفة قبل عزله قتل

→ التفرشي، نقد الرجال، ج٣، ص٢٩٣؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٣، ص١٤٤.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦١.

أبي عبد الله أخي أبي السرايا "**وبعث برأسه إلى إبراهيم بن المهدي**"[١].

لقد صور هذا التحرك من قبل بعض الباحثين[٢] على أنه ثورة علوية تزعمها علي بن محمد بالتحالف مع أبي عبد الله أخي أبي السرايا انطلق في عهد المأمون في مدينة الكوفة سنة ٢٠٢هـ /٨١٧م وكأنه إعادة للتحالف الذي نشأ سابقاً فيها سنة ١٩٩هـ / ٨١٣م بين إبراهيم بن محمد بن طباطبا وأبي السرايا وأنه كان قائماً ضد المأمون العباسي وهذا تصوير خاطئ، فإنّ مما لا شك فيه أن هذا التحرك في مدينة الكوفة تحرك علوي ولكنه بزعامة العباس بن موسى أخي الإمام الرضا عليه السلام الذي نصب من قبل العباسيين والياً عليها كما أنه حراكٌ عسكريٌ كان لصالح المأمون العباسي وليس ضدهُ بعد أن انخدع بعض العلويين بالحيلة التي لجأ إليها المأمون بتنصيب الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام ولياً للعهد ظناً منهم أن هذا الأمر سوف يتم وأن الخلافة منتقلة من بعد المأمون من البيت العباسي إلى البيت العلوي في حين أن الإمام الرضا عليه السلام لم تنطلِ عليه هذه الحيلة وكان عالماً بما ستؤول إليه هذه الأحداث.

فقد روي أن الإمام الرضا عليه السلام لما بويع بولاية العهد في حضرة المأمون "وخفقت الألوية على رأسه، فذكر... بعض من حضر ممن كان يختص بالرضا عليه السلام، أنه قال: كنت بين يديه في ذلك اليوم، فنظر إلي وأنا مستبشر بما جرى، فأومأ إلي أن ادن مني فدنوت منه، فقال لي من حيث لا يسمعه غيري:

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص٥٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٠٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٨.

(٢) للمزيد ينظر: الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة، ص٣٦٤ – ٣٧٠؛ عكله، منال حسن، الثورات العلوية والشيعية في العراق، ص ١٥٩. ١٦٤؛ الموسوي، عبد الرسول، الشيعة في التاريخ ١٠ – ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م، ط٢، (د.ط: ٢٠٠٤م)، ص٨٥.

لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به، فإنه شيء لا يتم"[١].

نعم لو صح أن نعتبر هذا التحرك ثورة علوية فأنها تكون ضد العباسيين الذين خلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي بالتحالف مع القادة العباسيين الموالين للمأمون وعلى العموم فإنّ تولية العباس بن موسى على الكوفة وتحركهُ فيها قد مني بالفشل بعد هزيمته على يد القادة العباسيين الموالين لإبراهيم بن المهدي واضطر للخروج منها كما فشلت تولية أخيه إبراهيم بن موسى على اليمن حينما هزم على يد القائد العباسي حمدويه بن عيسى بن ماهان حين سيطر عليها وخلع المأمون العباسي ودعا إلى نفسه سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م.

أسباب فشل حركة العباس بن موسى في الكوفة

والسبب في فشل هذا الحراك هو تحالف العلويين مع العباسيين الموالين للمأمون مما أدى إلى رفض الكثير من الشيعة لدعوة إبراهيم لهم لكونهم لا يرون لبني العباس أي حقٍ بالخلافة. قال الطبري[٢] "فقعد عنه الغالية من... الشيعة".

كما أن الحسن بن سهل وحميد بن عبد الحميد قد تركا العباس يواجه القادة المنشقين عن جيش حميد لوحده من دون أن يمداه بالخيل والرجال كما وعداه بذلك مما أدى إلى ضعف العدة والعدد التي كان يقاتل بها العباس بن موسى.

قال الطبري [٣] " وكان يظهر أن حميدا يأتيه فيعينه ويقويه وأن الحسن يوجه إليه قوماً من قبله مدداً فلم يأته منهم أحد ".

بالإضافة إلى ذلك فإنّ دعوة العباس وإقامته في الكوفة لم تلقَ استجابة من

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص٣٣٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٠.

رؤسائها وأهل النفوذ فيها فقد تقاعسوا عن نصرته وسئموا من استمرار القتال واستاءوا من الخراب الذي حل في أزقة الكوفة فجاءوا إلى العباس وقالوا له: "فاخرج من بين أظهرنا...لا حاجة لنا فيك "(١).

موقف الإمام الرضا عليه السلام من حركة العباس بن موسى

لم يحظَ تحرك العباس بن موسى وعلي بن محمد بن جعفر وأبي عبد الله أخي أبي السرايا في الكوفة بأي دعمٍ أو تأييد من قبل الإمام الرضا عليه السلام وإن كانوا يدعون الناس لمبايعته بولاية العهد وذلك لما ذكرناه فيما سبق من أن الإمام إنّما قبل بولاية العهد على أن لا يكون له من الأمر شيء، والسبب الذي دفع بالإمام لاتخاذ هذا الموقف هو أن المأمون العباسي أراد إضفاء صفة الشرعية على خلافتهِ بوجه خاص وخلافة العباسيين بوجه عام إذ إنّها من ضمن الأمور التي توخاها المأمون من ولاية العهد ولكن الإمام الرضا عليه السلام أفرغ ولاية العهد من محتواها الحقيقي وجعلها مجرد تسمية فقط وأفشلَ طموح المأمون في اكتساب الشرعية لنظام الحكم القائم، فلو أن الإمام الرضا عليه السلام قبل بولاية العهد قبولاً جدياً لكان هذا إقرارٌ منه بأحقية المأمون والعباسيين بالخلافة مع أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يعهد عنهم أنهم أقروا بأحقية أحد بخلافة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وبذلك يكون موقف الإمام الرضا عليه السلام مبايناً لما قام به العباس بن موسى ومن معه في دخولهم في طاعة المأمون والقتال تحت رايته، لأن ذلك يعد إقراراً منهم بشرعية خلافته، كما أن العباس لم يحاول أن يستطلع رأي الإمام عليه

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦١.

السلام في قبولهِ لولاية العهد أو أخذ الإذن منه بقبول التولية من قبل العباسيين والاشتراك في الصراع الدائر بينهم على الزعامة الدنيوية.

ودعوته للإمام الرضا عليه السلام من بعد المأمون لا تشفع له في اتخاذ القرار الصائب، وذلك لأنّ الإمام الرضا عليه السلام قد صرح في مناسبات متعددة لمن سأله عن السبب في قبول ولاية العهد أنه ما كان يرغب في ذلك وأن قبولها كان قبولاً ظاهرياً حينما هدده المأمون بالقتل فقبلها مكرهاً.

فقد روي عن الريان بن الصلت، قال: " دخلت على علي بن موسى الرضا عليهما السلام فقلت له: يا بن رسول الله الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟ فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم! أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبياً ورسولاً دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز قَالَ **{ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }** (١) ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى وهو المستعان" (٢).

وخلاصة القول إنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يكلف أحداً في الدعوة إليه وحمل الناس طوعاً وكرهاً على مبايعته حتى يكون متورطاً في تلك الدماء التي سفكت على تثبيت سلطان المأمون وولاية العهد بل إنّ هذا كان من تدبير المأمون وتكالباً من العباسيين على الزعامة وأنّ ما قام به العباس بن موسى من القبول بولاية الكوفة ومن قبله إبراهيم بن موسى من القبول بولاية اليمن اجتهادٌ

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٥١.

شخصيٌ منهما رغبة في إعادة الحق المغتصب من قبل العباسيين إلى البيت العلوي ولكنه اجتهاد خاطئ إذ لم تمضِ على ولاية العهد سوى أعوام قليلة حتى تكشفت نوايا المأمون الخبيثة فقرر التخلص من الإمام الرضا عليه السلام عند قدومه إلى بغداد بعد أن أخبره الإمام عليه السلام بما كان يستر عنه الفضل بن سهل من الفتنة التي أصابت أهل العراق بعد مقتل الأمين والخراب والدمار الذي خيّم على بغداد إثر الصراع الدائر بين الموالين له والموالين لعمه إبراهيم بن المهدي الذي بويع بالخلافة من قبل العباسيين فيها بعد خلع المأمون.

فقد أعلم الإمام الرضا عليه السلام المأمون " أن الفضل قد كذبه وغشه وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل وأن الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك "[١].

فلما تحقق المأمون من تلك الأخبار قرر الرحيل من بغداد مصطحباً معه الفضل بن سهل والإمام الرضا عليه السلام " ثم ارتحل من مرو فلما أتى سرخس شد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات"[٢].

وقد أشارت المصادر التاريخية أن هذا الاغتيال للفضل بن سهل قد كان بتدبير من المأمون، فلما وصل المأمون إلى طوس قرر التخلص من الإمام الرضا عليه السلام فدس له سماً في شراب الرمان[٣] وقيل في عنب فمات منه عليه السلام[٤].

إنّ هذه الجريمة التي أقدم عليها المأمون من اغتياله للإمام الرضا عليه السلام

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٥.

(٣) السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٧٤.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٢٤.

كانت ورقة لعب بها لكي يعيد حبال الود بينه وبين العباسيين في بغداد الناقمين عليه مبايعة الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد فقد أرسل إليهم كتاباً يعلمهم فيه بموت الإمام عليه السلام " وأنهم إنما نقموا بيعته له من بعده ويسألهم الدخول في طاعته" (١).

وهكذا اقتضت اللعبة السياسية من أن يلجا المأمون إلى تنصيب الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد لكي يطفئ نائرة العلويين ضد سلطانه حتى يؤمن ثوراتهم عليه واقتضت مرة أخرى بأنّ يلجأ إلى اغتيال الإمام الرضا عليه السلام لكي يطفئ نائرة العباسيين الذين خلعوا سلطانه ونقموا عليه إخراج الأمر إلى البيت العلوي مكراً منهُ وخديعةً ليضمن عودة طاعتهم له.

ثالثاً / ثورة محمد بن القاسم الحسيني

تولى محمد بن هارون الملقب بالمعتصم الخلافة بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م وكانت سيرته لا تختلف عن سيرة من سبقوه من خلفاء بني العباس من شيوع الظلم وإظهار الفسق والفجور وكان يهتم اهتماماً كثيراً بالمهرجين ويأنس بالمضحكين (٢).

وقد وصف بأنه " كان ذا قوة وكان عرياً من العلم... فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة... وأنه إذا غضب لا يبالي من قتل... وكان من أشد الناس بطشاً كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره " (٣).

وقد امتازت فترة خلافته بدخول الأتراك إلى ديوان الخلافة وتوليتهم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١١٥.

(٢) للمزيد ينظر: المسعودي، مروج ذهب، ج٤، ص٣٤٤. ٣٦٣.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٣٤.

المناصب السياسية في الدولة والاعتماد عليهم اعتماداً كبيراً في الشؤون العسكرية ويعد المعتصم " أول خليفة أدخل الأتراك الديوان "[١].

إنّ اهتمام المعتصم بشراء الأتراك واستقدامهم إلى بغداد لا لكونهم قد ناصروا العباسيين في ثورتهم، وعاضدوهم على توطيد أركان ملكهم كما فعل الفرس، خصوصاً في عهد أخيه المأمون الذي اعتمد عليهم في الإطاحة بخلافة أخيه الأمين، ولا لكونهم أفضل من غيرهم في العلم والذكاء والكفاءة العسكرية والبأس الشديد وإنما لنزوةٍ نفسية خاصة عند المعتصم في ميله إليهم وتفضيلهم على من سواهم من المسلمين، بسبب خؤلتهم له باعتبار أن أمه ماردة تركية النسب.

يقال إن! سبب استقدام المعتصم للأتراك هو أن أمه كانت من تلك الأصقاع التركية، فقد كانت من السغد [٢] واسمها ماردة، وكان في طباعه كثير من طباع هؤلاء الأتراك [٣].

وقد ابتدأ المعتصم باستقدام الأتراك من سمرقند ونواحيها حينما كان ولياً للعهد في زمن أخيه المأمون وقد صرح بذلك الحميري [٤].

ولم يسلم العلويون من بطش المعتصم فقد روي أنه اغتالَ محمد بن عبد الله ابن الحسن حينما كان ولياً للعهد بشربة مسمومة لا لشيء سوى أنه أظهر أمامهُ

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٣٥.

(٢) السغد: ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار متجاوبة الأطيار مؤنقة الرياض والإزهار ملتفة الأغصان خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وقصبتها سمرقند. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٢.

(٣) الكثيري، محمد، السلفية بين أهل السنة والإمامية، (دار الغدير: بيروت، ١٩٩٧م)، ص١١٢.

(٤) للتفاصيل ينظر: الروض المعطار في خير الأقطار، ص٣٠٠.

قوة جسدية فحسده المعتصم عليها (١).

وحبس عبد الله بن الحسين بن عبد الله بسر من رأى في فترة خلافته حتى مات في حبسه لكونه أمتنع من لبس السواد (٢).

وقد روى عدد من المؤرخين أن المعتصم أمر زوجة الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام أم الفضل بنت المأمون باغتيال الإمام عليه السلام فدست له السم فمات بفعل ذلك (٣).

وهذه الحوادث في التخلص من العلويين تدل على أن المعتصم كان شديد الكره لهم وقوي السطوة عليهم لذا آثر الكثير منهم الركون إلى الهدوء والتواري عن الأنظار حتى يؤمنوا من الطلب ولم يشهد عصره ثورة علوية إلا خروج محمد ابن القاسم بن علي الحسيني (٤) ووثوبه على سلطان المعتصم في الطالقان سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م.

وكان السبب في خروجه أنه أخافه المعتصم حينما كان في الكوفة " فلما خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان " (٥).

فأظهر أمره هناك في مدينة الطالقان وشرع في الدعوة (للرضا من آل محمد)

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٤٩.

(٤) محمد بن القاسم الحسيني: هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويكنى بأبي جعفر، اشتهر بعلمه وفقهه وحسن إيمانه، وكان يدعو إلى التوحيد كان يلقب بالصوفي لأنه كان يرتدي الصوف الأبيض على الدوام. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٤. ٤٦٥.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٥١.

فاجتمع إليه بها ناس كثير[(١)].

وروي أنه في بداية أمره كان ملازماً لمسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وقد عرف عنه حسن السيرة فأتاه رجل من خراسان اسمه أبو محمد فلما رآه أعجبته طريقته[(٢)] باعتبار أنه "...كان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب"[(٣)].

فقال له أنت أحق بالإمامة من كل أحد[(٤)] ثم بايعه هذا الرجل واستقدم معه مجموعة من حجاج خراسان فبايعوه أيضاً فلما رأى كثرة من بايعه من خراسان ساروا جميعاً إلى الجوزجان[(٥)].

يظهر من عبارات المؤرخين الذين تتبعوا حركة محمد بن القاسم أن حركته بدأت في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لم يكن لديه طموح في الدعوة إلى نفسه وإعلان الثورة على خلافة المعتصم لولا تحسين أبي محمد الخراساني له ذلك وحثه على الخروج باعتبار أنّه أولى بالإمامة من غيره والتفاف مجموعة لا بأس بها من الخراسانيين حوله ومبايعتهم له فحينئذ حدثته نفسه على وثوب.

ويبدو أنّه قد انتقل من المدينة إلى الكوفة لكي يشرع في الدعوة إلى نفسه باعتبار أن الكوفة فيها معظم أنصاره من العلويين وخصوصاً الزيدية منهم وأنها كانت مركزاً لانطلاق الكثير من الثورات العلوية وقد عرف عن أهلها عداؤهم

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٥.

الشديد للخلافة العباسية ولكن حينما انكشف أمره للمعتصم فقرر الانتقال منها إلى خراسان وقد صرح المؤرخون أنّه قبل انتقال إلى خراسان خرج إلى ناحية الرقة [وإلى ناحية الروز]، ومعه جماعة من وجوه الزيدية [١].

فلما تفرق عنه أصحابه من الزيدية بسبب معرفتهم بأنه يذهب مذهب المعتزلة قرر الخروج منها والسفر إلى خراسان وكان معه من الكوفيين بضعة عشر رجلاً. فلما استقر بمرو انتشر أصحابه يدعون الناس إليه فاستجاب له أربعون ألفاً، فأخذ البيعة منهم وواعدهم على الخروج في ليلة بعينها وإذا به يتخذ قراراً مفاجئاً بتفريق الناس عنه وإرجاء إعلان الثورة وذلك، لأنه علم أن بعض من بايعه كان همهم السلب والنهب والانتفاع على حساب الآخرين، فقد انتهى إلى مسامعه أن أحدهم قال إنّما خرجنا معكم لنكتسب وننتفع ونأخذ ما نحتاج إليه[٢].

وهذا يتعارض مع ما يؤمن به محمد بن القاسم من إزاحة ظلمات الجور وإظهار نور العدل في البلاد الإسلامية.

فلما تفرق الناس عنه بمرو انتقل منها إلى الطالقان وتفرق أصحابه يدعون إليه أيضاً " فاجتمع إليه بها ناس كثير" [٣].

فقرر إظهار أمره فيها فجرت بينه وبين والي خراسان عبد الله بن طاهر[٤]

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥ ـ ٤٦٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٥.

(٤) عبد الله بن طاهر: حاكم خراسان وما وراء النهر قلده المأمون مصر وإفريقية، ثم خراسان، وكان ملكاً مطاعاً سائساً مهيباً جواداً ممدحاً من رجال الكمال ومات بالخانوق سنة ثلاثين ومئتين، وله ثمان وأربعون سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦٨٤.

ثلاث معارك انتصر محمد بن القاسم في اثنتين منها وانهزم بالثالثة فقد استطاع الانتصار على جيش عبد الله بن طاهر بقيادة الحسين بن نوح صاحب شرطته وهزمه هزيمة واضحة فقامت قيامة عبد الله بن طاهر وجهز له حملة أخرى بقيادة نوح بن حبان بن جبلة فهزمه محمد بن القاسم وأصحابه هزيمة أيضاً ولكن هذا القائد قرر أن لا يرجع إلى عبد الله بن طاهر حتى ينتصر على محمد أو يقتل فأمده عبد الله بن طاهر بجيش آخر ضخم استطاع إلحاق الهزيمة بمحمد بن القاسم ومن معه فاضطر محمد بن القاسم إلى الاستتار في مدينة نسا [(١)] ولكنه بث أصحابه يدعون إليه في النواحي عازماً على معاودة القتال مرة أخرى، إلا أنّه لم يتمكن من ذلك لانكشاف مخبئة فأرسل إليه عبد الله بن طاهر إبراهيم بن غسان بن الفرج العودي ومعه ألف فارس من نخبة عسكره فاستطاعوا إلقاء القبض على محمد بن القاسم وسجنه في داره بنيسابور [(٢)] بعد أن أوثقه بالحديد ثم أرسله عبد الله بن طاهر بعد ثلاثة أشهر إلى المعتصم في بغداد [(٣)].

فأُدخل إلى بغداد بصورة مذلة ومهينة بأمر المعتصم إذ أمر أن يدخل مكشوفاً حاسر الرأس فوافى دخوله على المعتصم وهو يحتفل بيوم النيروز [(٤)] سنة

---

(١) نسا: مدينة بخراسان، وكان تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما فتحوا خراسان قصدوها، وهرب منها أهلها، عدا النساء حتى إذا دخلها المسلمون ولم يروا بها رجلاً قالوا: هؤلاء نساء، والنساء لا يقاتلن فننسئ أمرها إلا إلى أن تعود رجال ممن تركوها ومضوا، فسموا بذلك (نسا) والنسبة إليها (نسائي). ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨١.

(٢) نيسابور: وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها ينظر. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٣٥.

(٤) النيروز: عيد فارسي قديم، أول السنة الفارسية، ويقع عند الاعتدال الربيعي ودخول الشمس في برج الحمل، أي عند أول فصل الربيع، وكان الفرس يتبادلون فيه الهدايا، واعتادوا أن يرش ←

٢١٩هـ / ٨٣٤م فلما دخل على المعتصم وإذا أصحاب السماجة بين يديه يلعبون والفراغنة يرقصون فلما رآهم محمد بكى ثم قال: " اللهم إنك تعلم أني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وإنكاره"[(١)].

فأمر (المعتصم) بدفعه إلى مسرور الكبير، فدفع إليه، فحبس في سرداب شبيه بالبئر فكاد أن يموت به، فلما أشرف على الهلاك أمر بإخراجه المعتصم ثم حبسه في قبة ببستان موسى مع المعتصم في داره. واستطاع محمد من الاحتيال لنفسه والفرار من السجن[(٢)].

واختلف في المصير الذي صار إليه محمد بن القاسم بعد فراره من السجن من أنّه لم يعرف له خبر[(٣)]، وقيل إنّه قتل بالسم[(٤)]، وقيل إنّه رجع إلى الطالقان فمات فيها وقيل إنّه توارى في أيام المعتصم وأيام الواثق ثم أخذ في أيام المتوكل فحمل إليه فحبس حتى مات في محبسه[(٥)]، والصحيح على ما ذكره الأصفهاني أنّه انحدر إلى واسط، وقد شد وسطه للوهن الذي أصاب فقار ظهره، فلما صار بواسط مات[(٦)].

بعضهم بعضاً بالماء، ويرجح الفرس ذلك العيد إلى عثور النبي سليمان على خاتمه بعد ضياعه منه مما أدى إلى عودة ملكه إليه. البيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ)، الآثار الباقية عن القرون الخاليه، (د.ط: ١٩٢٣م)، ص٢١٦ـ ٢١٧؛ الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة، ص٣٨٤.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٧٠.

(٢) للتفصيل ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٧٠. ٤٧١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٧.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٣٥٠؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٧١.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٧٢.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٢.

أسباب أخفاق ثورة محمد بن القاسم الحسيني

لقد فشلت ثورة محمد بن القاسم في تحقيق هدفها من الإطاحة بالخلافة العباسية أو إقامة إمارة علوية في بعض الأقاليم الإسلامية والسبب الرئيس الذي أدى إلى فشله في ذلك هو أنّه لم يستطع اكتساب الدعم والتأييد والمآزرة من كبار زعماء الشيعة الزيدية وأتباعهم حينما كان في مركز إقامتهم في الكوفة وذلك لكونه كان يعتقد بآراء المعتزلة في العدل والتوحيد مما أدى إلى نفور أغلبهم منه ولم يؤيده إلا النزر اليسير منهم.

فقد روى أبو الفرج الأصفهاني[١] أنّه حينما توجه من الكوفة إلى الرقة أو الزور كان معه جماعة من وجوه الزيدية، منهم: يحيى بن الحسن بن الفرات الفراز، وعباد بن يعقوب الرواجني فسمعوه يتكلم مع أحدهم بشيء من مذهب المعتزلة فتفرق الكوفيون جميعاً عنه، ولم يبق معه إلا بضعة عشر رجلاً.

وروي أيضاً عن عباد بن يعقوب، أنّه قال: "كنت أنا ويحيى بن الحسن بن الفرات الفراز، مع محمد بن القاسم في زورق نريد الرقة، ومعنا جماعة من أهل هذه الطبقة، فظهرنا من مذهبه إلى أنه يقول بالاعتزال، فخرجنا وتركناه، فجعل يبكي ويسألنا الرجوع فلم نفعل"[٢].

كما أن إلحاح كبار من بايعوا محمد بن القاسم عليه بالخروج وإعلان الثورة في الطالقان مع عدم قناعته بولاء من بايعه من الناس وعدم استكمال الاستعدادات العسكرية اللازمة للمواجهة مع الجيش العباسي كان له الأثر في

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥. ٤٦٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٣.

القضاء على تحركه مما اضطره إلى التواري والاختباء حتى أُلقي القبض عليه.

فقد بايعه أربعون ألفاً حينما كان مقيماً بمرو ولكنه رفض الخروج بهم لعدم قناعته بصدق نواياهم في التغيير والإصلاح فلما انتقل إلى الطالقان اجتمع عليه عالم وناس كثير[(١)].

ولكن يبدو أنهم أقل عدداً ممن بايعوه بمرو فقال له أصحابه " إن أتممت على أمرك، وخرجت فنابذت القوم رجونا أن ينصرك الله، فإذا ظفرت اخترت حينئذ من ترضاه من جندك، وإن فعلت كما فعلت بمرو، أخذ عبد الله بن طاهر بعقبك... فأتم عزمه وخرج في الناس"[(٢)].

والسبب المباشر الذي كان له الأثر الكبير في القضاء على ثورة محمد بن القاسم هو الجيش الضخم الذي أمد به عبد الله بن طاهر القائد العباسي نوح بن حبان أو حبان بن نوح في المعركة الثالثة والحاسمة التي خاضها مع محمد وأتباعه بالإضافة إلى الخطة العسكرية المحكمة التي انتهجها القائد العباسي والتي اتسمت بالمكر والحيلة والدهاء إذ إنّه جعل مجموعات من جيشه على شكل كمائن في مواضع متعددة ثم سار بمن معه من الجيش ونازل أصحاب محمد لساعة ثم أظهر انهزامه منهم فلما اتبعه أصحاب محمد وتفرقوا في طلبه خرجت الكمناء على أصحاب محمد من كل وجه فأوقعت الهزيمة فيهم وأفلت محمد بن القاسم وصار إلى نسا مستتراً[(٣)].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٤٦٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٦.

(٣) للتفاصيل ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٧.

موقف الإمام الجواد عليه السلام من ثورة محمد بن القاسم الحسيني

وقبل الانتهاء من الحديث عن ثورة محمد بن القاسم لا بأس من العروج على موقف الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام الذي حدثت هذه الثورة في عهد إمامته لمعرفة مدى مقبوليتها عند أئمة أهل البيت عليه السلام أو عدمها ومما لا شك فيه أن الباحث قد يجد صعوبة في معرفة موقف الإمام الجواد عليه السلام من هذه الثورة بسبب عدم ورود خبر منقول عنه سلباً أو إيجاباً بإزائها.

ولكن يمكن لنا أن نستظهر موقف الإمام عليه السلام منها لمعرفتنا بما كان يعتقد به محمد بن القاسم وهل أن اعتقاده يتوافق مع اعتقاد أئمة أهل البيت عليهم السلام أم لا.

فقد روي أن محمد بن القاسم كان " يرى رأي الزيدية الجارودية "[(١)] وهم إحدى فرق الزيدية أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي الذي كان موالياً للإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام ومن بعده للإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فلما ظهر زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام في الكوفة سنة ١٢١هـ /٧٣٨م قال بإمامته.

فقد ذكر عنه أنّه كان كوفياً، من أصحاب أبي جعفر عليه السلام، وروى عن الصادق عليه السلام، وتغير لما خرج زيد رضي الله عنه[(٢)]، وانه زيدي المذهب[(٣)].

وقالت الجارودية: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نص على علي عليه

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٦٥؛ الزركلي، الإعلام، ج٦، ص٣٣٤.
(٢) التفرشي، نقد الرجال، ج٢، ص ٢٧٨. ٢٧٩.
(٣) العلامة الحلي، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، ص٣٤٨.

السلام بالإشارة والوصف، دون التسمية والتعيين، وأنه أشار إليه ووصفه بالصفات التي لم توجد إلا فيه، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نص على الحسن والحسين عليهما السلام بمثل نصه على علي، ثم إن الإمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه، ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين، فمن شهر منهم سيفه ودعا إلى سبيل ربه وباين الظالمين، وكان صحيح النسب من هذين البطنين، وكان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام[١].

ومن المعلوم أن ما تعتقد به الزيدية عموماً والجارودية منهم مباينٌ لما يعتقد به أئمة أهل البيت عليهم السلام من النص الجلي والواضح على إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام وذكر اسمه صريحاً من قبل رسول صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة غدير خم بالإضافة إلى النص على إمامة الحسن والحسين عليهما السلام.

وحصر الإمامة في تسعة من ذرية الحسين عليه السلام تاسعهم قائمهم[٢] الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[٣].

وإنّ زيد بن علي عليهما السلام الذي اعتقدت الزيدية بإمامته لم يكن يذهب إلى ذلك على ما هو الصحيح من مذهبه وأنّه كان معتقداً بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام كما قد مر ذكره سابقاً.

(١) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن نعمان بن أبي عبد الله العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، المسائل الجارودية، تحقيق: محمد كاظم مدير شانجي، (دار المفيد: بيروت، ١٩٩٣م)، ص١١.

(٢) فقد روي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم" الكليني، الكافي، ج١، ص٥٣٣.

(٣) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٢، ص٥٥.

ولو صح ما ذهبت إليه الزيدية الجارودية التي يعتقد بارائها محمد بن القاسم من أن الإمامة شورى في أبناء الحسن والحسين عليهما السلام وأنها استحقاق لمن خرج بالسيف منهم فهذا يعني إبطال إمامة الأئمة من بعد الحسين عليهم السلام ومنهم الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام والدليل على هذا الإبطال أن محمد بن القاسم قد بويع بالإمامة ممن حرضه على الخروج ودعا الناس إلى نفسه وليس من المعقول أن يؤيد الإمام الجواد عليه السلام حركة ما لا تؤمن بإمامته وتخالفه في الرأي والفكر والعقيدة وحاصل القول إنّ حركة محمد بن القاسم لم تحظَ بالتأييد من قبل الإمام الجواد عليه السلام لكونه قد طرح نفسه إماماً في قبال إمامته وسلك مسلكاً فاسداً يتقاطع مع ما يعتقد به الإمام الجواد عليه السلام.

وقد ذكر بعض الباحثين حينما تحدث عن حركة عبد الرحمن بن أحمد[(١)] في اليمن سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م وعن ثورة محمد بن القاسم في الطالقان سنة ٢١٩هـ /٨٣٤م " أن سكوت الإمام عن ذلك يدل على نوع من التأييد لهذه الثورات"[(٢)].

وهذا كلام لا يرقى إلى الصحة حيث لم يقدم الإمام عليه السلام أي إسناد لتلك الثورات ولم يقل بشرعيتها، وهذا يعني عدم التوافق مع طروحات تلك الثورات.

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب خرج في بلاد عكا في بلاد اليمن يدعو للرضا من آل محمد وكان السبب في خروجه أن العمال في اليمن أساءوا السيرة فبايعوا عبد الرحمن هذا فلما بلغ ذلك المأمون وجه إليه دينار بن عبد الله في عسكر كثيف وكتب معه بأمانه فقبل ذلك ودخل ووضع يده في يد دينار فخرج به إلى المأمون. الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٥٩٣.

(٢) الجبوري، حمدية صالح، أئمة أهل البيت والخلافة العباسية (٢٠٣ـ ٢٦٠هـ ـ ٨١٨ـ ٨٧٣م)، (تموز: ٢٠١٢م)، ص٨٨.

المحتويات

الإهداء ٦

المقدمة ٧

الفصل الأول

العلويين، المفهوم، التكوين، الامتداد، الحراك السياسي

المبحث الأول: العلويون المصطلح والمفهوم.. ١٣

المبحث الثاني: الحراك السياسي..٢٧

المبحث الثالث: جذور الصراع بين العلويين والأمويين ٥٥

الفصل الثاني

الثورات العلوية في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م)

المبحث الأول: مبررات قيام ثورة الإمام الحسين عليه السلام المسار التاريخي والنتائج ..٧٩

نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام.. ١١١

أولا / النصر المعنوي.. ١١٥

ثانياً / إسقاط فكرة الشرعية الأموية المظلمة ١٢٠

ثالثاً / تأجيج وتجديد روح الجهاد الإسلامي ١٣٢

المبحث الثاني / الثورات العلوية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ١٣٤

أولا / ثورة التوابين (٦٥هـ / ٦٨٤م) ١٣٤

ثانياً / ثورة المختار (٦٦ - ٦٧هـ / ٦٨٥ - ٦٨٦م).. ١٤٢

أولا / الاعتماد في دعوته على العلويين من بني هاشم.......................... ١٥٠

ثانياً / الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام.......................... ١٥٨

ثالثاً / تحقيق العدالة الاجتماعية.. ١٦١

مقتل المختار ١٦٤

المبحث الثالث / الثورات الزيدية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام.......... ١٧٢

أولا / ثورة زيد بن علي (١٢٢ هـ/٧٣٩م).. ١٧٢

ثانياً / ثورة يحيى بن زيد (١٢٥هـ / ٧٤٢م)... ١٩٢

الفصل الثالث

الثورات العلوية في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٤٩ - ٨٦١ م)

المبحث الأول: البعد العلوي في الدعوة العباسية.. ٢٠٥

المبحث الثاني: الثورات الحسنية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام ٢٣١

أولا / ثورة محمد ذو النفس الزكية في الحجاز وأخيه إبراهيم في البصرة (١٤٥هـ / ٧٦٢م).. ٢٣١

الأسباب التي أدت إلى فشل الثورة ٢٥٠

موقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورتي محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم... ٢٦٥

ثانياً: ثورة الحسين بن الحسن (صاحب فخ) ١٦٩هـ / ٧٨٥م ٢٧٤

برزت عدة عوامل أدت إلى أخفاق ثورة الحسين بن علي صاحب فخ وحالة دون تحقيق أهدافها ٢٨٤

موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من ثورة الحسين بن علي صاحب فخ.. ٢٨٥

ثالثاً: ثورة محمد بن إبراهيم الحسني المعروف بابن طباطبا.......................... ٢٨٩

الأسباب التي أدت إلى أخفاق ثورة ابن طباطبا وأبو السرايا ٣١٤

موقف الإمام الرضا عليه السلام من ثورة ابن طباطبا وقائده أبي السرايا ...٣١٨

المبحث الثالث: الثورات الحسينية وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منها ٣٢٨

أولا / امتداد ثورة ابن طباطبا ٣٢٨

ثانياً / خروج العباس بن موسى بن جعفر عليهما السلام في الكوفة.....................٣٤٥

أسباب فشل حركة العباس بن موسى في الكوفة....................................٣٥٣

موقف الإمام الرضا عليه السلام من حركة العباس بن موسى.....................٣٥٤

ثالثاً / ثورة محمد بن القاسم الحسيني ٣٥٧

أسباب أخفاق ثورة محمد بن القاسم الحسيني ٣٦٤

موقف الإمام الجواد عليه السلام من ثورة محمد بن القاسم الحسيني ٣٦٦

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي

١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ - ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني

٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة — ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد — البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية — طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق — طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم — طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية — طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي

٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة- تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) - الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني

٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد	تحقيق: مشتاق صالح المظفر

	الله الستري البحراني	
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	موسوعة في ظلال شهداء الطف	الشيخ حيدر الصمياني
١٢٢	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic A Concise Knowledge Of Life History	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٥	المنهج السياسي لأهل البيت عليهم السلام	السيد عبدالستار الجابري
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد
١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي

١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي
١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني
١٤٠	دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية	السيد نبيل الحسني
١٤١	أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار	السيد محمد علي الحلو
١٤٢	منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن تيمية	عبدالرحمن العقيلي
١٤٣	قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٤٤	المُثُل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام	د. محمدحسين الصغير
١٤٥	خاصف النعل	الشيخ ماجد العطية
١٤٦	الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٧	الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٨	أصول وقواعد تفسير الموضوعي	الشيخ مازن التميمي
١٤٩	بحوث لفظية قرآنية	عبد الرحمن العقيلي
١٥٠	مستدرك الكافي	د. علي عبد الزهرة الفحام
١٥١	الإفصاح عن المتواري من أحاديث المسانيد والسنن والصحاح - جزئين	الحاج محسن الخياط
١٥٢	آمنة بنت الحسين عليهما السلام	السيد محمد علي الحلو
١٥٣	أمهات الأئمة المعصومين - جزئين	د. السيد حسين الصافي
١٥٤	قراءة في السيرة الفاطمية	كفاح الحداد
١٥٥	الإيمان والعلم الحديث	محمد حسين الاديب
١٥٦	موسوعة آثار السيد المقرم	السيد عبد الرزاق المقرم
١٥٧	الأمن في القرآن والسنة	الشيخ خالد النعماني
١٥٨	شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى	سالم لذيذ والي الغزي
١٥٩	الوعي الإسلامي	الشهيد السيد حسن الشيرازي
١٦٠	الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي	محمد باقر موسى جعفر
١٦١	الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين عليه السلام	الشيخ حيدر الصمياني

١٦٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٦٣	التلقّي للصّحيفة السّجّاديّة	د. حيدر محمود الجديع
١٦٤	التقية عند مفكري المسلمين	كاظم حسن جاسم الفتلاوي
١٦٥	الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام	عبد الحسين راشد معارج
١٦٦	آيات عتاب الأنبياء في القرآن الكريم	زين العابدين عبدعلي الكعبي
١٦٧	سعيد بن جبير - شيخ التابعين وإمام القراء	سلام محمد علي البياتي
١٦٩	تحولات المكان الحسيني في الشعر العراقي (١٩٩٠-٢٠١٠)	شذى عبدالكاظم الحلي
١٨٧	أصحاب المهدي (عجل الله فرجه) صفاتهم و مقاماتهم	عرفان محمود
١٨٨	الإفادة بطرق حديث «النظر إلى علي عبادة»	جمال الدين عبدالعزيز المغربيّ
١٨٩	حب الوطن، قيمة أخلاقية عليا على ضوء أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٩٠	خصوصية الوسيلة الحسينية في الهداية والسلوك الى الله	عرفان محمود
١٩١	دور أهل البيت عليهم السلام في تصحيح الفكر والعقيدة	الدكتور علي موسى الكعبي
١٩٢	شرح بعض فقرات دعاء كميل	الشيخ وسام البلداوي
١٩٣	صحبة الرسول صلى الله عليه وآله بين المنقول والمعقول	محمد علي النجفي
١٩٤	جغرافية كربلاء القديمة وبقاعها	الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار آل طعمة
١٩٥	زبدة البيان في علوم ومناهج القرآن	الشيخ علاء المالكي
١٩٦	التربية عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) دراسة فلسفية	مها نادر عبد محسن الغرابي
١٩٧	تاريخ الفقه الامامي (من النشوء إلى القرن الثامن الهجري)	مرتضى جواد المدوّح
١٩٨	الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول - قراءة جديدة وإعادة تقويم	مريم رزوقي وليد
١٩٩	الإمام محمد الجواد عليه السلام وآراؤه في التفسير والرواية	كريم مجيد ياسين الكعبي
٢٠٠	خطب سيدات البيت النبوي (عليهنّ السلام) حتى نهاية القرن الأول الهجري	زينب عبد الله كاظم الموسوي

٢٠١	هاشم بن عبد مناف، دراسة في سيرته الشخصية	رياض رحيم حسين الصفراني
٢٠٢	الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم	رياض رحيم حسين الصفراني
٢٠٣	الحياة السّياسية والاجتماعية لفاطمة الزهراء عليها السلام	محمد اسماعيل
٢٠٤	غضب فاطمة عليها السلام غضب الله جل جلاله	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٥	فاطمة الزهراء عليها السلام ثمرة الجنة	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٦	فاطمة الزهراء عليها السلام في نظر أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٧	فَاطمةُ عليها السلام وَسِيْلَةُ السُّرُوْرِ وَكَشْفِ الهَمِّ	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٨	قبسات فاطمية	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٩	بركة تسبيح فاطمة عليها السلام وآثاره	الشيخ علي الفتلاوي
٢١٢	منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة	السيد عبد الله شرف شاه الحسيني